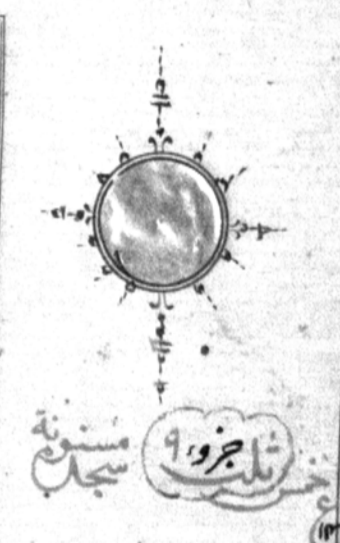
العقلاء وقيل بكل خصلة حميدة واعرض عن الجاهلين معناه واعرض عنهم عند قيام الحجة عليهم والاياس من قبولهم ولا تقابلهم بالسفه صيانة لقدرك فان مجاوبة السفيه تضع عن القدر ولا يقال هذه الاية منسوخة باية القتال لانها عامة خص عنها الكافر الذي يجب قتله بدليل قال ابن زيد لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه واله كيف يا رب والغضب فنزل قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ ومعناه يا محمد ان نالك من الشيطان وسوسة ونخسة في القلب بما يسول للانسان وقيل معناه ان عرض لك من الشيطان عارض عن ابن عباس وقيل معناه وان منعك الشيطان عن شيء مما امرتك من هذه الاشياء فاستعذ بالله اي سل الله عز اسمه ان يعيذك منه انه سميع للمسموعات عليم بالخفيات وقيل سميع لدعائك عليم بما عرض لك وقيل ان النزغ اول الوسوسة والمس لا يكون الا بعد التمكن ولذلك فصل الله سبحانه بين النبي وغيره فقال للنبي عليه السلم واما ينزغنك وقال للناس اذا مسهم طايف من الشيطان قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ❁ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ❁ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ❁ ثلث ايات القراءة قرا اهل البصرة وابن كثير والكسائي طيف بغير الف وهو قراءة النخعي والاسود بن يزيد وقرا الباقون طايف بالالف وقرا اهل المدينة يمدونهم بضم الياء وكسر الميم والباقون بفتح الياء وضم الميم وفي الشواذ عن الجحدري يمادونهم وعن عيسى بن عمر يقصرون بفتح الياء وضم الصاد الحجة الطيف مصدر طاف الخيال يطيف طيفا اذا الم به في المنام فمعناه اذا مسهم خطرة من الشيطان ويكون الطايف بمعناه فطيف كالخطرة وطايف كالخاطر والطيف اكثر قال الايادي العوم لطيف الخيال انق من نانح ذي دلال وقال الاعشى ويصبح عن غب السري وكانما الم بها من طايف الجن اولق وقال ابو علي عامة ما جاء في التنزيل فيما يحمد ويستحب امددت على افعلت كقوله انما نمدهم به من مال وبنين وامددناهم بفاكهة وانمدونني بمال وما كان بخلافه على مددت قال ويمدهم في طغيانهم فهذا يدل على ان الوجه فتح الياء كما ذهب اليه الاكثر والوجه في قراءة من قرا يمدونهم انه مثل فبشرهم بعذاب اليم فسنيسره للعسرى والله اعلم ويمادونهم يفاعلونهم اي يعاونونهم ويقصرون يقصر لغة في اقصر يقصر ويقال اقصر عنه اذا ترك عن قدرة وقصر عنه اذا ضعف عنه اللغة المسوس الذي به مس جنون والممسوس من المياه ما نالته الايدي والاجتباء افتعال من الجباية ونظيره الاصطفاء وهو استخلاص الشيء للنفس قال علي بن عيسى اصله الاستخراج ومنه جباية الخراج وقيل اصله الجمع من جبيت الماء والحوض جابية لجمعها الماء قال الفراء اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته اذا افتعلته من قبل نفسك قال ابو عبيدة واخترعته مثل ذلك قال ابو زيد هذه الحروف تقولها العرب للكلام يبتديه الرجل لم يكن اعده قبل ذلك في نفسه والبصاير والبراهين والحجج جمع بصيرة والبصاير ايضا طرايق الدم قال الاسعر الجعفي راحوا بصايرهم على اكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتد واي والبصيرة الترس وجمعها بصاير قال الزجاج وجميع هذا معناه ظهور الشيء وبيانه الاعراب اذا الاولى ظرف زمان ويكون لها جواب بمنزلة الجزاء واذا الثانية ظرف مكان بمعنى المفاجاة كقولك خرجت فاذا زيد المعنى ثم ذكر سبحانه طريقة المتقين اذا عرضت لهم وساوس الشياطين فقال ان الذين اتقوا باجتناب معاصيه اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا قيل معناه اذا وسوس اليهم الشيطان واغراهم بمعاصيه تذكروا ما عليهم من العقاب بذلك فيجتنبونه ويتركونه وهو معنى قول ابن عباس والسدي قال الحسن يعني اذا طاف عليهم الشيطان بوساوسه وقال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضبة فيتذكر فيكظم غيظه وبه قال مجاهد وروي عنه ايضا انه قال هو الرجل يهم بالذنب فيذكر الله فيتركه وقيل طايف غضب وطيف جنون وقيل معناهما واحد فاذا هم مبصرون للرشد واخوانهم يمدونهم في الغي معناه واخوان المشركين من شياطين الانس والجن يمدونهم في الضلال والمعاصي اي يزيدونهم فيه ويزينون لهم ما هم فيه ثم لا يقصرون ثم لا يكفون يعني الشياطين عن استغوائهم ولا يرحمونهم عن مجاهد وقتادة وقيل معناه واخوان الشياطين من الكفار يمدهم الشياطين في الغي ثم لا يقصرون هؤلاء من ذلك كما يقصر الذين اتقوا عن ابن عباس والسدي والجبائي وقيل معناه ثم لا يقصر الشياطين عن اغوائهم ولا يقصرون هم عن ارتكاب الفواحش واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها معناه انك يا محمد اذا جئتهم باية كذبوا بها واذا ابطات عنهم يقترحونها ويقولون هلا جئتنا به من قبل نفسك فليس كلما تقوله وحي من السماء عن قتادة ومجاهد والزجاج وقيل معناه اذا لم تاتهم باية مقترحة قالوا هلا اخترتها من قبل نفسك فتسال ربك ان يأتيك بها عن ابن عباس والجبائي وابي مسلم قل يا محمد لهم انما اتبع ما يوحى الي من ربي اي لست



عشر ثلث جزو ۹ مسنونة سجد

آتي بالايات من عندي وانما يفعلها الله تعالى ويظهرها على حسب ما يعلم من المصلحة في ذلك لا بحسب اقتراح الخلق وانما اتبع الوحي ولا اتعداه وليس لي ان اساله انزال الايات الى الابعد اذن في السوال هذا بصاير من ربكم اى هذا القرآن دلايل ظاهرة وحجج واضحة وبراهين ساطعة من ربكم يبصر الانسان بها امور دينه وهدى ورحمة اى ودلالة تهدى الى الرشد ونعمة في الدين والدنيا لقوم يؤمنون خص المؤمنين بالذكر لانهم المنتفعون بها دون غيرهم من الكفار وفى هذه الاية دلالة على ان افعال النبي صلى الله عليه وآله واقواله تابعة للوحي وانه لا يجوز ان يعمل بالراي والقياس النظم قيل ان هذه الاية اتصلت بقوله يسئلونك عن الساعة وتقديره يسئلونك عن الايات فاذا لم تاتهم بها قالوا لولا اجتبيتها عن ابي مسلم وقيل اتصلت بما قبلها من قوله واخوانهم يمدونهم ومعناه يمدون في الضلالة واذا لم تأتهم باية يسالون عنها فقالوا كذا

قوله تعالى وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۞ ثلث آيات اللغة الانصات السكوت مع استماع قال ابن الاعرابي نصت وانصت وانتصت استمع الحديث وسكت وانصته وانصت له وانصت الرجل سكت وانصته غيره عن الازهري والاصال جمع اصل واصل جمع اصيل فالاصال جمع الجمع وتصغيره اصيلان على ابدال النون ومعناه العشيات وهو ما بين العصر الى غروب الشمس الاعراب تضرعا وخيفة مصدران وضعا موضع الحال اي متضرعين وخايفين ودون الجهر عطف عليه فيجب ان يكون في موضع الحال اى وغير رافعين اصواتكم حتى يبلغ حد الجهر المعنى ثم امر الله سبحانه بالاستماع للقران عند قرائته فقال واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا اختلف في الوقت المامور بالانصات للقران والاستماع له فقيل انه في الصلوة خاصة خلف الامام الذي يؤتم به اذا سمعت قراءته عن ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ومجاهد والزهري وروى ذلك عن ابي جعفر ع قالوا وكان المسلمون يتكلمون في صلوتهم ويسلم بعضهم على بعض واذا دخل داخل فقال لهم كم صليتم اجابوه فنهوا عن ذلك وامروا بالاستماع وقيل انه في الخطبة والصلوة جميعا عن الحسن وجماعة قال الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه واقوى الاقوال الاول لانه لا حال يجب فيها الانصات لقراءة القرآن الا حال قراءة الامام في الصلوة فان على الماموم الانصات والاستماع له فاما خارج الصلوة فلا خلاف ان الانصات والاستماع غير واجب وروى عن ابي عبد الله ع انه قال يجب الانصات للقران في الصلوة وغيرها قال وذلك على وجه الاستحباب وفي كتاب العياشي باسناده عن ابي كهمش عن ابي عبد الله ع قال قرا ابن الكوا خلف امير المؤمنين ع لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فانصت له امير المؤمنين وعن عبد الله بن ابي يعفور عن ابي عبد الله ع قال قلت له الرجل يقرا القران ايجب على من سمعه الانصات له والاستماع قال نعم اذا قرئ عندك القران وجب عليك الانصات والاستماع قال الزجاج ويجوز ان يكون فاستمعوا له وانصتوا اى اعملوا بما فيه ولا تجاوزوا لان معنى قول القايل سمع الله دعاك اجاب الله دعاك لان الله سميع عليم وقال الجبائي انها نزلت في ابتداء التبليغ ليعلموا ويتفهموا وقال احمد بن حنبل اجمعت الامة على انها نزلت في الصلوة لعلكم ترحمون اى لترحموا بذلك وباعتبارکم به واتعاظكم بمواعظه واذكر ربك في نفسك خطاب للنبي ع والمراد به عام وقيل هو خطاب لمستمع القران والمعنى اذكر ربك في نفسك بالكلام من التسبيح والتهليل والتحميد وروى زرارة عن احدهما عليهما السلم قال معناه اذا كنت خلف امام تاتم به فانصت وسبح في نفسك بصفاته العلى واسمائه الحسنى تضرعا وخيفة يعنى بتضرع وخوف يعنى في الدعاء فان الدعاء بالتضرع والخوف من الله تعالى اقرب الى الاجابة وانما خص الذكر بالنفس لانه ابعد من الرياء عن الجبائي ودون الجهر من القول معناه ارفعوا اصواتكم قليلا فلا تجهروا بها جهارا بليغا حتى يكون عدلا بين ذلك كما قال ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وقيل انه امر للامام ان يرفع صوته في الصلوة مقدار ما يسمع من خلفه عن ابن عباس بالغدو والاصال اى بالغدوات والعشيات عن قتادة والمراد به دوام الذكر واتصاله وقيل انما خص هذين الوقتين لانهما حال فراغ عن طلب المعاش فيكون الذكر فيهما الصق بالقلب ولا تكن من الغافلين عما امرتك به من الدعاء والذكر وقيل ان الاية متوجهة الى من امر بالاستماع للقران والانصات وكانوا اذا سمعوا القرآن رفعوا اصواتهم بالدعاء عند ذكر الجنة او النار عن ابن زيد ومجاهد وابن جريج قال الجبائي وفي الاية دليل على ان الذين يرفعون اصواتهم عند الدعاء ويجهرون به مخطئون وعلى خلاف الصواب ثم ذكر سبحانه ما يبعث الى الذكر ويدعوا اليه فقال ان الذين عند ربك وهم الملئكة عن الحسن وغيره لا يستكبرون عن عبادته معناه انهم مع جلالة قدرهم وعلو

امرهم

امرهم يعبدونه الله ويذكرونه وفايدته انكم ان استكبرتم عن عبادته فمن هو اعظم حالا منكم لا يستكبر عنها وانما قال عند ربك تشريفا للملئكة باضافتهم الى نفسه ولم يرد به قرب المكان تعالى عن ذلك وتقدس وقيل معناه انهم في المكان الذي شرفه الله تعالى ولا يملك عليهم الحكم الا الله تعالى بخلاف البشر كما يقال عند الامير كذا وكذا من الجند والمراد انهم في حكمه وتحت امره وعند فلان كذا من المال ولا يراد به ان ذلك بحضرته وقال الزجاج من قرب رحمة الله وفضله فهو عند الله اي هو قريب من تفضله واحسانه ويسبحونه اي ينزهونه عما لا يليق به وله يسجدون اي يخضعون وقيل يصلون وقيل يسجدون في الصلوة عن الحسن ولا خلاف ان ههنا سجدة وهي اول سجدات القران واختلف في سجدة التلاوة هل هي واجبة فعند ابي حنيفة واجبة وعند الشافعي سنة موكدة واليه ذهب اصحابنا

سورة الانفال هي مدنية عن ابن عباس وقتادة غير سبع آيات نزلن بمكة واذ يمكر بك الذين كفروا الى اخرهن وقيل نزلت باسرها في غزاة بدر عن الحسن وعكرمة عدد آيها هي سبعون وسبع آيات شامي وست حجازي بصري وخمس كوفي اختلافها ثلث آيات ثم يغلبون بصري شامي مفعولا الاول غير الكوفي بنصره وبالمؤمنين غير البصري فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له وشاهد يوم القيمة انه برئ من النفاق واعطي من الاجر بعدد كل منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيات ورفع له عشر درجات وكان العرش وحملته يصلون عليه ايام حيوته في الدنيا وروى العياشي باسناده عن ابي بصير عن ابي عبد الله ع قال من قرا الانفال وبراءة في كل شهر لم يدخله نفاق ابدا وكان من شيعة امير المؤمنين حقا وياكل يوم القيمة من موايد الجنة معهم حتى يفرغ الناس من الحساب وعن محمد بن مسلم عن ابي جعفر ع قال في سورة الانفال جدع الانوف تفسيرها لما قص الله سبحانه في سورة الاعراف قصص الانبياء عليهم السلام وختمها بذكر نبينا صلى الله عليه وآله افتتح سورة الانفال بذكره ثم ما جرى بينه وبين قومه قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم

يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين آية

القراءة قرا ابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وعلي بن الحسين وابو جعفر محمد بن علي الباقر وزيد بن علي وجعفر بن محمد الصادق عليهم السلم وطلحة بن مصرف يسئلونك الانفال الحجة قال ابن جني هذه القراءة بالنصب مودية عن السبب للقراءة الاخرى التي هي عن الانفال وذلك انهم انما سالوه عنها تعرضا لطلبها واستعلاما لحالها هل يسوغ طلبها وهذه القراءة بالنصب اصرح بالتماس الانفال وبيان عن الغرض في السؤال عنها فان قلت هل يحسن حملها على حذف حرف الجر كانه قال يسئلونك عن الانفال فلما حذف عن نصب المفعول كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به قيل هذا شاذ انما يحمله الشعر فاما القرآن فيختار افصح اللغات وان كان قد جاء واختار موسى قومه واقعدوا لهم كل مرصد فان الاظهر ما قدمناه اللغة الانفال جمع نفل والنفل الزيادة على الشيء يقال نفلتك كذا اذا زدته قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل وباذن الله ريثي وعجل وقيل النفل العطية ونفلتك اعطيتك والنافلة عطية الطوع من حيث لا يجب ومنه نوافل الصلوة والنوفل الرجل الكثير العطية المعنى يسألونك اي يسألك يا محمد جماعة من اصحابك عن الانفال واختلف المفسرون في الانفال ههنا فقيل هي الغنايم التي غنمها النبي صلى الله عليه وآله يوم بدر وهو المروي عن عكرمة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وقيل هي انفال السرايا عن الحسن بن صالح بن حي وقيل هو ما شذ عن المشركين الى المسلمين من عبد او جارية من غير قتال او ما اشبه ذلك عن عطاء وقال هو للنبي خاصة يعمل به ما شاء وقيل هو ما سقط من المتاع بعد قسمة الغنايم من الفرس والدرع والرمح عن ابن عباس في رواية اخرى وروى عنه ايضا انه سلب الرجل وفرسه ينفل النبي صلى الله عليه وآله من شاء وقيل هي الخمس الذي جعله الله لاهل الخمس عن مجاهد في رواية اخرى وصحت الرواية عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم انهما قالا ان الانفال كل ما اخذ من دار الحرب بغير قتال وكل ارض انجلى اهلها عنها بغير قتال ويسميها الفقهاء فيئا وميراث من لا وارث له وقطايع الملوك اذا كانت في ايديهم من غير غصب والآجام وبطون الاودية والارضون الموات وغير ذلك مما هو مذكور في مواضعه وقالا هي لله وللرسول وبعده لمن قام مقامه يصرفه حيث شاء من مصالح نفسه ليس لاحد فيه شيء وقالا ان غنايم بدر كانت للنبي عليه السلم خاصة فسالوه ان يعطيهم وقد صح ان قراءة اهل البيت عليهم السلم يسألونك الانفال فقال الله سبحانه قل يا محمد الانفال لله والرسول وكذلك ابن مسعود وغيره انما قرأوا كذلك على هذا التأويل فعلى هذا فقد اختلفوا في كيفية سؤالهم النبي صلى الله عليه وآله فقال هؤلاء ان اصحابه سالوه ان يقسم غنيمة بدر بينهم فاعلمهم الله سبحانه ان ذلك لله ولرسوله دونهم وليس لهم في ذلك شيء

وروى ذلك ايضا عن ابن عباس وابن جريج والضحاك وعكرمة والحسن واختاره الطبري وقالوا ان عن صلة ومعناه يسالونك الانفال
ان تعطيهم ويويد هذا القول قوله فاتقوا الله الى اخر الآية ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم هي منسوخة باية الغنيمة وهي قوله واعلموا انما
غنمتم من شئ وقال بعضهم ليست بمنسوخة وهو الصحيح لان النسخ يحتاج الى دليل ولا تنافي بين هذه الاية واية الخمس وقال آخرون انهم
سالوا النبي صلى الله عليه وآله عن حكم الانفال وعلمها فقالوا لمن الانفال وتقديره يسالونك عن الانفال لمن هي ولهذا جاء الجواب بقوله
قل الانفال لله والرسول وقال اخرون انهم سالوه عن حال الغنايم وقسمتها وانها حلال ام حرام كما كانت حراما على من قبلهم فبين لهم
انها حلال واختلفوا ايضا في سبب سؤالهم فقال ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله قال يوم بدر من جاء بكذا فله كذا ومن جاء باسير
فله كذا فتسارع الشبان وبقي الشيوخ تحت الرايات فلما انقضى الحرب طلب الشبان ما كان قد نفلهم النبي صلى الله عليه وآله فقال
الشيوخ كنا ردا لكم ولو وقعت عليكم الهزيمة لرجعتم الينا وجرى بين ابي اليسر بن عمرو الانصاري اخي بني سلمة وبين سعد بن معاذ كلام
فنزع الله تعالى الغنايم منهم وجعلها لرسوله يفعل بها ما شاء فقسمها بينهم بالسوية وقال عبادة بن الصامت اختلفنا في النفل وساءت فيه
اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله الى رسوله فقسمه بيننا على السوية وكان ذلك في تقوى الله وطاعته وصلاح ذات البين وقال
سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت سعيد بن العاص بن امية واخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة فجئت به الى النبي صلى الله
عليه وآله واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اذهب فاطرحه في القبض فطرحت ورجعت وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي
واخذ سلبي وقلت عسى ان يعطى هذا من لم يبل ببلائه فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني الرسول وقد انزل الله يسئلونك الآية فخفت
ان يكون قد نزل في شئ فلما انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وآله قال يا سعد انك سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه
فهو لك وقال علي بن طلحة عن ابن عباس كانت المغانم لرسول الله خاصة ليس لاحد فيها شئ وما اصاب سرايا المسلمين من شئ اتوه به فمن
حبس منه ابرة او سلكا فهو غلول فسالوا رسول الله ان يعطيهم منها فنزلت الآية وملكها الله ورسوله يقسمها كما اراه الله وقال مجاهد
هي الخمس وذلك ان المهاجرين قالوا لم يرفع عنا هذا الخمس لم يخرج منا فقال الله تعالى قل الانفال لله والرسول يقسمانها كما شاءا او ينفلان
منها ما شاءا فاتقوا الله باتقاء معاصيه واتباع ما يامركم به رسوله واحذروا مخالفة امرهما واصلحوا ذات بينكم اى اصلحوا ما بينكم من الخصومة
والمنازعة وقوله ذات بينكم كناية عن المنازعة والخصومة والذات هي الخلقة والبنية يقال فلان في ذاته صالح اى في خلقته وبنيته يعني
اصلحوا نفس كل شئ بينكم واصلحوا حال كل نفس بينكم وقيل معناه واصلحوا حقيقة وصلكم كقوله لقد تقطع بينكم اي وصلكم والمراد كونوا مجتمعين
على ما امر الله تعالى ورسوله وكذلك معنى اللهم اصلح ذات البين اي اصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون عن الزجاج وهذا نهي من الله تعالى
عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من امر الغنيمة يوم بدر عن ابن عباس ومجاهد والسدي واطيعوا الله ورسوله اى اقبلوا ما امرتم به في الغنايم
وغيرها عن الزجاج ومعناه واطيعوهما فيما يامرانكم به وينهيانكم عنه ان كنتم مؤمنين مصدقين للرسول م فيما يأتيكم به من قبل الله كما
تدعون وفي تفسير الكلبي ان الخمس لم يكن مشروعا يومئذ وانما شرع يوم احد وفيه انما نزلت هذه الآية عرف المسلمون انه لا حق لهم في الغنيمة
وانها لرسول الله فقالوا يا رسول الله سمعا وطاعة فاصنع ما شئت فنزل قوله واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه اى ما غنمتم بعد بدر
وروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله قسم غنائم بدر عن بواء اى على سواء ولم يخمس قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون
حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ثلث ايات اللغة الوجل الخوف والفزع واحد يقال وجل يوجل
وييجل وياجل بالالف وبيجل اربع لغات حكاها سيبويه واجودها يوجل قال الشاعر لعمرك ما ادري واني لاوجل على اينا تعدو المنية
اول والتوكل هو الثقة بالله في كل ما يحتاج اليه يقال وكلت الامر الى فلان اذا جعلت اليه القيام به والوكيل القايم بالامر لغيره الاعراب
حقا منصوب بمعنى دلت عليه الجملة التي هي في قوله اولئك هم المؤمنون حقا والمعنى احق ذلك حقا المعنى لما قال سبحانه ان كنتم مؤمنين
بين صفة المؤمنين بقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اى خافت تعظيما له وذلك اذا ذكر عندهم عقوبته وعدله ووعيده
على المعاصي بالعقاب واقتداره عليه فاما اذا ذكر نعمة الله على عباده واحسانه اليهم وفضله ورحمته عليهم وثوابه على الطاعات اطمانت قلوبهم

وسكنت نفوسهم الى عفو الله كما قال سبحانه الا بذكر الله تطمئن القلوب فلا تنافي بين الايتين اذ وردتا في حالتين ووجه اخر وهو ان المؤمن
ينبغي ان يكون من صفته انه اذا نظر في نعم الله عليه ومنته لديه وعظيم مغفرته اطمأن قلبه وحسن بالله ظنه واذا ذكر عظيم معاصيه
بترك اوامره وارتكاب نواهيه وجل قلبه واضطربت نفسه والوجل الخوف مع شدة الحزن وانما يستعمل على الغالب في القلب واذا
تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا واذا قرئ عليهم القرآن زادتهم اياته تبصرة ويقينا على يقين عن الضحاك وقيل زادتهم تصديقا مع تصديقهم
بما انزل اليهم قبل ذلك عن ابن عباس والمعنى انهم يصدقون بالاولى والثانية والثالثة وكلما ياتي من عند الله فيزداد تصديقهم
وعلى ربهم يتوكلون اى يفوضون امورهم الى الله فيما يخافونه من السوء في الدنيا وقيل فيما يرجونه من قبول اعمالهم في الاخرة الذين
يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون قد مر تفسيره في سورة البقرة وانما خص الصلوة والزكوة بالذكر لعظم شانهما وتاكد امرهما
ليكون داعيا الى المواظبة على فعلهما اولئك هم المؤمنون حقا اى هؤلاء المستجمعون لهذه الخصال والحائزون لهذه الصفات هم
الذين استحقوا هذا الاسم على الحقيقة لهم درجات عند ربهم يعني درجات الجنة يرتقونها باعمالهم عن عطاء وقيل لهم اعمال رفيعة وفضايل
استحقوها في ايام حيوتهم عن مجاهد ومغفرة لذنوبهم ورزق كريم اي خطير كبير في الجنة وقيل كريم دايم كثير لا يشوبه ضرر ولا يعتريه كدر
ولا يخاف عليه فناء ولا نقصان ولا حساب من قولهم فلان كريم اذا كانت اخلاقه محموده واستدل من قال ان الايمان يزيد وينقص وان
افعال الجوارح من الايمان بهذه الايات فقالوا ان الله تعالى نفى ان يكون المؤمن غير متصف بهذه الصفات بلفظة انما فكانه قال لا يكون
احد مؤمنا الا ان يكون بهذه الصفات والجواب عنه ان هذه الصفات خيار المؤمنين وافاضلهم فكانه قال انما خيار المؤمنين من له
هذه الاوصاف وليس يمتنع ان يتفاضل المؤمنون في الطاعات وان لم يتفاضلوا في الايمان يدل على ذلك ان الاجماع حاصل على ان
وجل القلب ليس بواجب وانما هو من المندوبات وان الصلوة قد تدخل فيها الفرايض والنوافل والانفاق كذلك فعلمنا ان الاشارة بالاية
الى خيار المؤمنين واماثلهم فلا يدل اذا على ان من كان دونهم في المنزلة خارج عن الايمان وقد قال ابن عباس ان الله سبحانه اراد بذلك
ان المنافق لا يدخل قلبه خشية الله عند ذكره وان هذه الاوصاف المذكورة منتفية عنه قوله تعالى كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ
وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۝ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ
إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ
دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۝ اربع ايات اللغة المجادلة المنازعة التي يفتل بها من مذهب
الى مذهب سميت بذلك لشدتها واصل الجدل شدة الفتل ومنه الاجدل الصقر لشدته وزمام جديل شديد الفتل وقيل اصله من الجدالة
وهي الارض يقال طعنه فجدله اى اوقعه على الارض فكان المتجادلين يريد كل واحد منهما ان يرمي بخصمه الى الارض والسوق الحث على
السير والشوكة الحد يقال ما اشد شوكة بني فلان وفلان شاك في السلاح وشايك وشاك من الشكة وشاك مخفف مثل قولهم كبش
صاف كثير الصوف مثل صايف قال الشاعر فتوهولي اني انا ذاكم شاك سلاحي في الحوادث معلم واصله من الشوك ودابر الامر آخره ودابر
الرجل عقبه والحق وقوع الشيء في موضعه الذي هو له فاذا اعتقد شيء بضرورة او حجة فهو حق لانه قد وقع موقعه الذي هو له وعكسه
الباطل الاعراب في قوله كما اخرجك ربك قل الانفال لله والرسول لان في هذا معنى نزعها من ايديهم بالحق كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق وقيل تقديره يتعلق الانفال ثابت لله والرسول ثبوتا مثل ما اخرجك ربك اى هذا كاين لا محالة كما ان ذلك كان لا محالة وقيل
يتعلق بيجادلونك وتقديره يجادلونك في الحق كما كرهوا اخراجك من بيتك بالحق وقيل انه يعمل فيه معنى الحق بتقدير هذا الذكر الحق كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق وقوله انها لكم في موضع نصب على البدل من احدى الطايفتين وتقديره يعدكم ان احدى الطايفتين لكم ونظيره
هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم المعنى كما اخرجك ربك من بيتك يا محمد معناه على التقدير الاول قل الانفال لله ينزعها عنكم
مع كراهتكم ومشقة ذلك عليكم لانه اصلح لكم كما اخرجك ربك من بيتك مع كراهة فريق من المومنين ذلك لان الخروج كان اصلح لكم
من كونكم في بيتكم والمراد بالبيت هنا المدينه يعني خروج النبي صلى الله عليه وآله منها الى بدر ويكون معنى اخرجك ربك دعاك الى الخروج
وامرك به وحملك عليه كما يقال اخرجت زيدا عمرا واضربه واما على التقدير الثاني وهو ان يكون اتصاله بما بعده فيكون معناه يجادلونك

فی الحق کارهین له کما جادلوک یا محمد حین اخرجک ربک کارهین للخروج کرهوا کراهیة طباع فقال بعضهم کیف نخرج ونحن قلیل والعدو کثیر
وقال بعضهم کیف نخرج علی عمیاء لا ندری الی العیر نخرج ام الی القتال فشبه جدالهم بخروجهم لان القوم جادلوه بعد خروجهم کما جادلوه عند
الخروج فقالوا هلا اخبرتنا بالقتال فکنا نستعد لذلک فهذا هو جدالهم علی تاویل مجاهد واما علی التقدیر الثالث فمعناه ان هذا خیر لکم کما ان
اخراجک من بیتک علی کراهیة جماعة منکم خیر لکم وقریب منه ما جاء فی حدیث ابی حمزة فالله ناصرک کما اخرجک من بیتک وقوله بالحق ای بالوحی
وذلک ان جبرئیل ع اتاه وامره بالخروج وقیل معناه اخرجک ومعک الحق وقیل معناه اخرجک بالحق الذی وجب علیک وهو الجهاد وان فریقا
من المومنین ای طایفة منهم لکارهون لذلک للمشقة التی لحقتهم یجادلونک فی الحق بعد ما تبین معناه یجادلونک فیما دعوتهم الیه بعد ما عرفوا
صحته وصدقک بما ظهر علیک من المعجزات ومجادلتهم قولهم هلا اخبرتنا بذلک وهم یعلمون انک لا تامرهم عن الله الا بما هو حق وصواب وکانوا
یجادلون فیه لشدته علیهم یطلبون بذلک رخصة لهم فی التخلف عنه او فی تاخیر الخروج الی وقت آخر وقیل معناه یجادلونک فی القتال یوم
بدر بعد ما تبین صوابه وانه مامور به عن ابن عباس وقیل معناه بعد ما تبین لک انک یا محمد لا تصنع الا ما امرک الله به کانما یساقون الی الموت
وهم ینظرون معناه کان هؤلاء الذین یجادلونک فی لقاء العدو لشدة القتال علیهم حیث لم یکونوا مستعدین له ولکراهتهم له من حیث الطبع
کانوا بمنزلة من یساق الی الموت وهم یرونه عیانا وینظرون الی اسبابه واذ یعدکم الله احدی الطائفتین انها لکم یعنی اذکروا واشکروا الله اذ
یعدکم الله ان احدی الطایفتین اما العیر واما النفیر وتودون ان غیر ذات الشوکة تکون لکم ای تودون ان یکون لکم العیر وصاحبها ابو سفیان
بن حرب لئلا یلحقکم مشقة دون النفیر وهو الجیش من قریش قال الحسن کان المسلمون یریدون العیر ورسول الله یرید ذات الشوکة کنی بالشوکة
عن الحرب لما فی الحرب من الشدة عن قطرب وقیل ذات الشوکة ذات السلاح ویرید الله ان یحق الحق بکلماته معناه والله اعلم بالمصالح منکم فاراد ان
یظهر الحق بلطفه ویعز الاسلام ویظفرکم علی وجوه قریش ویهلکهم علی ایدیکم بکلماته السابقة وعداته فی قوله ولقد سبقت کلمتنا لعبادنا المرسلین
انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله لیظهره علی الدین کله ولو کره المشرکون وقیل بکلماته ای بامره لکم بالقتال ویقطع دابر الکافرین
ای یستاصلهم فلا یبقی منهم احدا ولو کره المشرکون یعنی کفار العرب لیحق الحق ای انما یفعل ذلک لیظهر الاسلام ویبطل الباطل ای الکفر
باهلاک اهله ولو کره المجرمون ای الکافرون وذکر البلخی عن الحسن ان قوله واذ یعدکم الله الایة نزلت قبل قوله کما اخرجک ربک من
بیتک بالحق وهی فی القراءة بعدها قصة غزاة بدر قال اصحاب السیر وذکر ابو حمزة وعلی بن ابراهیم فی تفسیریهما دخل حدیث بعضهم
فی بعض اقبل ابو سفیان بعیر قریش من الشام وفیها اموالهم وهی اللطیمة وفیها اربعون راکبا من قریش فندب النبی صلی الله علیه وآله
اصحابه للخروج الیها لیاخذوها وقال لعل الله ان ینفلکموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم ولم یظنوا ان رسول الله یلقی
کیدا ولا حربا فخرجوا لا یریدون الا ابا سفیان والرکب لا یرونها الا غنیمة لهم فلما سمع ابو سفیان بمسیر النبی صلی الله علیه وآله استاجر
ضمضم بن عمرو الغفاری فبعثه الی مکة وامره ان یاتی قریشا فیستنفرهم ویخبرهم ان محمدا قد تعرض لعیرهم فی اصحابه فخرج ضمضم سریعا
الی مکة وکانت عاتکة بنت عبد المطلب رات فیما یری النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو بثلث لیال ان رجلا اقبل علی بعیر له ینادی یا آل غالب
اغدوا الی مصارعکم ثم وافی بجمله علی ابی قبیس فاخذ حجرا فدهدهه من الجبل فما ترک دارا من دور قریش الا اصابته منه فلذة فانتبهت
فزعة من ذلک واخبرت العباس بذلک فاخبر العباس عتبة بن ربیعة فقال عتبة هذه مصیبة تحدث فی قریش وفشت الرؤیا فیهم
وبلغ ذلک ابا جهل فقال هذه نبیة ثانیة فی بنی عبد المطلب واللات والعزی لننظرن ثلثة ایام فان کان ما رات حقا والا لنکتبن کتابا
بیننا انه ما من اهل بیت من العرب اکذب رجالا ولا نساء من بنی هاشم فلما کان الیوم الثالث اتاهم ضمضم باعلی الصوت یا آل غالب یا آل
غالب اللطیمة اللطیمة العیر العیر ادرکوا وما اراکم تدرکون ان محمدا والصباة من اهل یثرب قد خرجوا یتعرضون لعیرکم فتهیاوا للخروج وما
بقی احد من عظماء قریش الا اخرج مالا لتجهیز الجیش وقالوا من لم یخرج نهدم داره وخرج معهم العباس بن عبد المطلب ونوفل بن
الحرث بن عبد المطلب وعقیل بن ابی طالب واخرجوا معهم القیان یضربون الدفوف وخرج رسول الله صلی الله علیه وآله فی ثلثمایة وثلثة عشر
رجلا فلما کان بقرب بدر اخذ عینا للقوم فاخبره بهم وفی حدیث ابی حمزة بعث رسول الله ص ایضا عینا له علی العیر اسمه عدی فلما قدم علی رسول الله
صلی الله علیه وآله فاخبره این فارق العیر نزل جبرائیل ع علی رسول الله صلی الله علیه وآله فاخبره بنفیر المشرکین من مکة فاستشار اصحابه فی

طلب العير وحرب النفير فقام ابو بكر فقال يا رسول الله انها قريش وخيلاؤها ما امنت منذ كفرت ولا ذلت منذ عزت ولم تخرج على هيئة الحرب
وفي حديث ابي حمزة وقال ابو بكر انا عالم بهذا الطريق فارق عدي العير بكذا وكذا سار وا وسر نا نحن والقوم على ماء بدر يوم كذا وكذا كانا فرسا رهان
فقال عليه السلام اجلس فجلس ثم قام عمر بن الخطاب فقال مثل ذلك فقال عليه السلام اجلس فجلس ثم قام المقداد فقال يا رسول الله انها قريش
وخيلاؤها وقد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به حق والله لو امرتنا ان نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه معك والله لا نقول
لك ما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول امض لامر ربك فانا معك مقاتلون فجزاه رسول الله
صلى الله عليه وآله خيرا على قوله ذلك ثم قال اشيروا على ايها الناس وانما يريد الانصار لان اكثر الناس منهم ولانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا
انا براء من ذمتك حتى تصل الى دارنا ثم انت في ذمتنا نمنعك مما نمنع ابناءنا ونساءنا فكان عليه السلام يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرته
الا على من دهمه بالمدينة من عدو ان ليس عليهم ان ينصروه خارج المدينة فقام سعد بن معاذ فقال بابي انت وامي يا رسول الله كانك اردتنا
فقال نعم قال بابي انت وامي يا رسول الله انا قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به حق من عند الله فمرنا بما شئت وخذ من اموالنا
ما شئت واترك منها ما شئت والله لو امرتنا ان نخوض هذا البحر لخضناه معك ولعل الله عز وجل يريك ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح
بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وقال سيروا على بركة الله فان الله قد وعدني احدى الطائفتين ولن يخلف الله وعده والله لكاني
انظر الى مصرع ابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وفلان وفلان وامر رسول الله صلى الله عليه وآله بالرحيل وخرج الى بدر
وهو بير وفي حديث ابي حمزة الثمالي وبدر رجل من جهينة والماء ماؤه فانما سمي الماء باسمه واقبلت قريش وبعثوا عبيدها ليستقوا من الماء
فاخذهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا لهم من انتم قالوا نحن عبيد قريش قالوا فاين العير قالوا لا علم لنا بالعير فاقبلوا يضربونهم
وكان رسول الله يصلي فانفتل من صلوته وقال ان صدقوكم ضربتموهم وان كذبوكم تركتموهم فاتوه بهم فقال لهم من انتم قالوا يا محمد نحن
عبيد قريش قال كم القوم قالوا لا علم لنا بعددهم قال كم ينحرون في كل يوم من جزور قالوا تسعة الى عشرة فقال رسول الله القوم تسع مائة
الى الف رجل وامر عليه السلام بهم فحبسوا وبلغ ذلك قريشا ففزعوا وندموا على مسيرهم ولقي عتبة بن ربيعة البختري بن هشام فقال اما ترى
هذا البغي والله ما ابصر موضع قدمي خرجنا لنمنع عيرنا وقد افلتت فجئنا بغيا وعدوانا والله ما افلح قوم بغوا قط ولوددت ان ما في العير من
اموال بني عبد مناف ذهبت ولم نسر هذا المسير فقال له ابو البختري انك سيد من سادات قريش فسر في الناس وتحمل العير التي اصابها محمد
واصحابه بنخلة ودم ابن الحضرمي فانه حليفك فقال له علي ذلك وما على احد منا خلاف الا ابن الحنظلية يعني ابا جهل فسر اليه واعلمه اني
حملت العير ودم ابن الحضرمي وهو حليفي وعلى عقله قال فقصدت خباءه وابلغته ذلك فقال ان عتبة يتعصب لمحمد فانه من بني عبد مناف
وابنه معه ويريد ان يخذل بين الناس لا واللات والعزى حتى نقحم عليهم يثرب او ناخذهم اسارى فندخلهم مكة وتتسامع العرب بذلك
وكان ابو حذيفة بن عتبة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وكان ابو سفيان لما جاز بالعير بعث الى قريش قد نجا الله عيركم فارجعوا
ودعوا محمدا والعرب وادفعوه بالراح ما اندفع وان لم ترجعوا فردوا القيان فلحقهم الرسول بالجحفة فاراد عتبة ان يرجع فابى ابو جهل وبنو
مخزوم وردوا القيان من الجحفة قال وفزع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله لما بلغهم كثرة قريش واستغاثوا وتضرعوا فانزل الله سبحانه اذ تستغيثون ربكم وما بعده

قوله تعالى إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ
قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ
بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا
الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ

ست ايات وبعد الاقدام اية وكل بنان اية بلا خلاف **القراءة** قرا اهل المدينة ويعقوب مردفين بفتح الدال والباقون مردفين بكسر الدال
وقرا اهل المدينة يغشيكم بضم الياء وسكون الغين النعاس بالنصب وقرا ابن كثير وابو عمرو يغشاكم بالالف وفتح الياء النعاس بالرفع
والباقون يغشيكم بضم الياء وفتح الغين والتشديد النعاس بالنصب وفي الشواذ قراءة الشعبي ما ليطهركم به ما بمعنى الذي

عشر ع ١٥

قال ابو علي مردفين يحتمل وجهين احدهما ان يكون مردفين مثلهم كما قالوا اردفت زيدا خلفي فيكون فى الاية المفعول الثاني محذوفا والاخر
ان يكونوا جاءوا خلفهم تقول العرب بنوا فلان يردفوننا اي يجيئون بعدنا وقال ابو عبيدة مردفين جاؤا بعد وردفني واردفني واحد
قال الشاعر اذا الجوزاء اردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا وهذا الوجه كانه ابين لقوله اذ تستغيثون ربكم الى قوله مردفين اي جائين
بعد لاستغاثتكم ربكم وامداده اياكم به فمردفين على هذا صفة لالف وقال الزجاج معناه يأتون فرقة بعد فرقة ومردفين على اردفوا
الناس اي انزلوا بعدهم فيجوز على هذا ان يكون حالا من الضمير المنصوب فى ممدكم مردفين بالف من الملئكة وقرئ فى الشواذ مردفين ومردفين
والاصل فيهما مرتدفين فادغم التاء فى الدال فلما التقى ساكنان حرك الراء لالتقاء الساكنين فضمت تارة اتباعا لضمة الميم وكسرت تارة لان
الساكن يحرك بالكسر ومن قرا يغشيكم ويغشيكم فلانه اشبه بما بعده من قوله وينزل عليكم فكما انه مسند الى اسم الله فكذلك يغشي ويغشي
ومن قرا يغشاكم فانه اسند الفعل الى النعاس كما فى قوله امنة نعاسا يغشى واغشى معناهما واحد وقد جاءا في التنزيل قال سبحانه فاغشيناهم
وقال فغشيها ما غشى ومن قرا ما ليطهركم به فان ما ههنا موصولة وصلتها حرف الجر بما بعده فكانه قال ما للطهور كقولك كسوت الثوب
الذي لدفع البرد هذه اللام فى قراءة الجماعة ماء ليطهركم به هي لام المفعول له وهي كقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ويتعلق بنفس الفعل
واللام التي فى قراءة الجماعة من قرا ما ليطهركم به اي الذي للطهارة به فتتعلقة بمحذوف وفيهما ضمير لتعلقها بالمحذوف اللغة الرعب الخوف
يقال رعبته ارعبه رعبا ورعبا والرعب انزعاج النفس بتوقع المكروه واصله التقطيع من قولهم رعبت السنام ترعيبا اذا قطعته مستطيلا
فالرعب تقطع حال السرور بضده من انزعاج النفس بتوقع المكروه ورعب السيل فهو راعب اذا امتلأ منه الوادي لانه انقطع اليه من كل
جهة والبنان الاطراف من اليدين والرجلين والواحد بنانة واصله اللزوم من ابنت السحابة ابنانا اذا لزمت قال الشاعر الا ليتني قطعت منه
بنانه ولاقيته فى البيت يقظان حاذرا الشقاق العصيان واصله الانفصال يقال شقه فانشق وشاقه شقاقا اذا صار فى شق عدوه عليه ومنه
اشتقاق الكلام لانه انفصال الكلمة عما تحتمله فى الاصل الاعراب العامل فى اذ من قوله اذ تستغيثون قوله ويبطل الباطل وقيل محذوف
وتقديره اذكروا اذ فعلى الوجه الاول يكون متصلا بما قبله وعلى الوجه الثاني يكون مستطلقا والهاء فى جعله عايدة على الامداد لانه
معتمد الكلام وقيل عايدة على الخبر بالمدد لان تقديم ذلك اليهم بشارة على الحقيقة وقيل عايدة الى الارادات وامنة انتصب بانه مفعول له
والعامل فيه يغشى اذ يوحي فى موضع نصب على معنى وما جعله الله الا بشرى فى ذلك الوقت ويجوز ان يكون على تقدير واذكروا اذ يغشيكم
النعاس واذ يوحي ذلكم فذوقوه تقديره الامر ذلكم فيكون خبر مبتداء محذوف فيكون كما قال الشاعر وقائلة خولان فانكح فتاتهم واكرومة
الحيين خلو كما هيا اي هذه خولان ويجوز ان يكون ذلكم منصوب الموضع فيكون مثل قولهم زيدا فاضربه منصوبا بفعل مضمر يفسره الظاهر
والكم فى ذلكم لا موضع له من الاعراب لانه حرف الخطاب وان للكافرين يحتمل ان يكون موضعه نصبا وجرا ورفعا فالرفع بالعطف على
ذلكم فكانه قال الامر ذلكم وان للكافرين عذاب النار مع ذا والنصب بالعطف على قوله اني معكم ومعناه اذ يوحي ربك ان للكافرين والجر
على ان يكون معطوفا على قوله بانهم شاقوا الله والرفع الحق بالظاهر ويشاقق باظهار التضعيف مع الجزم لغة اهل الحجاز وغيرهم يدغم النزول
قال ابن عباس لما كان يوم بدر واصطف القوم للقتال قال ابو جهل اللهم اولانا بالنصر فانصره واستغاث المسلمون فنزلت الملئكة ونزل
قوله اذ تستغيثون الى آخره وقيل ان النبي صلى الله عليه وآله لما نظر الى كثرة عدد المشركين وقلة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال اللهم
انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال يهتف ربه مادا يديه حتى سقط رداؤه من منكبه فانزل الله
تعالى اذ تستغيثون ربكم الاية عن عمر بن الخطاب والسدي وابي صالح وهو المروي عن ابي جعفر ع قال ولما امسى رسول الله صلى الله عليه
وجنه الليل القى الله على اصحابه النعاس وكانوا قد نزلوا فى موضع كثير الرمل لا يثبت فيه قدم فانزل الله عليهم المطر رذاذا حتى لبد وثبت
اقدامهم وكان المطر على قريش مثل العزالى والقى الله فى قلوبهم الرعب كما قال الله تعالى سالقي فى قلوب الذين كفروا الرعب الاية المعنى
ثم ذكر سبحانه ما اتى المسلمين من النصر فقال اذ تستغيثون ربكم اي تستجيرون بربكم يوم بدر من اعدائكم وتسألونه النصر عليهم لقلتكم وكثرتهم
فلم يكن لكم مفزع الا التضرع اليه والدعاء له فى كشف الضر عنكم والاستغاثة طلب المعونة والغوث وقيل معناه تستنصرون والفرق بين المستنصر
والمستجير ان المستنصر طالب الظفر والمستجير طالب الخلاص فاستجاب لكم والاستجابة هي العطية على موافقة المسألة فمعناه فاغاثكم و

بجاب

اجاب دعاكم انى ممدكم اي مرسل اليكم مددا لكم بالف من الملئكة مردفين اى متبعين الفا اخر من الملئكة لان مع كل واحد منهم ردف له عن الجبائى وقيل
معناه مترادفين متتابعين وكانوا الفا بعضهم فى اثر بعض عن ابن عباس وقتادة و السدى وقيل معناه بالف من الملئكة جاؤا على اثار المسلمين
عن ابى حاتم وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم عنها والا فملك واحد كاف للتدمير عليهم كما فعل جبرئيل عليه السلم بقوم لوط فاهلكهم
بريشة واحدة واختلف فى ان الملئكة هل قاتلت يوم بدر ام لا فقيل ما قاتلت ولكن شجعت وكثرت سواد المسلمين وبشرت بالنصر عن الجبائى
وقيل انها قاتلت قال مجاهد انما امدهم بالف مقاتل من الملئكة فاما ما قاله سبحانه فى ال عمران بثلثة الاف وبخمسة الاف فانه للبشارة وقد
ذكرنا هناك ما قيل فيه وروى عن ابن مسعود انه سال ابو جهل من اين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل الملئكة فقال هم غلبونا
لا انتم وعن ابن عباس ان الملئكة قاتلت يوم بدر وقتلت وما النصر الا من عند الله معناه انه لم يكن النصر من قبل الملئكة وانما كان من قبل الله
لانهم عباده ينصر بهم من يشاء كما ينصر بغيرهم ويحتمل ان يكون المعنى ما النصر بكثرة العدد ولكن النصر من عند الله ينصر من يشاء قل العدد
ام كثر ان الله عزيز لا يمنع عن مراده حكيم فى افعاله يجريها على ما تقتضيه الحكمة اذ يغشيكم النعاس قد ذكرنا تفسيره عند قوله ثم انزل عليكم من
بعد الغم امنة نعاسا والنعاس اول النوم قبل ان يثقل امنة اي امانا منه اي من العدو وقيل من الله فان الانسان لا يأخذه النوم فى حال
الخوف فامنهم الله تعالى بزوال الرعب عن قلوبهم كما يقال الخوف مسهر والامن منيم والامنة الدعة التى تنافى المخافة وايضا فانه قواهم
بالاستراحة على القتال من العدو وينزل عليكم من السماء ماء اى مطرا ليطهركم به وذلك لان المسلمين قد سبقهم الكفار الى الماء فنزلوا على كثيب
رمل واصبحوا محدثين ومجنبين واصابهم الظماء ووسوس اليهم الشيطان فقال ان عدوكم قد سبقكم الى الماء وانتم تصلون مع الجنابة والحدث
وتسوخ اقدامكم فى الرمل فمطرهم الله حتى اغتسلوا به من الجنابة وتطهروا به من الحدث وتلبدت به ارضهم واوحلت ارض عدوهم ويذهب
عنكم رجز الشيطان اى وسوسته بما مضى ذكره عن ابن عباس وقيل معناه و يذهب عنكم وسوسته بقوله ليس لكم بهؤلاء طاقة عن ابن زيد وقيل
معناه ويذهب عنكم الجنابة التى اصابتكم بالاحتلام وليربط على قلوبكم اي وليشد على قلوبكم ومعناه ويشجع قلوبكم ويزيدكم قوة قلب وسكون
نفس وثقة بالنصر ويثبت به الاقدام اي اقدامكم فى الحرب بتلبيد الرمل عن ابن عباس ومجاهد وجماعة وقيل بالصبر وقوة القلب عن
ابى عبيدة والهاء فى به يرجع الى الماء المنزل وقيل الى ما تقدم من الربط على القلوب اذ يوحى ربك الى الملئكة انى معكم يعنى الملئكة الذين
امدبهم المسلمين اى انى معكم بالمعونة والنصرة كما يقال فلان مع فلان على فلان والايحاء القاء المعنى الى النفس من وجه يخفى وقد يكون
ذلك بنصب دليل يخفى الا على من القى اليه من الملئكة فثبتوا الذين امنوا يعنى بشروهم بالنصر وكان الملك يسير امام الصف فى صورة
الرجل فيقول ابشروا فان الله ناصركم عن مقاتل وقيل معناه قاتلوا معهم المشركين عن الحسن وقيل ثبتوهم باشياء تلقونها فى قلوبهم يقوون
بها عن الزجاج سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب اى الخوف من اوليائى فاضربوا فوق الاعناق يعنى الرؤس لانها فوق الاعناق
قال عطاء يريد كل هامة وجمجمة وجائز ان يكون هذا امر للمؤمنين وجائز ان يكون امر للملئكة وهو الظاهر قال ابن الانبارى ان الملئكة حين
امرت بالقتال لم تعلم اين تقصد بالضرب من الناس فعلمهم الله تعالى واضربوا منهم كل بنان يعنى الاطراف من اليدين والرجلين عن
ابن عباس وابن جريح والسدى وقيل يعنى اطراف الاصابع اكتفى الله به من جملة اليد والرجل عن ابن الانبارى ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله
معناه ذلك العذاب لهم والامر بضرب الاعناق والاطراف وتمكين المسلمين منهم بسبب انهم خالفوا الله ورسوله قال ابن عباس معناه
حاربوا الله وحاربوا رسوله ثم اوعد المخالف فقال ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب فى الدنيا بالاهلاك وفى الاخرة
بالتخليد فى النار ذلكم فذوقوه اى هذا الذى اعددته لكم من الاسر والقتل فى الدنيا فذوقوه عاجلا وان للكافرين فى الاخرة عذاب النار
معناه كونوا للعذاب كالذائق للطعام وهو الطالب ادراك الطعم بتناول اليسير بالفم لان معظم العذاب بعده تمام القصة
ولما اصبح رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر عبا اصحابه فكان فى عسكره فرسان فرس للزبير بن العوام وفرس للمقداد بن الاسود وكان
فى عسكره سبعون جملا يتعاقبون عليها وكان رسول الله وعلى بن ابى طالب ومرثد بن ابى مرثد الغنوي يتعاقبون على جمل لمرثد بن ابى مرثد
وكان فى عسكر قريش اربع مائة فرس وقيل مائتا فرس فلما نظرت قريش الى قلة اصحاب رسول الله قال ابو جهل ما هم الا اكلة راس لو بعثنا
اليهم عبيدنا لاخذوهم اخذا باليد فقال عتبة بن ربيعة اترى لهم كمينا او مددا فبعثوا عمير بن وهب الجمحى وكان شجاعا فجال بفرسه

حتى طاف على عسكر رسول الله ثم رجع فقال ما لهم كمين ولا مدد ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع اما ترونهم خرسا لا يتكلمون
ويتلمظون تلمظ الافاعي ما لهم ملجأ الا سيوفهم وما اراهم يولون حتى يقتلوا ولا يقتلون حتى يقتلوا بعددهم فارتأوا رأيكم فقال ابو جهل كذبت
وجبنت فانزل الله سبحانه وان جنحوا للسلم فاجنح لها فبعث اليهم رسول الله فقال يا معشر قريش انى اكره ان ابدأكم فخلونى والعرب وارجعوا
فقال عتبه ما رد هذا قوم قط فافلحوا ثم ركب جملا له احمر فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يجول بين العسكرين وينهى عن القتال
فقال عليه السلم ان يك عند احد خير فعند صاحب الجمل الاحمر ان يطيعوه يرشدوا وخطب عتبه فقال فى خطبته يا معشر قريش اطيعونى اليوم
واعصونى الدهر ان محمدا له ال وذمة وهو ابن عمكم فخلوه والعرب فان يك صادقا فانتم على عينا به وان يك كاذبا كفتكم ذؤبان العرب امره
فغاض اباجهل قوله قال له جبنت وانتفخ سحرك فقال يا مصفر استه مثلى يجبن ستعلم قريش اينا الام واجبن واينا المفسد لقومه ولبس
درعه وتقدم هو واخوه شيبه وابنه الوليد وقال يا محمد اخرج الينا اكفانا من قريش فبرز اليه ثلثة نفر من الانصار وانتسبوا لهم فقالوا
ارجعوا انما نريد الاكفاء من قريش فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله الى عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وكان له يومئذ سبعون سنه
قال قم يا عبيدة ونظر الى حمزة فقال قم يا عم ثم نظر الى على بن ابى طالب ع فقال قم يا على وكان اصغر القوم فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله
لكم فقد جاءت قريش بخيلاءها وفخرها تريد ان تطفئ نور الله ويأبى الله الا ان يتم نوره ثم قال يا عبيدة عليك بعتبة بن ربيعة وقال
لحمزة عليك بشيبة وقال لعلى عليك بالوليد فمروا حتى انتهوا الى القوم فقالوا اكفاء كرام فحمل عبيدة على عتبه فضربه على راسه ضربة
فلقت هامته وضرب عتبه عبيدة على ساقه فاطنها فسقطا جميعا وحمل شيبه على حمزه فتضاربا بالسيفين حتى انثلما وحمل امير المؤمنين
على الوليد فضربه على حبل عاتقه فاخرج السيف من ابطه قال على لقد اخذ الوليد يمينه بيساره فضرب بها هامتى فظننت ان السماء وقعت
على الارض ثم اعتنق حمزة وشيبه فقال المسلمون يا على اما ترى الكلب قد نهز عمك فحمل عليه على ع ثم قال يا عم طاطى راسك وكان حمزة
اطول من شيبه فادخل حمزة راسه فى صدره فضربه على فطرح نصفه ثم جاء الى عتبه وبه رمق فاجهز عليه وفى رواية اخرى انه برز حمزة
لعتبة وبرز عبيدة لشيبة وبرز على للوليد فقتل حمزة عتبه وقتل عبيدة شيبه وقتل على الوليد وضرب شيبه رجل عبيده فقطعها فاستنقذه حمزة
وعلى وحمل عبيدة حمزة وعلى حتى اتيا به رسول الله صلى الله عليه وآله فاستعبر فقال يا رسول الله الست شهيدا قال بلى انت اول شهيد من اهل
بيتى وقال ابو جهل لقريش لا تعجلوا ولا تبطروا كما بطر ابناء ربيعه عليكم باهل يثرب فاجزروهم جزرا وعليكم بقريش فخذوهم اخذا حتى ندخلهم
مكة فنعرفهم ضلالتهم التى هم عليها وجاء ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم فقال لهم انا جار لكم ادفعوا الى رايتكم فدفعوا اليه راية
الميسرة وكانت الراية مع بنى عبد الدار فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لاصحابه غضوا ابصاركم وعضوا على النواجذ ورفع
يده فقال يا رب هذه العصابة ان لم تنصرها لا تعبد ثم اصابه الغشى فسرى عنه وهو يسلت العرق عن وجهه فقال هذا جبريل قد اتاكم
فى الف من الملئكة مردفين وروى ابو امامة بن سهل بن حنيف عن ابيه قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا يشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه
من جسده قبل ان يصل اليه السيف قال ابن عباس حدثنى رجل من بنى غفار قال اقبلت انا وابن عم لى حتى اصعدنا فى جبل يشرف بنا على
بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعه على من تكون الدبرة فبينا نحن هناك اذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول اقدم
حيزوم قال فاما ابن عمى فانكشف قناع قلبه فمات مكانه واما انا فكدت اهلك ثم تماسكت وروى عكرمة عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه
وآله قال يوم بدر هذا جبرائيل اخذ براس فرسه عليه اداة الحرب اورده البخارى فى الصحيح قال عكرمة قال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه
كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام قد دخلنا اهل البيت واسلمت ام الفضل واسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره ان
يخالفهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق فى قومه وكان ابو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن
المغيرة وكذلك صنعوا لم يتخلف رجل الا بعث رجلا مكانه فلما جاء الخبر عن مصاب اصحاب بدر من قريش كبته الله واخزاه ووجدنا فى
انفسنا قوة وعزا قال وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل القداح انحتها فى حجرة زمزم فوالله انى لجالس فيها انحت القداح وعندى ام الفضل
جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر اذ اقبل الفاسق ابو لهب يجر رجليه حتى جلس على طنب الحجرة وكان ظهره الى ظهرى فبينا هو جالس اذ قال
الناس هذا ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وقد قدم فقال ابو لهب هلم الى يا ابن اخى فعندك الخبر فجلس اليه والناس قيام عليه فقال

يا ابن اخي اخبرني كيف كان امر الناس قال لا شيء والله ان كان الا ان لقيناهم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ما تليق شيئا ولا يقوم لها شيء قال ابو رافع فرفعت طرف الحجرة بيدي ثم قلت تلك الملائكة قال فرفع ابو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة فثاورته فاحتملني فضرب بي الارض ثم برك علي يضربني وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام الفضل الى عمود من عمد الحجرة فاخذته فضربته ضربة فلقت راسه شجة منكرة وقالت تستضعفه ان غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتله ولقد تركه ابناه ليلتين او ثلثا ما يدفنانه حتى انتن في بيته وكانت قريش تتقي العدسة كما يتقي الناس الطاعون حتى قال لهم رجل من قريش ويحكما الا تستحيان ان اباكما قد انتن في بيته لا تغيبانه فقالا انا نخشى هذه القرحة قال فانطلقا فانا معكما فما غسلوه الا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يمسونه ثم احتملوه فدفنوه باعلى مكة الى جدار وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه مقسم عن ابن عباس قال كان الذي اسر العباس ابا اليسر كعب بن عمرو اخا بني سلمة وكان ابو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله لابي اليسر كيف اسرت العباس يا ابا اليسر فقال يا رسول الله لقد اعانني عليه رجل ما رايته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذى وكذى فقال صلى الله عليه وآله لقد اعانك عليه ملك كريم **قوله تعالى** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ثلث آيات اللغة اللقاء الاجتماع على وجه المقاربة لان الاجتماع قد يكون على غير وجه المقاربة فلا يكون لقاء كاجتماع الاعراض في المحل الواحد الزحف الدنو قليلا قليلا والتزاحف التداني يقال زحف يزحف زحفا وازحفت للقوم اذا دنوت لقتالهم وثبت لهم قال الليث الزحف جماعة يزحفون الى عدوهم بمرة وجمعه زحوف والتولية جعل الشيء يلي غيره يقال ولاه دبره اذا جعله يليه فهو يتعدى الى مفعولين ومنه ولاه البلد من ولاية الامارة وتولى هو اذا قبل الولاية وولاه نعمة لانه جعلها تليه والتحرف الزوال عن جهة الاستواء الى جهة الحرف ومنه الاحتراف وهو ان يقصد جهة الحرف لطلب الرزق والمحارف المحدود عن جهة الرزق الى جهة الحرف ومنه حروف الهجاء لانها اطراف الكلمة كحرف الجبل ونحوه والتحيز طلب حيز يتمكن فيه والحيز المكان الذي فيه الجوهر والفئة القطعة من الناس وهي جماعة منقطعة عن غيرها وذكر الفئة في هذا الموضع حسن جدا وهو من فاءت راسه بالسيف اذا قطعته الاعراب زحفا نصب على المصدر وهو في موضع الحال لان معناه متزاحفين مجتمعين ومتحرفا ومتحيزا منصوبان على الحال ايضا ويجوز ان يكون النصب فيهما على الاستثناء اي الا ان يكون رجلا متحيزا او ان يكون منفردا فينحاز ليكون مع المقاتلة ويومئذ يجوز اعرابه وبناؤه فالاعراب لانه متمكن اضيف على تقدير الاضافة الحقيقية كقولك هذا يوم ذاك واما البناء فلانه اضيف الى مبني اضافة غير حقيقية فاشبه الاسماء المركبة المعنى لما امد سبحانه المسلمين بالملائكة ووعدهم النصر والظفر بالكفار نهاهم عقيبه عن الفرار فقال سبحانه يا ايها الذين آمنوا قيل انه خطاب لاهل بدر وقيل هو عام اذا لقيتم الذين كفروا زحفا اي متدانين لقتالكم قال الزجاج معناه اذا واقفتموهم للقتال فلا تولوهم الادبار يعني فلا تجعلوا ظهوركم مما يليهم اي فلا تنهزموا ومن يولهم يومئذ دبره اي ومن يجعل ظهره اليهم يوم القتال ووجهه الى جهة الانهزام واراد بقوله يومئذ ذلك الوقت ولم يرد به بياض النهار خاصة دون الليل الا متحرفا لقتال اي الا تاركا موقفا الى موقف آخر اصلح للقتال من الاول عن الحسن وقيل معناه الا منعطفا مستطردا كانه يطلب عورة يمكنه اصابتها فيتحرف عن وجهه ويري انه يفر ثم يكر والحرب كر وفر او متحيزا الى فئة اي منحازا منضما الى جماعة من المسلمين يريدون العود الى القتال ليستعين بهم فقد باء بغضب من الله اي احتمل غضب الله واستحقه وقيل رجع بغضب من الله ومأواه جهنم اي مرجعه الى جهنم وبئس المصير واكثر المفسرين على ان هذا الوعد خاص بيوم بدر خاصة ولم يكن لهم يومئذ ان ينحازوا لانه لم تكن يومئذ في الارض فئة للمسلمين فاما بعد ذلك فان المسلمين بعضهم فئة لبعض وهو قول ابي سعيد الخدري وابن عباس في رواية الكلبي والحسن وقتادة والضحاك وقد وردت الرواية عن ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله في سرية فلقوا العدو فحاص الناس حيصة واتينا المدينة ففتحنا بابها وقلنا يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وقيل انه عام في جميع الاوقات ان من فر من الزحف اذا لم يزيدوا على ضعفي المسلمين لحقه الوعيد عن ابن عباس وفي رواية اخرى وهو قول الجبائي وابي مسلم ثم نفى سبحانه

ان يكون المسلمون قتلوا المشركين يوم بدر فقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وانما نفى الفعل عمن هو فعله على الحقيقة ونسبه الى نفسه وليس
بفعل له من حيث كانت افعاله تعالى كالسبب لهذا الفعل والمؤدى اليه من اقداره اياهم ومعونته لهم وتشجيع قلوبهم والقاء الرعب في قلوب
اعدائهم المشركين حتى قتلوا وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى خطاب للنبي صلى الله عليه وآله ذكر جماعة من المفسرين كابن عباس وغيره ان
جبرئيل عليه السلم قال للنبي عليه السلم يوم بدر خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لما التقى الجمعان لعلي عليه السلم
اعطني قبضة من حصباء الوادي فناوله كفا من حصى عليه تراب فرمى به في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا دخل
في عينه ومنخريه منها شيء ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وكانت تلك الرمية سبب هزيمة القوم وقال قتادة وانس ذكر لنا ان
رسول الله صلى الله عليه وآله اخذ يوم بدر ثلث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين اظهرهم وقال
شاهت الوجوه فانهزموا فعلى هذا انما اضاف الرمي الى نفسه لانه لا يقدر احد غيره على مثله فانه من عجايب المعجزات وليبلى المؤمنين
منه بلاء حسنا اى ولينعم عليهم نعمة حسنة اى فعل ذلك انعاما على المؤمنين والضمير في منه راجع الى النصر اى من ذلك النصر ويجوز
ان تكون راجعة الى الله تعالى ان الله سميع لدعائكم عليم بافعالكم وضمائركم وانما يقال للنعمة بلاء كما يقال للمضرة بلاء لان اصل البلاء ما
يظهر به الامر من الشكر او الصبر فيبتلي سبحانه عباده اى يختبرهم بالنعم ليظهر شكرهم عليها وبالمحن والشدايد ليظهر عندها الصبر الموجب
للاجر والبلاء الحسن هنا هو النصر والغنيمة والاجر والمثوبة النظم وقيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها وجهان احدهما انه
سبحانه لما امرهم بالقتال في الآية المتقدمة ذكر عقيبها ان ما كان من الفتح يوم بدر وقهر المشركين انما كان بنصرته ومعونته تذكيرا
للنعمة عن ابي مسلم والآخر انهم لما امروا بالقتال ثم كان بعضهم يقول انا قتلت فلانا وانا فعلت كذا نزلت الآية على وجه التنبيه لهم
لئلا يعجبوا باعمالهم قوله تعالى ذٰلِكُمْ وَاَنَّ اللّٰهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ اِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَاِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَاِنْ تَعُودُوا
نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَاَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اَطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَاَنْتُمْ
تَسْمَعُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ اربع آيات القراءة قرأ اهل الحجاز وابو عمرو ويعقوب برواية روح
موهن بالتشديد غير منون كيد بالجر على الاضافة وقرأ الباقون موهن بالتخفيف والتنوين كيد بالنصب وقرأ اهل المدينة وابن عامر و
حفص وان الله مع المؤمنين بفتح الالف والباقون بكسر الالف الحجة من قرأ موهن فانه من اوهنته اى جعلته واهنا ومن شدد
فانه من وهنته كما يقال فرح وفرحته وكلاهما حسن ومن قرأ وان الله بكسر الهمزة فانه قطعه مما قبله ويقويه انهم زعموا ان في حرف عبد
الله والله مع المؤمنين ومن فتح الهمزة فوجهه ان يكون على تقدير لان الله مع المؤمنين اى لذلك لن تغني عنكم فئتكم اللغة الاستفتاح
طلب الفتح وهو النصر الذي يفتح فيه بلاد العدو والفتح ايضا الحكم ويقال للقاضي الفتاح واصل الباب من الفتح الذي هو ضد الاغلاق
والانتهاء ترك الفعل لاجل النهي عنه يقال نهيته فانتهى وامرته فائتمر الاعراب ذلكم موضعه رفع وكذلك ان الله في موضع رفع و
تقديره الامر ذلكم والامر ان الله موهن وكذلك الوجه فيما تقدم من قوله ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار ومن قال ان ذلكم
مبتدأ وفذوقوه خبره فقد اخطأ لان ما بعد الفاء لا يكون خبر المبتدأ لا يجوز زيد فمنطلق ولا زيد فاضربه الا ان تضمر هذا تريد هذا
زيد فاضربه المعنى ذلكم اشارة الى بلاء المؤمنين خاطبهم سبحانه بعد ان اخبر عنهم ومعناه الامر ذلكم الانعام او ذلكم الذي ذكرت
وان الله موهن كيد الكافرين بالقاء الرعب في قلوبهم وتفريق كلمتهم قال ابن عباس تقول انى قد اوهنت كيد عدوكم حتى قتلت جبابرتهم
واسرت اشرافهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قيل انه خطاب للمشركين فان ابا جهل قال يوم بدر حين التقى الفئتان اللهم اقطعنا للرحم
واتانا بما لا يعرف فانصر عليه عن الحسن ومجاهد والزهري والضحاك والسدي وفي حديث ابي حمزة قال ابو جهل اللهم ربنا ديننا القديم
ودين محمد الحديث فاي الدينين كان احب اليك وارضى عندك فانصر اهله اليوم وعلى هذا فيكون معناه ان تستنصروا لاهدى الفئتين
فقد جاءكم النصر اى نصر محمد واصحابه وقيل انه خطاب للمؤمنين عن عطاء وابي علي الجبائي ومعناه ان تستنصروا على اعدائكم فقد جاءكم
النصر بالنبي صلى الله عليه وآله قال الزجاج ويجوز ان يكون معناه ان تستحكموا وتستقضوا فقد جاءكم القضاء والحكم من الله وان
تنتهوا اى تمتنعوا من الكفر وقتال الرسول والمؤمنين فهو خير لكم وان تعودوا نعد معناه وان تعودوا ايها المشركون الى قتال المسلمين نعد بال

ع ١٦ عشر

تنفرهم

تنصرهم عليكم ويأمرهم بقتالكم ولن تغني عنكم فئتكم شيئا اي ولن تدفع عنكم جماعتكم ولو كثرت وان الله مع المؤمنين بالنصر والحفظ يمكنهم منهم ويخرجهم
عليكم عن جماعة المفسرين وقيل معناه وان ينتهوا ايها المسلمون عما كان منكم في الغنايم وفي الاسارى من مخالفة الرسول فهو خير لكم وان تعودوا
الى ذلك الصنيع نعد الى الانكار عليكم وترك نصرتكم ولن تغني حينئذ جمعكم شيئا اذ منعنا كم النصر عن عطاء والجبائي ثم امر سبحانه بالطاعة التي
هي سبب النصرة فقال يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله خص المؤمنين بطاعة الله ورسوله وان كانت واجبة على غيرهم ايض لانه لم يعتد
بغيرهم لاعراضهم عما وجب عليهم ويجوز ان يكون انما خصهم اجلالا لقدرهم ويدخل غيرهم فيه على طريق التبع ولا تولوا عنه اي ولا تعرضوا عن
سبيل الله وانتم تسمعون دعاءه لكم وامره ونهيه اياكم عن ابن عباس وقيل معناه وانتم تسمعون الحجة الموجبة لطاعة الله وطاعة رسوله
عن الحسن ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون في الكلام حذف ومعناه ولا تكونوا كهم في قولهم هذا المنكر فحذف المنهي عنه لدلالة
الحال عليه وفي ذلك غاية البلاغة ومعنى قولهم سمعنا وهم لا يسمعون انهم سمعوه سماع عالم قابل له وليسوا كذلك والسماع بمعنى القبول
كما في قوله سمع الله لمن حمده وهؤلاء هم المنافقون عن ابن اسحق ومقاتل وابن جريج والجبائي وقيل هم اهل الكتاب من اليهود من قريظة والنضير
عن ابن عباس والحسن وقيل انهم مشركوا العرب لانهم قالوا سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قوله تعالى ان شر الدواب عند الله الصم البكم
الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون آيتان اللغة الشر اظهار السوء الذي يبلغ من صاحبه وهو
نقيض الخير وقيل الشر الضرر القبيح والخير النفع الحسن وقيل الشر الضرر الشديد والخير النفع الكثير وهذا ليس بالوجه لانه قد يكون ضررا ما لا
يكون شرا بان يعقب خيرا واصل الشر الاظهار من قولهم اذا قيل اي الناس شر قبيلة اشرت كليبا بالاكف الاصابع والدواب جمع دابة وهو
ما دب على وجه الارض الا انه تخصص في العرف بالخيل المعنى ثم دعا سبحانه الكافرين فقال ان شر الدواب اي شر من دب على وجه
الارض من الحيوان الصم البكم الذين لا يعقلون يعني هؤلاء المشركين الذين لم ينتفعوا بما يسمعون من الحق ولا يتكلمون به ولا يعتقدونه ولا
يقرون به فكانهم صم بكم لا يتفكرون ايضا فيما يسمعون فكانهم لم ينتفعوا بعقولهم ايض وصاروا كالدواب وقال الباقر ع نزلت الاية في
بني عبد الدار لم يكن اسلم منهم غير مصعب بن عمير وحليف لهم يقال له سويبط وقيل نزلت في النضر بن الحرث بن كلدة من بني عبد الدار بن
قصي ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم معناه لو علم الله فيهم قبولا للهدى واقبالا على طلب الحق لاسمعهم ما يذهبون عن استماعه عن الحسن وقيل
معناه لاسمعهم الجواب عن كل ما سألوا عنه عن الزجاج وقيل معناه لاسمعهم قول قصي بن كلاب فانهم قالوا احي لنا قصي بن كلاب ليشهد
بنبوتك عن الجبائي ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون اي لاعرضوا وفي هذا دلالة على ان الله تعالى لا يمنع احدا من المكلفين اللطف وانما لا
يلطف لمن يعلم انه لا ينتفع به قوله تعالى يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين
المرء وقلبه وانه اليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب آيتان القراءة
قرا امير المؤمنين علي عليه السلم وابو جعفر الباقر والربيع عن انس وابو العالية لتصيبن والقراءة المشهورة لا تصيبن الحجة قال ابن جني معنى
هاتين القراءتين ضدان كما ترى لان احدهما لتصيبن الذين ظلموا خاصة والاخرى لا تصيبنهم ويمكن ان يكون حذفت الالف لا تصيبن تخفيفا
واكتفى بالفتحة منها كما قالوا ام والله ليكونن كذا فحذفوا الالف اما وذهب ابو عثمان في قوله يا ابت بفتح التاء انه اراد يا ابتا فحذف الالف تخفيفا
فان قلت فهل يجوز ان تحمله على انه اراد لتصيبن ثم اشبع الفتحة فانشاء منها الفا كقول عنترة ينباع من ذفرى غضوب جسرة واراد ينبع ومثله
قول ابن هرمة فانت من الغوائل حين ترمى ومن ذم الرجال بمنتزاح اي بمنتزح قيل قوله تعالى فيما يليه واعلموا ان الله شديد العقاب اشبه
بما ذكرناه واما الوجه في قوله لا تصيبن فقد قال الزجاج زعم بعض النحويين ان هذا الكلام جزاء فيه طرف من النهي فاذا قلت انزل عن الدابة
لا تطرحك او لا تطرحنك فهذا جواب الامر بلفظ النهي فالمعنى انزل ان تنزل عنه لا يطرحك فاذا اتيت بالنون الخفيفة او الثقيلة كان اوكد
للكلام ومثله قوله يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن فالمعنى ان تدخلوا لا يحطمنكم ويجوز ان يكون نهيا بعد امر فيكون المعنى
اتقوا فتنة ثم نهى بعد فقال لا تصيبن الفتنة الذين ظلموا اي لا يتعرضن الذين ظلموا لما ينزل بهم معه العذاب ويكون بمعنى يا ايها النمل
ادخلوا مساكنكم انما امرت بالدخول ثم نهتهم ان يحطمهم سليمن فقالت لا يحطمنكم سليمن وجنوده فلفظ النهي لسليمان ومعناه للنمل
كما تقول لا ارينك ههنا قال ابو علي انه حكى القول الاول على جهة احتمال الاية كاحتمالها للقول الثاني فاما القول الثاني فقول ابي الحسن

حزب خمس

ولا يصح عندنا الاول الى الجسن لان قوله لا تصيبن لا يخلو اما ان يكون جواب شرط ولا يجوز ذلك لان دخول النون فيه يكون لضرورة الشعر
كما انشد سيبويه ومهما تشا منه فزارة تمنعا واما ان ايكون نهيا بعد امر واستغنى عن استعمال حرف العطف معه لاتصال الجملة الثانية بالاولى
كما مضى ذكر امثاله من قولهم ثلثة رابعهم كلبهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا هو الصحيح دون الاول قال ومحال ان يكون جواب
الامر بلفظ النهي كما يستحيل ان يكون جواب الشرط بلفظ النهي لان جواب الامر في الحقيقة جواب الشرط ولا يجوز ايضا ان يكون اللفظ لفظ النهي
والمعنى معنى الجزاء لان الجزاء خبر فحكمه يكون على الفاظ الاخبار واخبار الالفاظ لا يجي على لفظ الامر الا فيما علمته من قولهم اكرم به وبما بلك
على انه ليس بجزاء دخول النون فيه والنون لا يدخل في الجزاء كما ذكرنا انه خبر ولا يجوز دخول النون في الخبر الا في ضرورة الشعر نحو ربما اوفيت
في علم يرفعن ثوبي شمالات المعنى ثم ذكر سبحانه بطاعة الرسول صلى الله عليه وآله فقال يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اي
اجيبوا الله والرسول فيما يأمركم به فاجابة الله والرسول طاعتهما فيما يدعوان اليه اذا دعاكم لما يحييكم قيل فيه اقوال احدها ان معناه اذا دعاكم
الى الجهاد واللام في معنى الى قال القتيبي هو الشهادة فان الشهداء احياء عند الله تعالى قال الجبائي اى دعاكم الى احياء امركم واعزازكم بجهاد
عدوكم مع نصر الله اياكم وهو معنى قول الفراء وثانيها ان معناه اذا دعاكم الى الايمان فانه حيوة القلوب والكفر موتها عن السدى وقيل
الى الحق عن مجاهد وثالثها ان معناه اذا دعاكم الى القرآن والعلم في الدين لان الجهل موت والعلم حيوة والقرآن سبب الحيوة بالعلم وفيه النجاة
والعصمة عن قتادة ورابعها ان معناه اذا دعاكم الى الجنة لما فيه من الحيوة الدائمة ونعيم الابد عن ابي مسلم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه
اي يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت فلا يمكنه استدراك ما فات فبادروا الى الطاعات قبل الحيلولة ودعوا التسويف عن
الجبائي قال وفيه حث على الطاعة قبل حلول المانع وقيل معناه انه سبحانه اقرب اليه من قلبه وهو نظير قوله ونحن اقرب اليه من حبل
الوريد فان الحايل بين الشيء وغيره اقرب الى ذلك الشيء من ذلك الغير عن الحسن وقتادة قالا وفيه تحذير شديد وقيل انه سبحانه يملك
تقليب القلوب من حال الى حال كما جاء في الدعاء يا مقلب القلوب فكانهم خافوا من القتال فاعلمهم سبحانه انه يبدل خوفهم امنا بان
يحول بينهم وبين ما يتفكرون فيه من اسباب الخوف وروي يونس بن عمار عن ابي عبد الله ع معناه لا يستيقن القلب ان الحق باطل ابدا
ولا يستيقن القلب ان الباطل حق ابدا وروى هشام بن سالم عنه عليه السلم قال معناه يحول بينه وبين ان يعلم ان الباطل حق اورده
العياشي في تفسيره وقال محمد بن اسحق معناه لا يستطيع القلب ان يكتم الله شيئا وهذا في معنى قول الحسن وانه اليه تحشرون معناه واعلموا
انكم تحشرون اى تجمعون للجزاء على اعمالكم يوم القيمة خيرا فخير وان شرا فشر واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة حذرهم الله سبحانه
من هذه الفتنة وامرهم ان يتقوها فكانه قال اتقوا فتنة لا تقربوها فتصيبكم لان قوله لا تصيبن نهى مسوق على الامر ولفظ النهى ولفظ النهي
واقع على الفتنة وهو في معنى للمأمورين بالاتقاء كقوله لا تموتن الا وانتم مسلمون اى احذروا ان يدرككم الموت قبل ان تسلموا واختلف في
معنى الفتنة ههنا فقيل هي العذاب امر الله المؤمنين ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله بالعذاب والخطاب لاصحاب النبي صلى الله
عليه وآله خاصة عن ابن عباس والجبائي وقيل هي البلية التي يظهر باطن امر الانسان فيها عن الحسن قال ونزلت في علي وعمار وطلحة
والزبير قال وقد قال الزبير لقد قرانا هذه الآية زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها فخالفنا حتى اصابتنا خاصة وقيل نزلت في
اهل بدر خاصة فاصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا عن السدى وقيل هي الضلالة وافتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا عن ابن زيد وقيل هي الهرج
الذي يركب الناس فيه بالظلم ويدخل ضرره على كل احد ثم اختلف في اصابة هذه الفتنة على قولين احدهما انه جارية على العموم فتصيب
الظالم وغير الظالم اما الظالمون فيعذبون واما المؤمنون فيمتحنون ممحصون عن ابن عباس وروي انه سئل عنها فقال ابهموا ما ابهم الله
والثاني انها تخص الظالم لان الغرض منع الناس عن الظلم وتقديره واتقوا عذابا يصيب الظلمة خاصة ويقويه قراءة من قرأ لتصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة باللام فانه يفسره على هذا المعنى وقيل لا في قوله لا تصيبن زايدة ويجوز ان يقال ان الالف في الاشباع الفتحة على ما تقدم
ذكره قال ابو مسلم تقديره احذروا ان يخص الظالم منكم بعذاب اى لا تظلموا فيأتيكم عذاب لا يخلو منه الا من زال عنه اسم الظلم واعلموا ان الله شديد
العقاب لمن لم يتق المعاصي وروى الثعلبي باسناده عن حذيفة انه قال اتتكم فتن كقطع الليل المظلم يهلك فيها كل شجاع بطل وكل راكب موضع
وكل خطيب مصقع وفي حديث ابي ايوب الانصاري ان النبي صلى الله عليه وآله قال لعمار انه سيكون بعدي هنات حتى يختلف السيف فيما بينهم

وحتى يقتل بعضهم بعضا وحتى يبرأ بعضهم من بعض فاذا رايت ذلك فعليك بهذا الاصلع عن يميني علي بن ابي طالب فان سلك الناس كلهم
واديا وسلك عليا واديا فاسلك وادي علي وخل عن الناس يا عمار ان عليا لا يردك عن هدى ولا يدلك على ردى يا عمار طاعته طاعتي وطاعتي
طاعة الله رواه السيد ابو طالب الهروي باسناده عن علقمة والاسود قالا اتينا ابا ايوب الانصاري الخبر بطوله وفي كتاب شواهد التنزيل
للحاكم ابي القسم الحسكاني رحمه الله وحدثنا عنه السيد ابو الحمد مهدي بن نزار الحسني حدثني محمد بن القسم بن احمد قال حدثنا ابو سعيد محمد
بن الفضل بن محمد قال حدثنا محمد بن صالح العرزمي قال حدثنا عبد الرحمن بن ابي حاتم قال حدثنا ابو سعيد الاشج عن ابي خلف الاحمر عن
ابرهيم بن طهمان عن سعيد بن عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية واتقوا فتنة قال النبي صلى الله
عليه وآله من ظلم عليا مقعدي هذا بعد وفاتي فكانما جحد نبوتي ونبوة الانبياء قبلي قوله تعالى وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ
تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ايه اللغة الذكر ضد السهو وهو احضار
المعنى للنفس والاستضعاف طلب ضعف الشيء بتهوين حاله والتخطف الاخذ بسرعة يقال تخطف وخطف واختطف المعنى ثم
ذكرهم الله سبحانه حالتهم السالفة في القلة والضعف وانعامه عليهم بالنصر والتأييد والتكثير فقال واذكروا معاشر المهاجرين اذ انتم
قليل في العدد وكانوا كذلك قبل الهجرة في ابتداء الاسلام مستضعفون يطلب ضعفكم بتهوين امركم في الارض اي في ارض مكة عن ابن
عباس والحسن تخافون ان يتخطفكم الناس اي يستلبكم المشركون من العرب ان خرجتم منها وقيل انه يعني بالناس كفار قريش عن قتادة وعكرمة
وقيل فارس والروم عن وهب فآواكم اي جعل لكم مأوى ترجعون اليه يعني المدينة دار الهجرة وايدكم بنصره اي قواكم ورزقكم من الطيبات
يعني الغنائم احلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم وقيل هي عامة في جميع ما اعطاهم من الاطعمة اللذيذة لعلكم تشكرون اي لتشكروا والمعنى قابلوا
حالكم التي انتم عليها الآن بتلك الحال المتقدمة ليتبين لكم موضع النعمة فتشكروا عليها قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَ
الرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ايتان اللغة الخيانة منع الحق الذي قد ضمن
التأدية فيه وهو ضد الامانة واصلها ان تنقص من ائتمنك امانته قال زهير بارزة الفقارة لم يخنها قطاف في الركاب ولا خلاء
اي لم ينقص من فراهتها الاعراب وتخونوا مجزوم على النهي وتقديره ولا تخونوا عن الاخفش وهو في معنى قول ابن عباس وقيل انه نصب
على الصرف مثل قول الشاعر لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وهو في معنى قول السدي النزول قال عطا سمعت
جابر بن عبد الله يقول ان ابا سفيان خرج من مكة فاتى جبرائيل النبي صلى الله عليه وآله فقال ان ابا سفيان في مكان كذا وكذا فاخرجوا اليه
واكتموا قال فكتب اليه رجل من المنافقين ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فانزل الله هذه الاية وقال السدي كانوا يسمعون الشيء من النبي
صلى الله عليه وآله فيفشونه حتى يبلغ المشركين وقال الكلبي والزهري نزلت في ابي لبابة بن عبد المنذر الانصاري وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وآله حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله الصلح على ما صالح عليه اخوانهم من بني النضير على ان يسيروا
الى اخوانهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى ان يعطيهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ
فقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله وولده كانت عندهم فبعثه رسول الله فاتاهم فقالوا ما ترى يا ابا لبابة
انزل على حكم سعد بن معاذ فاشار ابو لبابة بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا فاتاه جبرئيل عليه السلم فاخبره بذلك قال ابو لبابة فوالله
ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت الاية فيه فلما نزلت شد نفسه على سارية من سواري المسجد
وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام لا يذوق فيها طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب
الله عليه فقيل له يا ابا لبابة قد تيب عليك فقال لا والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده ثم قال ابو
لبابة ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال النبي صلى الله عليه وآله يجزيك الثلث ان
تصدق به وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم المعنى ثم امرهم سبحانه بترك الخيانة فقال يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله
والرسول اي لا تخونوا الله بترك فرائضه والرسول بترك سنته وشرايعه عن ابن عباس وقيل ان من ترك شيئا من الدين وضيعه فقد خان
الله ورسوله عن الحسن وتخونوا اماناتكم يعني الاعمال التي ائتمن الله عليها العباد يعني الفرائض يقول لا تنقصوها عن ابن عباس وقيل انه

ع ١٧

اذا خانوا الله والرسول فقد خانوا اماناتهم عن السدي وانتم تعلمون ما في الخيانة من الذم والعقاب وقيل وانتم تعلمون انها امانة من غير شبهة واعلموا
اي وتحققوا وايقنوا انما اموالكم واولادكم فتنة اي بلية عليكم ابتلاكم الله تعالى بها فان ابا لبابة حمله على ما فعله ماله الذي كان في ايديهم واولاده
الذين كانوا بين ظهرانيهم وان الله عنده اجر عظيم لمن اطاعه وخرج الى الجهاد ولم يخن الله ورسوله فذلك خير من الاموال والاولاد بين سبحانه
بهذه الاية ان يختبر خلقه بالاموال والاولاد ليتبين الراضي بقسمة ممن لا يرضى وان كان سبحانه اعلم بهم من انفسهم ولكن ليظهر الافعال التي
بها يستحق الثواب والعقاب والى هذا اشار امير المؤمنين علي عليه السلم في قوله لا يقولن احدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة لانه ليس احد
الا وهو مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن فان الله سبحانه يقول واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وقد روي هذا
المعنى عن ابن مسعود ايضا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم اية
المعنى يا ايها الذين امنوا اي يا ايها المؤمنون ان تتقوا الله اي تتقوا عقاب الله باتقاء معاصيه واداء فرائضه يجعل لكم فرقانا اي هداية
ونورا في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل عن ابن جريج وابن زيد وقيل معناه يجعل لكم مخرجا في الدنيا والاخرة عن مجاهد وقيل يجعل لكم نجاة
عن السدي وقيل يجعل لكم فتحا ونصرا كما قال يوم الفرقان يوم التقى الجمعان عن الفراء وقيل يجعل لكم مخرجا في الدنيا والاخرة عن مجاهد وقيل يجعل لكم
نجاة عن السدي وقيل يجعل لكم عزا في الدنيا وثوابا في الاخرة وعقوبة وخذلانا لاعدائكم وذلا وعقابا فكل ذلك تفرق بينكم وبينهم في الدنيا والاخرة
عن الجبائي ويكفر عنكم سيئاتكم التي عملتموها ويغفر لكم ذنوبكم والله ذو الفضل العظيم على خلقه بما انعم عليهم من انواع النعم فاذا ابتداهم بالفضل
العظيم من غير استحقاق كرما منه وجودا فانه لا يمنعهم ما استحقوه بطاعتهم له وقيل معناه اذا ابتدأ بنعيم الدنيا من غير استحقاق فعليه اتمام ذلك
بنعيم الاخرة باستحقاق وغير استحقاق النظم قيل اتصلت الاية باول السورة من الامر بالجهاد وتقديره ان تتقوا الله ولم تخالفوه فيما امركم
به من الجهاد يجعل لكم فرقانا وقيل انه لما امر بالطاعة وترك الخيانة بين بعده ما اعده لمن امتثل امره في الدنيا والاخرة قوله تعالى
وَاِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ اَوْ يَقْتُلُوكَ اَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّٰهُ وَاللّٰهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ اية اللغة
المكر القتل الى جهة الشر في خفية قال الازهري المكر من الناس خب وخداع ومن الله جزاء واصل المكر الالتفاف من قولهم جارية ممكورة
قال ذو الرمة عجزاء ممكورة خمصانة قلق عنها الوشاح وتم الجسم والقصب اي ملتفة والفرق بين المكر والغدر ان الغدر نقض العهد الذي
يجب الوفاء به والمكر قد يكون ابتداء من غير عقد والاثبات الحبس يقال رماه فاثبته اي حبسه مكانه واثبته في الحرب اذا جرحه جراحة
مثقلة النزول قال المفسرون انها نزلت في قصة دار الندوة وذلك ان نفرا من قريش اجتمعوا فيها وهي دار قصي بن كلاب وتآمروا في امر النبي
صلى الله عليه وآله عروة بن هشام نتربص به ريب المنون قال ابو البختري اخرجوه تستريحوا من اذاه وقال ابو جهل ما هذا براي ولكن اقتلوه بان
يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربوه باسيافهم ضربة رجل واحد فيرضى حينئذ بنو هاشم بالدية فصوب ابليس هذا الراي وكان قد جاءهم
في صورة شيخ كبير من اهل نجد وخطا الاولين فاتفقوا على هذا الراي واعدوا الرجال والسلاح وجاء جبرئيل عليه السلم فاخبر رسول الله
صلى الله عليه وآله فخرج الى الغار وامر عليا عليه السلم فبات على فراشه فلما اصبحوا وفتشوا الفراش وجدوا عليا وقد رد الله مكرهم فقالوا
اين محمد قال لا ادري فاقتصوا اثره وارسلوا في طلبه فلما بلغوا الجبل ومروا بالغار رأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو كان هنا لم يكن
نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلثا ثم قدم المدينة المعنى واذ يمكر بك الذين كفروا اي واذكر اذ يحتال الكفار في ابطال امرك ويدبرون
في هلاكك وهم مشركوا العرب منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والنضر بن الحرث وابو جهل بن هشام وابو البختري بن هشام وزمعة بن
الاسود وحكيم بن حزام وامية بن خلف وغيرهم ليثبتوك اي ليقيدوك فيثبتوك في الوثاق عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وقيل
ليثبتوك في الحبس ويحبسوك في بيت عن عطاء والسدي وقيل معناه ليثخنوك بالجراحة والضرب عن ابان بن تغلب والجبائي وابي حاتم وانشد
فقلت ويحك ماذا في صحيفتكم قالوا الخليفة امسى مثبتا وجعا او يقتلوك او يخرجوك من مكة الى طرف من اطراف الارض وقيل او يخرجوك
على بعير ويطردوه حتى يذهب في وجهه ويمكرون ويمكر الله اي ويدبرون في امرك ويدبر الله في امرهم عن ابي مسلم وقيل يحتالون في امرك من
حيث لا تشعر فاحل الله بهم ما ارادوه من عذابه من حيث لا يشعرون عن الجبائي وقيل يمكرون والله تعالى يجازيهم على مكرهم كما قال سبحانه وجزاء
سيئة سيئة مثلها والله خير الماكرين لانه لا يمكر الا ما هو حق وصواب وهو انزال المكروه بمن يستحقه والعباد قد يمكرون مكرا هو ظلم وباطل مكرهم

عشر

الذي

الذي هو عدل لا يبلغ في المنفعة للمؤمنين مبلغ مكر الله فلذلك قال خير الماكرين وقيل معناه خير المجازين على المكر النظم الاية اتصلت بقوله
واذكروا اذ انتم قليل فتقديره واذكروا تلك الحال واذكروا ما مكر بهم الكفار بمكة عن ابي مسلم وغيره وقيل انها متصل بما قبلها من قوله ان تتقوا الله
يجعل لكم فرقانا يعني يجعل لكم نجاة كما جعل للنبي واصحابه النجاة من مكر مشركي قريش فاذكروا ذلك قوله تعالى وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا
قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً
مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝ وَمَا لَهُمْ
أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ اربع ايات

الاعراب هو الحق هو فصل لا محل له من الاعراب ويسميه الكوفيون عمادا والحق منصوبا بانه خبر كان ويجوز فيه الرفع ولكن لم يقرأ به والكلام
في قوله ليعذبهم لام الجحد واصلها لام الاضافة وانما دخلت في النفي ولم تدخل في الايجاب لتعلق الخبر بحرف النفي كما دخلت الباء في خبرها ولم
تدخل في الايجاب وموضع ان من قوله ان لا يعذبهم الله نصب لان تقديره وما لهم في ان لا يعذبهم الله اي اي شيء لهم في ذلك لكن لما
حذف الجار عمل معنى الفعل الذي هو الاستقرار ونحوه وانما جاز الحذف مع ان ولم يجز مع المصدر لطول الكلام بالصلة اللازمة من الفعل
والفاعل وليس كذلك المصدر المعنى ثم اخبر سبحانه عن عناد هؤلاء الكفار ومباهتهم للحق فقال واذا تتلى عليهم اياتنا من القران قالوا قد
سمعنا اي ادركناه باذاننا فان السماع ادراك الصوت بحاسة الاذن لو نشاء لقلنا مثل هذا انما قالوا ذلك مع ظهور عجزهم عن الاتيان بسورة
مثله بعد التحدي عداوة وعنادا وقيل يحمل الانسان شدة العداوة على ان يقول ما لا يعلم وقيل انما قالوا ذلك لانه لم ينقطع طمعهم عن
القدرة عليه في المستقبل اذ القران كان مركبا من كلمات جارية على السنتهم فطمعوا ان يتأتى لهم ذلك في المستقبل بخلاف صيرورة العصى
حية في انهم قد انقطع طمعهم عن الاتيان بمثله اذ جنس ذلك لم يكن في مقدورهم ان هذا الا اساطير الاولين معناه ما هذا الا احاديث
الاولين تتلوها علينا وكان قايل هذا النضر بن الحرث بن كلدة واسر يوم بدر فقتله رسول الله صلى الله عليه وآله وعقبة بن ابي معيط
قال يا علي علي بالنضر وابعير فاخذ علي عليه السلم بشعره وكان رجلا جميلا له شعر فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا محمد
اسالك الرحم بيني وبينك الا اجريتني كرجل من قريش ان قتلتهم قتلتني وان فاديتهم فاديتني فقال عليه السلم لا رحم بيني وبينك قطع الله
الرحم بالاسلام قدمه يا علي فاضرب عنقه فضرب عنقه ثم قال علي بعقبة فاحضر فقال يا محمد الم تقل لا يصبر قريش اي لا يقتلون صبرا
فقال رايت من قريش انما انت علج من اهل صفورية والله لانت في الميلاد اكبر من ابيك الذي تدعى له قال فمن للصبية قال عليه السلم النار
ثم قال حن قدح ليس منها قال جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر ثلثة من قريش صبرا المطعم بن عدي والنضر بن الحرث وعقبة
بن ابي معيط واذ قالوا اي واذكر يا محمد اذ قالوا اي قال هؤلاء الكفار اللهم ان كان هذا الذي جاء به محمد هو الحق من عندك دون ما نحن عليه
فامطر علينا حجارة من السماء كما امطرتها على قوم لوط او ائتنا بعذاب اليم اي شديد مؤلم والقايل لذلك النضر بن الحرث ايضا عن سعيد بن
جبير ومجاهد وروي في الصحيحين ان هذا من قول ابي جهل ويسأل هنا فيقال لم طلبوا العذاب من الله بالحق وانما يطلب بالحق الخير والثواب
والاجر والجواب انهم كانوا يعتقدون ان ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله ليس بحق من الله واذا لم يكن حقا لم يصبهم شيء ويقال لم قال امطر
من السماء والامطار لا يكون الا من السماء ففي هذا جوابان احدهما انه يجوز ان يكون امطار الحجارة من مكان عال غير السماء والثاني
انه على طريق البيان ثم قال سبحانه وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ذكر سبحانه سبب امهالهم ومعناه وما كان الله يعذب اهل
مكة بعذاب الاستيصال وانت مقيم بين اظهرهم لفضلك ورحمتك ومنك يا محمد فان الله تعالى بعثك رحمة للعالمين فلا يعذبهم
الا بعد ان يفعلوا ما يستحقون به سلب النعمة باخراجك عنهم قال ابن عباس ان الله سبحانه لم يعذب قوما حتى اخرجوه منها وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون معناه وما كان الله يعذبهم وفيهم بقية من المؤمنين بعد خروجك من مكة وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله
لما خرج من مكة بقيت فيها بقية من المؤمنين لم يهاجروا لعذر وكانوا على عزم الهجرة فرفع الله العذاب عن مشركي مكة لحرمة استغفارهم
فلما خرجوا اذن الله في فتح مكة عن ابن عباس وعطية والضحاك واختاره الجبائي وقيل معناه وما يعذبهم الله بعذاب الاستيصال في الدنيا
وهم يقولون غفرانك ربنا وانما يعذبهم على شركهم في الاخرة عن ابن عباس في رواية اخرى ويزيد بن رومان وابي موسى ومحمد بن مبشر وفي

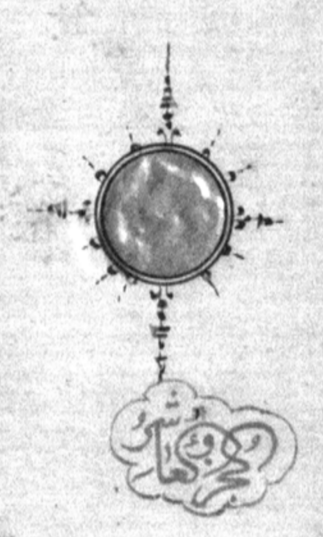
تفسير علي بن ابراهيم لما قال النبي صلى الله عليه وآله لقريش اني اقتل جميع ملوك الدنيا واجر الملك اليكم فاجيبوني الى ما ادعوكم اليه تملكون العرب
بها وتدين لكم العجم فقال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق الاية حسدا للرسول ثم قال غفرانك اللهم فانزل الله وما كان الله ليعذبهم الاية
ولما هموا بقتل رسول الله واخرجوه من مكة انزل الله سبحانه وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام فعذبهم الله بالسيف يوم
بدر وقتلوا وقيل معناه انهم لو استغفروا لم يعذبوا وفي ذلك استدعاء الى الاستغفار عن ابن عباس في رواية اخرى والسدي وقتادة وابن زيد
قال مجاهد وفي اصلابهم من يستغفر وقال عكرمة وهم يسلمون فاراد بالاستغفار الاسلام وقد روي عن امير المؤمنين علي عليه السلم انه قال
كان في الارض امانان من عذاب الله وقد رفع احدهما فدونكم الاخر فتمسكوا به وقرا هذه الاية وروي ذلك عن قتادة ايض وما لهم الا يعذبهم
الله معناه ولم لا يعذبهم الله واي امر يوجب ترك تعذيبهم وهم يصدون عن المسجد الحرام اي يمنعون عن المسجد الحرام اولياءه فحذف
لان ما بعده يدل عليه وما كانوا اولياءه اي وما كان المشركون اولياء المسجد الحرام وان سعوا في عمارته ان اولياؤه الا المتقون معناه
وما اولياء المسجد الحرام الا المتقون عن الحسن وهو المروي عن ابي جعفر ع وقيل معناه وما كانوا اولياء الله ان اولياء الله الا المتقون الذين يتركون
معاصي الله ويجتنبونها والاول احسن ويسال فيقال كيف يجمع بين الايتين وفي الاولى نفي تعذيبهم وفي الثانية اثبات ذلك وجوابه
على ثلثة اوجه احدها ان المراد بالاول عذاب الاصطلام والاستيصال كما فعل بالامم الماضية وبالثاني عذاب القتل بالسيف والاسر وغير
ذلك بعد خروج المؤمنين من بينهم والاخر انه اراد وما لهم الا يعذبهم الله في الاخرة ويريد بالاول عذاب الدنيا عن الجبائي والثالث الاول
استدعاء للاستغفار يريد انه يعذبهم بعذاب دنيا ولا اخرة اذا استغفروا وتابوا فلما لم يفعلوا عذبوا ثم بين استحقاقهم للعذاب بصدهم
الناس عن المسجد الحرام قوله تعالى وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ آية
القراءة يروى في الشواذ عن عاصم وما كان صلوتهم بالنصب الا مكاء وتصدية بالرفع وروي ايض عن ابان بن تغلب الحجة قال ابن
جني لسنا ندفع ان جعل اسم كان نكرة وخبرها معرفة قبيحة وانما جاءت منه ابيات شاذة لكن من وراء ذلك ما اذكره وهو ان نكرة الجنس
تفيد مفاد معرفته الا تراك تقول خرجت فاذا اسد بالباب فتجد معناه فاذا الاسد بالباب ولا فرق بينهما وذلك انك في الموضعين لا
تريد اسدا واحدا وانما تريد واحدا من هذا الجنس واذا كان كذلك جاز هنا الرفع في مكاء وتصدية جوازا قريبا كانه قال وما كان صلوتهم
الا هذا الجنس من الفعل ولا يكون مثل قولك كان قايم اخاك لانه ليس في قايم معنى الجنسية وايض فانه يجوز مع النفي ما لا يجوز مع الايجاب
الا تراك تقول ما كان انسان خيرا منك ولا يجوز كان انسان خيرا منك اللغة المكان الصفير والمكاء طاير يكون بالحجاز بالتشديد يقال
مكا يمكو مكاء اذا صفر بفيه قال عنترة وحليل غانية تركت مجدلا تمكو فريصته كشدق الاعلم والتصدية التصفيق وهو ضرب اليد على
اليد ومنه الصدى صوت الجبل ونحوه المعنى ثم وصف سبحانه صلوتهم فقال وما كان صلوتهم يعني هؤلاء المشركين الصادين عند
البيت الا مكاء وتصدية قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفقون وصلوتهم معناه دعاؤهم اي يقيمون
المكاء والتصدية مكان الدعاء والتسبيح وقيل اراد ليس لهم صلوة ولا عبادة وانما يحصل منهم ما هو ضرب من اللهو واللعب فالمسلمون
الذين يطيعون الله ويعبدونه عند هذا البيت احق بمنع المشركين منه وروي ان النبي صلى الله عليه وآله كان اذا صلى في المسجد الحرام قام
رجلان من بني عبد الدار فيصفران ورجلان عن يساره ويصفقان بايديهما فيخلطان عليه صلوته فقتلهم الله جميعا ببدر ولهم يقول
ولبقية بني عبد الدار فذوقوا العذاب يعني عذاب السيف يوم بدر عن الحسن والضحاك وقيل عذاب الاخرة وعلى هذا يكون في الكلام
حذف اي يقال لهم اذا عذبوا ذوقوا بما كنتم تكفرون بتوحيد الله قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ
بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ثلث ايات بصري ايتان عند غيرهم عند البصري يغلبون اية اللغة
الحسرة الغم بما انكشف من فوت استدراك الخطيئة واصله الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسرا والتمييز اخراج الشيء عما خالفه مما ليس
منه والحاقه بما هو منه يقال ميزه يميزه وماز يميزه فامتاز وانماز الازهري الركم جمعك شيئا فوق شيء حتى تجعله ركاما مركوما كركام الرمل وهو
المتراكب بعضه على بعض النزول قيل نزلت في ابي سفيان بن حرب استاجر يوم احد الفين من الاحابيش يقاتل بهم النبي صلى الله عليه وآله

سوى من استجاش من العرب وفيهم يقول كعب بن مالك نجينا الى موج من البحر وسطهم احابيش منهم حاسر ومقنع ثلثة الاف ونحن بقيه
ثلث مائين ان كثرن فاربع عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل نزلت فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا ابو جهل بن هشام وعتبه و
شيبه ابنا ربيعة بن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وابى بن خلف وزمعة
بن الاسود والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش وكان كل يوم يطعم واحد منهم عشر جزر وكانت النوبة
يوم الهزيمة للعباس عن الكلبى والضحاك ومقاتل وقيل لما اصيبت قريش يوم بدر ورجع فلهم الى مكة مشى صفوان بن امية وعكرمة
بن ابي جهل فى رجال من قريش اصيب اباؤهم واخوانهم ببدر فكلموا اباسفيان بن حرب ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة فقالوا
يامعشر قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال الذي افلت على حربه لعلنا ان ندرك منه
ثارا بمن اصيب منا ففعلوا فانزل الله تعالى فيهم هذه الاية رواه محمد بن اسحق عن رجاله المعنى ثم ذكر سبحانه انفاق المشركين اموالهم فى
معصية الله تعالى فقال ان الذين كفروا ينفقون اموالهم فى قتال الرسول والمؤمنين ليصدوا عن سبيل الله اى ليمنعوا بذلك عن دين
الله الذي اتى به محمد صلى الله عليه وآله وانما قال ليصدوا وان كان لم يقصدوا ذلك من حيث لم يعلموا ان ذلك دين الله لان فعلهم
ذلك كان صدا عن دين الله وان لم يقصدوا ذلك فسينفقونها معناه فسيقع منهم الانفاق لها ثم يكون عليهم حسرة ثم ينكشف لهم
ويظهر من ذلك الانفاق مايكون حسرة عليهم من حيث انهم لا ينتفعون بذلك الانفاق لا فى الدنيا ولا فى الاخرة بل يكون وبالا عليهم
ثم يغلبون فى الحرب اى يغلبهم المؤمنون وفى هذا دلالة على صحة نبوة النبى صلى الله عليه وآله لانه اخبر بالشئ قبل كونه فوجد على ما اخبر
والذين كفروا الى جهنم يحشرون اى يجمعون الى النار بعد تحسرهم فى الدنيا ووقوع الظفر بهم وقتلهم وانما اعاد قوله والذين كفروا
لان جماعة ممن انفقوا اسلموا بعد فخص منهم من مات على كفره بوعيد الاخرة ليميز الله الخبيث من الطيب معناه ليميز الله نفقة الكافرين
ويجعل الخبيث بعضه على بعض اي يجعل نفقة المشركين بعضها فوق بعض فيركمه اى فيجمعه جميعا فى الاخرة فيجعله فى جهنم
فيعاقبهم به كما قال يوم يحمى عليها فى نار جهنم الايه وقيل معناه ليميز الله الكافرين من المؤمنين فى الدنيا بالغلبة والنصر والاسماء الحسنة و
الاحكام المخصوصة وفى الاخرة بالثواب والجنة عن ابى مسلم وقيل بان يجعل الكافر فى جهنم والمؤمن فى الجنة ويجعل الخبيث بعضه على
بعض فى جهنم يضيقها عليهم فيركمه جميعا اى يجمع الخبيث حتى يصير كالسحاب المركوم بان يكون بعضهم فوق بعض مجتمعين فيها فيجعله
فى جهنم اى فيدخله جهنم اولئك هم الخاسرون قد خسروا انفسهم لانهم اشتروا بانفاق الاموال فى المعصية عذاب الله فى الاخرة

قوله تعالى قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ۞ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ
وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۞ ثلث ايات

عشر ١٩

اللغة الانتهاء اقلاع عن الشئ لاجل النهي يقال نهاه عن كذا فانتهى والسنة والطريقه والسيرة نظاير قال فلا تجزعن من سنة انت سرتها
فاول راضى سنة من يسيرها والسلوف التقدم والتولى عن الدين الذهاب عنه الى خلافه والتولى فيه هو الذهاب الى جهة الحق ومتابعته
الاعراب وان تولوا شرط وقوله فاعلموا ان الله مولاكم امر فى موضع الجواب وانما جاز ذلك لان فيه معنى الخبر فكانه قال فواجب عليكم العلم بان الله مولاكم
المعنى ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله بدعائهم الى التوبة والايمان فقال قل يا محمد للذين كفروا ان ينتهوا اى يتوبوا عما هم عليه
من الشرك ويمتنعوا منه يغفر لهم ما قد سلف اى مضى من ذنوبهم وقيل معناه ان ينتهوا عن المحاربة الى الموادعة يغفر لهم ما قد سلف
من العاقبة وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين معناه وان يعودوا الى القتال واصروا على الكفر فقد مضت سنة الله فى ابائكم
وعادته فى نصر المؤمنين وكبت اعداء الدين والاسر والاسترقاق وانما ذكر ذلك تحذيرا لهم واضاف السنة اليهم لانها كانت تجرى عليهم
وقال سنة من قد ارسلنا فاضاف السنة الى الرسل لانها كانت تجرى على ايديهم ثم قال ولا تجد لسنتنا تحويلا فاضاف الى نفسه لانه
هو المجرى لها وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة هذا خطاب للنبى عليه السلم والمؤمنين بان يقاتلوا الكفار حتى لا تكون فتنة اى شرك عن
ابن عباس والحسن ومعناه حتى لا يكون كافر بغير عهد لان الكافر اذا كان بغير عهد كان عزيزا فى قومه ويدعوا الناس الى دينه
فيكون الفتنة فى الدين وقيل حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون الدين كله لله اي ويجتمع اهل الحق واهل الباطل على الدين الحق فيما



يستقدونه ويعملون به فيكون الدين حينئذ كله لله باجتماع الناس عليه وروي زرارة وغيره عن ابي عبد الله عليه السلم انه قال لم يجئ
تاويل هذه الاية ولو قد قام قايمنا بعد فسيري من يدركه ما يكون من تاويل هذه الاية وليبلغن دين محمد صلى الله عليه وآله ما بلغ الليل
حتى لا يكون شرك على ظهر الارض كما قال الله تعالى فان انتهوا فان الله بما تعملون بصير معناه فان رجعوا عن الكفر وانتهوا عنه فان الله
يجازيهم باعمالهم مجازاة البصير بها باطنها وظاهرها لا يخفى عليه منها شئ وان تولوا عن دين الله وطاعته فاعلموا ايها المؤمنون ان الله مولاكم
اى ناصركم وسيدكم وحافظكم نعم المولى اى نعم السيد والحافظ ونعم النصير ينصر المؤمنين ويغنيهم على طاعته ولا يخذل من
هو ناصره قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم امنتم
بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير آية اللغة الغنيمة ما اخذ من اموال اهل الحرب من الكفار بقتال
وهى هبة من الله للمسلمين والفئ ما اخذ بغير قتال وهو قول عطاء ومذهب الشافعى وسفيان وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلم وقال
قوم الغنيمة والفئ واحد وادعوا ان هذه الآية ناسخة للتى فى الحشر من قوله ما افاء الله على رسوله الآية واليتيم الذي مات ابوه وهو
صغير قبل البلوغ وكل حيوان يتيم من قبل امه الا الانسان فانه من قبل ابيه والمسكين الذي تحل له الصدقة وهو المحتاج الذي من شانه
ان يسكنه الحاجة عما ينهض به الغنى وابن السبيل المسافر المنقطع به فى سفره وانما قيل ابن السبيل لان السبيل اخرجه الى هذا المستقر كما
اخرجه ابوه الى مستقره الاعراب فان لله خمسه قيل فى فتح ان قولان احدهما ان تقديره فعلى ان لله خمسه ثم حذف حرف الجر والاخر انه
عطف على ان الاولى وحذف خبر الاولى لدلالة الكلام عليه وتقديره اعلموا انما غنمتم من شئ يجب قسمته فاعلموا ان لله خمسه المعنى
ثم بين سبحانه الغنيمة فقال سبحانه مخاطبا للمسلمين واعلموا انما غنمتم من شئ اى مما قل او كثر فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى اختلف
العلماء فى كيفية قسمة الخمس ومن يستحقه على اقوال احدها ما ذهب اليه اصحابنا وهو ان الخمس يقسم على ستة اسهم فسهم لله وسهم للرسول
وهذان السهمان مع سهم ذوى القربى للامام القايم مقام الرسول صلى الله عليه وآله وسهم ليتامى ال محمد صلى الله عليه وآله وسهم لمساكينهم
وسهم لابناء سبيلهم لا يشركهم فى ذلك غيرهم لان الله سبحانه حرم عليهم الصدقات لكونها اوساخ الناس وعوضهم من ذلك الخمس و
روي ذلك الطبري عن على بن الحسين زين العابدين ومحمد بن على الباقر عليهما السلم وروي ايضا عن ابى العالية والربيع انه يقسم على ستة
اسهم الا انهما قالا سهم الله للكعبة والباقى لمن ذكره الله وهذا القسم مما يقتضيه ظاهر الكتاب ويقويه والثاني ان الخمس يقسم على خمسة اسهم
وان سهم الله والرسول واحد ويصرف هذا السهم الى الكراع والسلاح وهو المروي عن ابن عباس وابراهيم وقتادة وعطا والثالث انه
يقسم على اربعة اسهم سهم ذى القربى لقرابة النبى صلى الله عليه وآله والاسهم الثلثة لمن ذكر وا بعد ذلك من ساير المسلمين وهو مذهب
الشافعى والرابع انه يقسم على ثلثة اسهم لان سهم الرسول قد سقط بوفاته عندهم لان الانبياء لا تورث فيما يزعمون وسهم ذى القربى
قد سقط لان ابا بكر وعمر لم يعطيا سهم ذي القربى ولم ينكر ذلك احد من الصحابة عليهما وهو مذهب ابى حنيفه واهل العراق ومنهم من
قال لو اعطى فقراء ذي القربى سهما والآخرون ثلثه اسهم جاز ولو جعل ذوو القربى اسوة الفقراء ولا يفرد لهم سهم جاز واختلف فى ذوى
القربى فقيل هم بنو هاشم خاصة من ولد عبد المطلب لان هاشما لم يعقب الا منه عن ابن عباس ومجاهد واليه ذهب اصحابنا
وقيل هم بنو هاشم بن عبد مناف وبنو عبد المطلب بن عبد مناف وهو مذهب الشافعى وروى ذلك عن جبير بن مسلم عن النبى
صلى الله عليه وآله وقال اصحابنا ان الخمس واجب فى كل فايدة تحصل من المكاسب وارباح التجارات وفى الكنوز والمعادن والغوص
وغير ذلك مما هو مذكور فى الكتب ويمكن ان يستدل على ذلك بهذه الآية فان فى عرف اللغة يطلق على جميع ذلك اسم الغنم والغنيمة
ونعود الى تاويل الآية قوله فان لله خمسه قالوا افتتح الكلام على جهة التيمن والتبرك لان الاشياء كلها له عز وجل والمراد مصروف
الى الجهات المقربة الى الله سبحانه وللرسول قالوا كان للنبى صلى الله عليه وآله سهم من خمسة اسهم يصرف فى مؤنته وما فضل من ذلك يصرفه
الى الكراع والسلاح والمصالح ولذى القربى قال بعضهم سقط هذان السهمان بموت الرسول ع على ما ذكرناه وقال الشافعى يصرف
سهم الرسول الى الخيل والكراع فى سبيل الله وسهم ذى القربى لبنى هاشم وبنى المطلب يستحقونه بالاسم والنسب فيترك فيه الغنى والفقير
وروي عن الحسن وقتادة ان سهم الله وسهم الرسول وسهم ذي القربى للامام القايم من بعده ينفقه على نفسه وعياله ومصالح المسلمين

هو مثل مذهبنا واليتامى والمساكين وابن السبيل قالوا ان هذه الاسهم الثلثة لجميع الناس وانه يقسم على كل فريق منهم بقدر حاجتهم
وقد بينا ان عندنا يختص اليتامى من بني هاشم ومساكينهم وابناء سبيلهم ان كنتم امنتم بالله قال الزجاج يجوز ان يكون ان كنتم امنتم معلقة
بقوله فاعلموا ان الله موليكم نعم المولى ونعم النصير ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان اى فايقنوا ان
الله ناصركم اذ كنتم قد شاهدتم من نصره ما قد شاهدتم ويجوز ان يكون ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا على عبدنا معناه واعلموا انما غنمتم
من شيء فان لله خمسه وللرسول يأمران فيه بما يريدان ان كنتم امنتم بالله فاقبلوا ما امرتم به من الغنيمة واعملوا به واعملوا بما انزلنا على عبدنا
اي وامنتم بما انزلنا على محمد من القران وقيل من النصر وقيل من الملئكة اى علمتم ان ظفركم على عدوكم كان بنا يوم الفرقان يعني يوم بدر لان الله
تعالى فرق فيه بين المسلمين والمشركين باعزاز هؤلاء وقمع اولئك يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وهم ثلثماية وبضعة عشر رجلا وجمع
الكافرين وهم بين تسعماية الى الف من صناديد قريش ورؤسائهم فهزموهم وقتلوا منهم زيادة على السبعين واسروا منهم مثل ذلك
وكان يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة على راس ثمانية عشر شهرا وقيل كان
التاسع عشر من شهر رمضان وقد روي ذلك عن ابي عبد الله ع والله على كل شيء قدير قدم تفسيره في سورة البقرة وفي تفسير الثعلبي
قال المنهال بن عمرو سالت على بن الحسين ع وعبد الله بن محمد بن على عن الخمس فقالا هو لنا فقلت لعلي ان الله تعالى يقول واليتامى
والمساكين وابن السبيل فقال يتامانا ومساكيننا وروى العياشي باسناده عن ابي عبد الله ع قال كتب نجدة الحروري الى ابن عباس يسال
عن موضع الخمس فكتب اليه ابن عباس اما الخمس فانا نزعم انه لنا ويزعم قومنا انه ليس لنا فصبرنا وعن ابي عبد الله ع قال ان الله تعالى لما حرم
علينا الصدقة انزل لنا الخمس فالصدقة علينا حرام والخمس لنا حلال والكرامة لنا حلال قوله تعالى إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ
بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ
وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ
إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
ثلث ايات كوفي اربع عند غيرهم القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو بالعدوة بكسر العين والباقون بضمها وقرا نافع وابو بكر عن عاصم
والبزي عن ابن كثير حيي باظهار اليائين وقرا الباقون حي بالادغام الحجة الكسر والضم في العدوة لغتان قال الراعي في الكسر وعينان حم
ماقيهما كما نظر العدوة الجؤذر وقال اوس بن حجر في الضم وفارس لا يحل الحي عدوته ولوا سراعا وما هموا باقبال ومن ادغم فللزوم الحركة
في الثاني فجرى مجرى ردوا اذا اخبروا عن جماعة قالوا احيوا فخففوا وقد جاء مدغما حيوا قال عيوا بامرهم كما عيت ببيضتها الحمامه ومن اختار
الاظهار فلامتناع الادغام في مضارعه وهو يحيى فاجرى الماضي على شاكلة المستقبل اللغة العدوة شفير الوادي وللوادي عدوتان
وهما جانباه والجمع عدى وعدي والدنيا تانيث الادنى من دنوت والقصوى تانيث الاقصى وما كان من النعوت على فعلى من بنات
الواو فان العرب تحوله الى الياء نحو الدنيا والعليا استثقلوا الواو مع ضم الاول الا ان اهل الحجاز قالوا القصوى فاظهروا الواو وهو
نادر وغيرهم يقولون القصيا والاقصى الابعد والقصى البعد وقصوت منه واقصوا اى تباعدت والركب جمع راكب مثل شارب
وشرب وصاحب وصحب والعلو قرار تحته قرار والسفل قرار والنوم ضرب من السهو يزول معه معظم الحس والمنام موضع النوم
كالمضطجع موضع الاضطجاع والقلة نقصان عن عدة كما ان الكثرة زيادة على عدة والفشل ضعف من فزع والفعل منه فشل يفشل
والتنازع الاختلاف الذي يحاول كل واحد نزع صاحبه مما هو عليه والسلامة النجاة من الافة واسلم الانسان دخل في السلامة
واسلمه اسلاما دفعه عن السلامة وسلمه اذا نجاه واستلم بالحجر اذا طلب لمسه على السلامة والصدر الموضع الاجل تكون في القلب
وصدر المجلس اجله لانه موضع الرئيس والالتقاء اجتماع الاتصال لان الاجتماع قد يكون في معنى غير اتصال كاجتماع القوم في الدار
وان لم يكن هناك اتصال ويقال للعسكرين اذا تصافا التقيا لوقوع العين على العين الاعراب انما نصب اسفل لان تقديره بمكان
اسفل او في مكان اسفل فهو موضع جر فهو غير منصرف ويجوز ان يكون منصوبا على الظرف على تقدير والركب مكانا اسفل منكم قال
الزجاج ويجوز ان ترفع اسفل على انك تريد والركب اسفل منكم اى اشد تسفلا المعنى ثم بين سبحانه نصرته للمسلمين ببدر فقال سبحانه

ع ١

اذ انتم ايها المسلمون بالعدوة الدنيا قال ابن عباس يريد والله قدير على نصركم وانتم اقلة اذلة اذ انتم نزول بشفير الوادي الاقرب الى
المدينة وهم يعني المشركين بالعدوة القصوى والركب يعني اباسفيان واصحابه وهم العير اسفل منكم اي في موضع اسفل منكم الى ساحل
البحر قال الكلبي كانوا على شط البحر بثلثة اميال فذكر الله سبحانه مقاربة الفئتين من غير ميعاد وما كان المسلمون فيه من قلة الماء والرمل
الذي يسوخ فيه الارجل مع قلة العدد والعدة وما كان المشركون فيه من كثرة العدد والعدة ونزولهم على الماء والعير اسفل منهم وفيها اموالهم
ثم مع هذا كله نصر المسلمين عليهم ليعلم ان النصر من عنده ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد معناه ولو تواعدتم ايها المسلمون الاجتماع في
الموضع الذي اجتمع فيه ثم بلغكم كثرة عددهم مع قلة عددكم لتاخرتم فنقضتم الميعاد عن ابن اسحق وقيل معناه لاختلفتم بما يعرض من العوائق
والقواطع فذكر الميعاد لتاكيد امره في الاتفاق ولولا لطف الله مع ذلك لوقع على الاختلاف كما قال الشاعر جرت الرياح على محل ديارهم
فكانهم كانوا على ميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا معناه ولكن قدر الله تعالى التقاءكم وجمع بينكم وبينهم على غير ميعاد منكم ليقضي الله
امرا كان كائنا لا محالة وهو اعزاز الدين واهله واذلال الشرك واهله ومعنى ليقضي ليظهر قضاءه اذ الله تعالى قد قضى ما هو كائن ومعنى
قوله مفعولا اى واجبا كونه لا محالة يقال للامر الكائن لا محالة هذا امر مفروغ منه وقيل معناه ليتم امرا كان في علمه مفعولا لا محالة من اظهار
الاسلام واعلاء كلمته على عبدة الاصنام ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة اى فعل ذلك ليموت من مات منهم بعد قيام الحجة عليه
بما رأى من المعجزات الباهرة بالنبي صلى الله عليه وآله في حروبه وغيرها ويعيش من عاش منهم بعد قيام الحجة عليه وقيل ان البينة هي ما وعد الله
من النصر للمؤمنين على الكافرين صار ذلك حجة على الناس في صدق النبي صلى الله عليه وآله فيما اتاهم به من عند الله تعالى وقيل معناه
ليهلك من ضل بعد قيام الحجة عليه فيكون حيوة الكافر هلاكا لهم ويحيى من اهتدى بعد قيام الحجة عليه ويكون بقاء من بقي على الايمان
حيوة له وقوله عن بينة اى بعد بيان وان الله سميع لاقوالهم عليم بما في ضمائرهم فهو يجازيهم بحسب ما يكون منهم اذ يريكهم الله العامل في
اذ ما تقدم وتقديره اتاكم النصر اذ كنتم بشفير الوادي اذ يريكهم الله وقيل العامل فيه محذوف وتقديره واذكر يا محمد اذ يريكهم الله اى يريك الله
يا محمد هؤلاء المشركين الذين قاتلوكم يوم بدر في منامك قليلا ولو اريكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر معناه يريكهم الله في نومك قليلا لتخبر
المؤمنين بذلك فيجترئ المؤمنون على قتالهم وهو قول اكثر المفسرين وهذا جائز لان الرؤيا في النوم هو تصور يتوهم معه الرؤية في اليقظة
ولا يكون ادراكا ولا علما بل كثير مما يراه الانسان في نومه يكون تعبيره بالعكس مما رآه كما يكون تعبير البكاء ضحكا قال الرماني ويجوز ان يريه
الشيء في المنام على خلاف ما هو به لان الرؤيا في المنام تخيل للمعنى من غير قطع وان جاء معه قطع من الانسان على المعنى وانما ذلك على
مثل ما يخيل السراب ماء من غير قطع على انه ماء ولا يجوز ان يلهمه اعتقاد الشيء على خلاف ما هو به لان ذلك يكون جهلا لا يجوز ان يفعله
الله سبحانه والرؤيا على اربعة اقسام رؤيا من الله عز وجل لها تأويل ورؤيا من وساوس الشيطان ورؤيا من غلبة الاخلاط ورؤيا من
الافكار وكلها اضغاث احلام الا الرؤيا من قبل الله التي هي الهام في المنام ورؤيا النبي صلى الله عليه وآله هذا كانت بشارة له
وللمؤمنين بالغلبة وقال الحسن معنى قوله في منامك في موضع نومك اى في عينك التي تنام بها وليس من الرؤيا في النوم وهو قول
البلخي وهذا بعيد لانه خلاف الظاهر ولو اريكهم كثيرا على ما كانوا عليه لجبنتم عن قتالهم وضعفتم ولتنازعتم في امر القتال فكان يقول
بعضكم نقاتلهم وبعض اخرى يخالفونكم ويقول بعضكم لبعض تقدم انت في القتال ويتأخر هو بنفسه ولكن الله سلم اى سلم المؤمنين
عن الفشل واختلاف الكلمة واضطراب الامر بلطفه لهم واحسانه اليهم حتى بلغوا ما ارادوه من عدوهم انه عليم بذات الصدور
وبما في قلوبكم يعلم انكم لو علمتم كثرة عدوكم لرغبتم عن القتال واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا الكاف والميم كناية عن المؤمنين
والهاء والميم كناية عن المشركين اضاف الرؤيا في النوم الى النبي صلى الله عليه وآله لان رؤيا الانبياء لا تكون الا حقا واضاف رؤية العين
اليهم قلل الله المشركين في اعين المؤمنين ليشتد بذلك طمعهم فيه وجرأتهم عليهم وقلل المؤمنين في اعين المشركين لئلا يتاهبوا لقتالهم
ولا يكترثوا بهم فيظفر بهم المؤمنون وذلك قوله ويقللكم في اعينهم وقد وردت الرواية عن ابن مسعود انه قال قلت لرجل بجنبي اتراهم
سبعين رجلا فقال هم قريب من مائة وقد روي ان اباجهل كان يقول خذوهم بالايدي اخذا ولا تقاتلوهم ومتى قيل كيف قللهم
الله في اعينهم مع رؤيتهم لهم فالقول انه يجوز ان يكون ذلك ببعض الاسباب المانعة من الرؤيا اما بغبار او ما شاكله فيتخيلوهم باعينهم

من غير روية عن الصحة لجميعهم وذلك لطف من الطافه ليقضى الله امرا كان مفعولا انما كرره سبحانه مع ذكره فى الاية الاولى لتكرير الفايدة
لان المعنى فى الآية الاولى جمعكم من غير ميعاد ليقضي امرا كان مفعولا من الالتقاء على تلك الصفة والمعنى هنا انه قلل كل فريق فى عين صاحبه
ليقضي امرا كان مفعولا من اعزاز الدين بجهادكم وقيل اراد بالاول الوعد بالنصر يوم بدر والثانى الاستمرار على النصرة وقيل انما كرره للتاكيد
وانما قال كان مفعولا والمعنى يكون فى المستقبل بتحقيق كونه لا محالة حتى صار بمنزلة ما قد كان لعلمه سبحانه انه كاين لا محالة والى الله ترجع
الامور معناه **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون * واطيعوا الله ورسوله ولا
تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين * ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء
الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط * ثلث ايات اللغة الريح الدولة قال عبيد بن الابرص كما حميناك يوم النعف
من شطب والفضل للقوم من ريح ومن عدد اي من عز ومن دولة البطر الخروج عن موجب النعمة من شكرها واصل البطر الشق ومنه
البيطار لانه يشق اللحم بالمبضع والريا اظهار الجميل ليرى بعد ابطان القبيح الاعراب تفشلوا منصوب باضمار ان على معنى جواب النهي
ولذلك عطف عليه وتذهب ويصدون فى محل نصب بالعطف على قوله بطرا ورياء الناس وهما مصدران وضعا موضع الحال والمعنى
يبطرون ويراؤون ويصدون ولا يجوز ان يكون عطفا على خرجوا اذ لا يعطف مستقبل على ماض المعنى ثم امر سبحانه بالقتال و
الثبات فى الحرب فقال يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة اى جماعة كافرة فاثبتوا لقتالهم ولا تنهزموا وانما اطلق الفئة لان من المعلوم ان
المؤمن لا يقاتل الا الفئة الكافرة والباغية واذكروا ما وعدكم فحذف للايجاز واذكروا الله كثيرا مستعينين به على قتالهم ومتوقعين النصر
من قبله عليهم وقيل معناه واذكروا ما وعدكم الله تعالى من النصر على الاعداء فى الدنيا والثواب فى الاخرة ليدعوكم ذلك الى الثبات
فى القتال لعلكم تفلحون اي لكى تفلحوا او تنجحوا بالنصر والظفر بهم وبالثواب عند الله يوم القيمة واطيعوا الله ورسوله فيما يامركم به ولا
تنازعوا فتفشلوا اى لا تتنازعوا فى لقاء العدو ولا تختلفوا فيما بينكم فتجبنوا عن عدوكم وتضعفوا عن قتالهم وتذهب ريحكم معناه تذهب
صولتكم وقوتكم وقال مجاهد نصرتكم وقال الاخفش دولتكم والريح ههنا كناية عن نفاذ الامر وجريانه على المراد يقول العرب هبت ريح فلان
اذا جرى امره على ما يريد وركدت ريحه اذا ادبر امره وقيل ان المعنى ريح النصر التى يبعثها الله مع من ينصره على من يخذله عن قتادة وابن
زيد ومنه قوله صلى الله عليه وآله نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا على القتال ان الله مع الصابرين بالنصر والمعونة ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم بطرا اى بطرين يعنى قريشا خرجوا من مكة ليحموا عيرهم فخرجوا معهم بالقيان والمعازف يشربون الخمر ويعزف عليهم
القيان ورياء الناس قيل انهم كانوا يدينون بعبادة الاصنام فلما اظهروا التقرب بذلك الى الناس كانوا مرائين وقيل انهم قصدوا بذلك ان يروا
الناس انهم لا يبالون بالمسلمين وفى قلوبهم من الرعب ما فيه فسمى الله سبحانه ذلك رياء ويصدون عن سبيل الله اي يمنعون غيرهم عن
دين الله والله بما يعملون محيط اى عالم باعمالهم فيجازيهم عليها لا يخفى عليه منها شئ القصة قال ابن عباس لما رأى ابو سفيان انه احرز عيره ارسل
الى قريش اى ارجعوا فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام فنقيم بها ثلثا
وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا ابدا فوافوها فسقوا كؤوس المنايا وناحت
عليهم النوايح **قوله تعالى** واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص
على عقبيه وقال انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله والله شديد العقاب * آية المعنى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم دخلت الواو
عطفا على حال المشركين فى خروجهم بطرا ورياء الناس يعنى فى وقت تزيين الشيطان اعمالهم وقيل انه يعنى واذكروا اذ زين الشيطان
للمشركين اعمالهم اى حسنها فى نفوسهم وذلك ان ابليس حسن لقريش مسيرهم الى بدر لقتال النبى صلى الله عليه وآله وقال لا غالب لكم اليوم
من الناس اى لا يغلبكم احد من الناس لكثرة عددكم وقوتكم وانى مع ذلك جار لكم اى ناصر لكم ودافع عنكم السوء وقيل معناه وانى عاقد لكم عقد
الامان من عدوكم من قوله وهو يجير ولا يجار عليه فلما تراءت الفئتان اى التقت الفرقتان نكص على عقبيه اى رجع القهقرى منهزما وراءه
وقال انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون اى رجعت عما ضمنت لكم من الامان والسلامة لانى ارى من الملئكة الذين جاؤا لنصر المسلمين ما لا ترونه
وكان ابليس يعرف الملئكة وهم كانوا يعرفونه انى اخاف الله اي اخاف عذاب الله على ايدي من اراهم والله شديد العقاب لا يطاق

خمر

ع ٢

عقابه وقيل معناه انى اخاف ان يكون قد حل الوقت الذي انظرت اليه فان الملئكة لا ينزلون الا لقيام الساعة والعقاب وقال قتادة كذب عدوّ
الله ما به من مخافة ولكنه علم ان لا قوة له ولا منعة وذلك عادة عدو الله لمن اطاعه حتى اذا التقى الحق والباطل اسلمهم وتبرأ منهم وعلى هذا فيكون
قوله ارى ما لا ترون معناه اعلم ما لا تعلمون واخاف الله ان يهلكني فيمن يهلك واختلف فى ظهور الشياطين يوم بدر كيف كان فقيل ان
قريشا لما اجمعت المسير ذكرت الذي بينها وبين بنى بكر بن عبد مناف بن كنانة من الحرب فكاد ذلك ان يثنيهم فجاء ابليس فى جند من الشياطين
فتبدى لهم فى صورة سراقة بن مالك بن جشعم الكنانى ثم المدلجي وكان من اشراف كنانة فقال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم اي
مجير لكم من كنانة كما قال الشاعر يا ظالمي انى تروم ظلامتى والله من كل الحوادث جاري فلما رأى ابليس الملئكة تنزل من السماء وعلم انه لا طاقة له
بهم نكص على عقبيه عن ابن عباس والسدى والكلبى وغيرهم وقيل انهم لما التقوا كان ابليس فى صف المشركين اخذا بيد الحرث بن هشام
فنكص على عقبيه فقال له الحرث يا سراق اين اتخذلنا على هذه الحالة فقال له انى ارى ما لا ترون فقال والله ما ترى الا جعاسيس يثرب فدفع
فى صدر الحرث وانطلق وانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم
فقالوا انك اتيتنا يوم كذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان الشيطان عن الكلبى وروي ذلك عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلم
وقيل ان ابليس لا يجوز ان يقدر على خلع صورته ولبس صورة سراقة ولكن الله تعالى جعل ابليس فى صورة سراقة علما للنبى صلى الله عليه وآله وانما
فعل ذلك لانه علم انه لو لم يدع المشركين انسان الى قتال المسلمين فانهم لا يخرجون من ديارهم حتى يقاتلهم المسلمون لخوفهم من بنى كنانة
فصوره بصورة سراقة حتى تم المراد فى اعزاز الدين عن الجبائي وجماعة وقيل ان ابليس لم يتصور فى صورة انسان وانما قال ذلك لهم على وجه
الوسوسة عن الحسن واختاره البلخى والاول هو المشهور فى التفاسير ورأيت فى كلام الشيخ المفيد ابى عبد الله محمد بن محمد بن النعمن رضى الله
عنه انه يجوز ان يقدر الله تعالى الجن ومن جرى مجراهم على ان يتجمعوا ويعتمدوا ببعض جواهرهم على بعض حتى يتمكن الناس من رؤيتهم
ويتشبهوا بغيرهم من انواع الحيوان لان اجسادهم من الرقة على ما يمكن ذلك فيها وقد وجدنا الانسان يجمع الهوى ويفرقه ويغير صورة
الاجسام الرخوة ضروبا من التغيير واعيانها لم تزد ولم تنقص وقد استفاض الخبر بان ابليس تراءى لاهل دار الندوة فى صورة شيخ من اهل نجد
وحضر يوم بدر فى صورة سراقة وان جبرئيل ع ظهر لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فى صورة دحية الكلبى قال وغير محال ايضا ان يغير
الله تعالى صورهم ويكثفها فى بعض الاحوال فيراهم الناس لضرب من الامتحان قوله تعالى اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض
غرّ هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملئكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب
الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد ثلث آيات القراءة قرأ ابن عامر وحده اذ تتوفى بتائين والباقون يتوفى بالياء والتاء
من قرأ بالتاء فلاسناد الفعل الى الملئكة ومن قرأ بالياء فلان التانيث غير حقيقى الاعراب العامل فى اذ يجوز ان يكون الابتداء والتقدير اذ يقول
ويجوز ان يكون التقدير اذكر اذ يقول وجواب لو محذوف وتقديره لرأيت منظرا عظيما وامرا عجيبا وحذف الجواب هنا ابلغ واوجز فان ذلك
يخص وجها واحدا ومع الحذف الاحتمال لوجوه كثيرة وموضع بما قدمت ايديكم يحتمل وجهين من الاعراب احدهما الرفع بكونه خبر ذلك والثاني
النصب بان يكون متصلا بمحذوف وتقديره ذلك جزاؤكم بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد يحتمل ان يكون محله نصبا
بتقدير وبان الله اجراء على الخلاف فيه ويحتمل ان يكون محله رفعا بتقدير وذلك ان الله كما يقول ذاك هذا المعنى اذ يقول المنافقون
هذا يتعلق بما قبله معناه واذ زين لهم الشيطان اعمالهم اذ يقول المنافقون فلذلك حذف الواو وهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الايمان
والذين فى قلوبهم مرض وهم الشاكون فى الاسلام مع اظهارهم كلمة الايمان وقيل انهم فئة من قريش اسلموا بمكة واحتبسهم اباؤهم فخرجوا مع قريش
يوم بدر وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وعلى بن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج والحرث بن زمعة وابو قيس بن الفاكه بن المغيرة
لما رأوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم اي غر المسلمين دينهم حتى خرجوا مع قلتهم لاجل دينهم الى قتال المشركين مع كثرتهم ولم يحسنوا
النظر لانفسهم حين اغتروا بقول رسولهم فبين الله تعالى انهم المغرورون بقوله ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم معناه من يسلم
لامر الله ويثق به ويرضى بفعله وان قل عددهم فان الله تعالى ينصرهم على اعدائهم وهو عزيز لا يغلب فكذلك من توكل عليه وهو حكيم
يضع الامور مواضعها على ما تقتضيه الحكمة ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملئكة اى يقبضون ارواحهم عند الموت يضربون وجوههم وادبارهم

عشر

يريد استاههم ولكن الله سبحانه كنى عنها عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل وجوههم ما اقبل منهم وادبارهم ما ادبر منهم والمراد يضربون اجسادهم من
قدامهم ومن خلفهم والمراد به قتلى بدر عن ابن اسحق ومجاهد وسعيد بن جبير واكثر المفسرين وقيل معناه سيضربهم الملئكة عند الموت قال الرماني وهذا
غلط لانه خلاف الظاهر وروى الحسن قال ان رجلا قال يا رسول الله انى رايت بظهر ابي جهل مثل الشراك فقال عليه السلم ذاك ضرب الملئكة و
روي مجاهد ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وآله انى حملت على رجل من المشركين فذهبت لاضربه فندر راسه فقال سبقك اليه الملئكة وذوقوا
عذاب الحريق اي ويقول الملئكة للكفار استخفافا بهم ذوقوا عذاب الحريق ذلك اي ذلك العقاب لكم بما قدمت ايديكم اي بما قدمتم وفعلتم
وانما اضاف الى اليد على التغليب لان اكثر الافعال تكون باليد والمراد ذلك بجنايتكم الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد لا يظلم
عباده فى عقوبتهم من حيث انه انما عاقبهم بجناياتهم على قدر استحقاقهم وفى هذا دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبرة فى انه يخلق الكفر
ثم يعذب عليه وانه يجوز ان يعذب من غير ذنب وان يأخذ بذنب غيره لان هذا غاية الظلم وقد بالغ عز اسمه فى نفى الظلم عن نفسه بقوله
ليس بظلام للعبيد قوله تعالى كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ
ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ ثلث ايات اللغة الدأب العادة والطريقه يقال مازال ذاك دأبه ودينه وديدنه قال الزجاج
الدأب ادامة الفعل دأب يدأب فى كذا اذا دام عليه وهو دائب يفعل كذا اى يجرى فيه على عادة قال خداش بن زهير ومازال ذاك الداب
حتى تخاذلت هوازن وارفضت سليم وعامر والتغيير تصيير الشئ على خلاف ما لو شوهد لشوهد على خلاف ما كان الاعراب كدأب الكاف
فى موضع رفع بانه خبر المبتداء كما تقول زيد خلفك موضع خلفك رفع بانه خبر المبتداء ولفظه نصب بالاستقرار وتقديره دأبهم كدأب آل
فرعون لم يك اصله يكون فحذفت الواو للجزم ثم حذفت النون استخفافا لكثرة الاستعمال مع انه لا يقع بالحذف اخلال بالمعنى لان كان
ويكون ام الافعال الا ترى ان كل فعل فيه معناه لانك اذا قلت ضرب فمعناه كان ضرب ويضرب معناه يكون ضرب فلما قويت بانها ام الافعال
وكثر استعمالها احتمل الحذف ولم يحتمل نظايرها ذلك مثل لم يصن المعنى ثم بين سبحانه ان حال هؤلاء الكفار كحال من قبلهم فقال كدأب
آل فرعون اي عادة هؤلاء المشركين فى الكفر بمحمد صلى الله عليه وآله كعادة آل فرعون والذين من قبلهم فى الكفر بالرسل وما انزل اليهم وقيل معناه
عقوبة الله تعالى كعقوبة لآل فرعون وآل فرعون اتباعه والفرق بين آل فرعون واصحاب فرعون ان الاصحاب مأخوذ من الصحبة واكثر فى
الموافقه فى المذهب كما يقال اصحاب الشافعى وابى حنيفه يراد به الموافقه فى المذهب ولا يقال آل الشافعى الا لمن يرجعون اليه بالنسب الا وكد
الاقرب كفروا بايات الله كما كفر هؤلاء فاخذهم الله اى فعاقبهم الله بذنوبهم ان الله قوى اي قادر لا يقدر احد على منعه عن احلال الكفر بما
يريد شديد العقاب لمن استحقه ولا يوصف الله سبحانه بانه شديد لان الشديد هو المتداخل على صعوبة تفككه وانما وصف العقاب بالشدة
دون نفسه وشبه حال المشركين فى تكذيبهم بايات الله بحال آل فرعون لان تعجيل العقاب لهؤلاء باهلاك كتعجيله لاولئك بعذاب
الاستيصال ذلك اي ذلك الاخذ والعقاب لهم بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم معناه بان الله لم يكن يزيل
نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا هم عن احوالهم المرضية الى احوال لا يجوز لهم ان يتغيروا اليها من ان يستبدلوا المعصية بالطاعة وكفران
النعمة بشكرها وقد يسلب الله تعالى النعم على وجه المصلحة لا على وجه العقاب امتحانا للمصلحة يعلمها فى ذلك ولكن لا يسلبها بفعل النقمة
على وجه العقاب الا عن من استحق العقاب قال السدى النعمة التى انعمها الله تعالى عليهم محمدا صلى الله عليه وآله انعم الله به على قريش فكفروا
به وكذبوه فنقله الى الانصار وان الله سميع لاقوالهم عليم بضمايرهم وبكل شئ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كعادتهم وطريقتهم
فى التكذيب بايات الله عادة هؤلاء كذبوا بايات ربهم اى بحجه وبيناته فاهلكناهم بذنوبهم اى استاصلناهم واغرقنا آل فرعون وكل
كانوا ظالمين اى كل هؤلاء المهلكين كانوا ظالمين لانفسهم فلم يعاقب فريقا منهم الا عن استحقاق وانما كرر قوله كدأب آل فرعون لانه اراد
بالاول بيان حالهم فى استحقاق عذاب الاخرة وفى الثانى بيان استحقاقهم لعذاب الدنيا وقيل ان فى الاول تشبيه حالهم بحال
اولئك فى التكذيب وفى الثانى تشبيه حالهم بحالهم فى الاستيصال وقيل الاول فى اخذهم بالعذاب والثانى فى كيفية العذاب وقيل ان
آل فرعون كانوا على احوال مختلفة فى المعصية فبين مشاركة هؤلاء اياهم فى تلك الاحوال قوله تعالى إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ

كانوا ظالمين

كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون ايتان فهم لا يؤمنون الفا العطف
جملة على جملة فهو في الصلة كانه قال كفروا مصممين على الكفر فهم لا يؤمنون وانما حسن عطف جملة اسمية على جملة فعلية لما فيهما من التادية
الى معنى الحال وذلك ان صفاتهم بالكفر واصرارهم عليه اي الى الحال في انهم لا يؤمنون وقوله ثم ينقضون عطف المستقبل على الماضي لان
الغرض ان من شانهم نقض العهد مرة بعد مرة في مستقبل اوقاتهم بعد العهد اليهم المعنى ثم ذم الله سبحانه الكفار فقال ان شر الدواب
عند الله اي شر من يدب على وجه الارض في معلوم الله او في حكم الله الذين كفروا واستمروا على كفرهم فهم لا يؤمنون هذا اخبار عن قوم من
المشركين وقيل انهم لا يؤمنون ابدا فخرج المخبر على وفق الخبر فماتوا مشركين ثم وصفهم فقال الذين عاهدت منهم اي من جملتهم والضمير العايد الى
الذين محذوف اي الذين عاهدتهم منهم اي من المشركين وقيل ان من مزيدة وانما دخلت لان معنى عاهدت ثم اخذت العهد منهم وكما
قال ردف لكم لان معنى ردف قرب تعومل بما يعامل به وقيل معناه عاهدت معهم قال مجاهد اراد به يهود بني قريظة فانهم كانوا قد عاهدوا
النبي صلى الله عليه وآله على ان لا يضروا به ولا يمالوا عليه عدوا ثم مالوا عليه الاحزاب يوم الخندق واعانوهم عليه بالسلاح وعاهدوا مرة بعد اخرى
فنقضوا فانتقم الله منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة اي كلما عاهدتهم ينقضوا العهد ولم يفوا به وهم لا يتقون نقض العهد وقيل لا يتقون عذاب
الله تعالى قوله تعالى فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله
لا يحب الخائنين آيتان اللغة الثقف الظفر والادراك بسرعة والتشريد التفريق على اضطراب والخيانة نقض العهد فيما اوتمن والنبذ القاء الخبر الى
من لا يعلمه والسواء العدل قال الراجز فاضرب وجوه الغرب الاعداء حتى يجيبوك الى السواء اي الى العدل ومنه قيل للوسط سواء لاعتداله
الى الجهات قال حسان يا ويح انصار النبي ورهطه بعد المغيب في سواء الملحد اي في وسطه وقيل يعني تقول على سواء على استواء في العلم
الاعراب اما تثقفنهم واما تخافن دخلت نون التاكيد لما دخلت ما ولو لم تدخل ما لما حسن دخول النون لان دخول ما كدخول القسم في انه
علامة يؤذن انه من مواضع تاكيد المطلوب من التصديق لان النون تدخل لتاكيد المطلوب فيما يدل على المطلوب وهي في ست مواضع
الامر والنهي والاستفهام والعرض والقسم والجزاء مع ما المعنى ثم حكم سبحانه في هؤلاء الناقضين للعهود فقال لنبيه صلى الله عليه وآله
فاما تثقفنهم في الحرب معناه فاما تصادفنهم في الحرب اي ان ظفرت بهم وادركتهم فشرد بهم من خلفهم اي فنكل بهم تنكيلا واثخنهم تاثيرا يشرد
بهم من بعدهم ويطردهم ويمنعهم من نقض العهد بان ينظروا فيهم فيعتبروا فلا ينقضوا العهد ويتفرقوا في البلاد مخافة ان تعاملهم بمثل
ما عاملتهم به وان يحل بهم ما حل بهم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير والسدي وقال الزجاج معناه افعل
بهم فعلا من القتل يفرق به من خلفهم وقيل ان معنى شرد بهم سمع بهم بلغة قريش قال الشاعر اطوف في الاباطح كل يوم مخافة ان
يشرد حكيم لعلهم يذكرون اي لكي يذكروا ويتعظوا وينزجروا عن مثل ذلك فاما تخافن من قوم خيانة معناه وان خفت يا محمد من
قوم بينك وبينهم عهد خيانة فيهم لان الخيانة انما تكون بعد تقدم العهد ولم يظهر منهم نقض العهد بعد فانبذ اليهم على سواء اي فالق
اليهم ما بينك وبينهم من العهد واعلمهم بانك قد نقضت ما شرطت لهم ليكون انت وهم في العلم بالنقض على استواء ولا تبداهم بالقتال
من قبل ان تعلمهم بنقض العهد حتى لا ينسبوك الى الغدر بهم فهذا معنى قوله على سواء وقيل معنى قوله على سواء على عدل ان كان بينك
وبينهم عهد بغير مال فاعلمهم بانك قد نقضت عهدهم وان كان العهد على مال فرد المال عليهم ثم انقض العهد ان الله لا يحب
الخائنين اي بنقضهم معناه فلا تخنهم بان تبداهم بالقتال من غير اعلامهم بنقض العهد قال الواقدي هذه الاية نزلت في بني قينقاع
وبهذه الاية سار النبي صلى الله عليه وآله اليهم قوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون واعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله
يوف اليكم وانتم لا تظلمون وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم ثلث آيات القراءة قرا ابن عامر
وابو جعفر وحمزة وحفص لا يحسبن بالياء والباقون بالتاء وقرا ابن عامر انهم لا يعجزون بالفتح والباقون انهم لا يعجزون بالكسر
وقرا رويس يرهبون بالتشديد والباقون ترهبون وقرا ابو بكر للسلم بكسر السين والباقون بفتح السين الحجة من قرا لا تحسبن
بالتاء فالذين كفروا المفعول الاول وسبقوا محله في موضع نصب بكونها المفعول الثاني ومن قرا لا يحسبن بالياء فلا يخلو من ان يكون

جعل الذين كفروا الفاعل وهذا لا يجوز لان يحسبن لا بد له من مفعولين ولكنه مفعول على احد ثلث اشيا اما ان يكون فاعله النبي
صلى الله عليه واله وتقديره ولا يحسبن النبي الذين كفروا سبقوا واما ان يكون تقديره على حذف ان كانه قال ولا يحسبن الذين كفروا
ان سبقوا فحذف ان كما حذفها في تاويل سيبويه في قوله افغير الله تأمروني اعبد فكانه قال افغير عبادته تأمروني قال الزجاج ويقوي
هذا الوجه لها في حذف ابن مسعود انهم سبقوا وان كانت كذلك فهي بمنزلة قولك حسبت ان اقوم وحسبت اقوم على حذف
ان واذا وجهته على هذا فقد سد ان سبقوا مسد المفعولين كما ان قوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا كذلك واما ان يكون
اضمر المفعول الاول وتقديره ولا يحسبن الذين كفروا انفسهم سبقوا واياهم سبقوا ومن قرا انهم لا يعجزون بكسر الالف يكون على الاستيناف
كما ان قوله ساء ما يحكمون منقطع من الجملة التي قبلها التي هي ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ومن قرا انهم لا يعجزون
جعله متعلقا بالجملة الاولى وتقديره لا تحسبنهم سبقوا لانهم لا يفوتون ومن قرا ترهبون فلان رهب يرهب يتعدى تارة بالهمزة
وتارة بالتشديد فيقال رهبته وارهبته واما السلم والسلم فلغتان معناهما الصلح اللغة السبق تقدم الشيء على طالب اللحوق
والاعجاز ايجاد ما يعجز عنه والعجز معنى عند ابي علي وابي القسم البلخي وليس بمعنى عند ابي هاشم واصحابه بل هو عدم القدرة وذهب اليه
المرتضى والاعداد اتخاذ الشيء لغيره مما يحتاج اليه في امره والاستطاعة معنى يطاع بها الجوارح للفعل مع انتفاء المعنى والرباط شد الربط
من العقد يقال ربطه يربطه ربطا ورباطا وارتبطه مرابطة ورباطا والرهاب ازعاج النفس بالخوف والجنوح الميل ومنه جناح
الطائر لانه يميل به في احدى شقيه ولا جناح عليه اي لا ميل الى مأثم الاعراب لا يعجزون بفتح النون هو القراءة ويجوز كسرها على معنى
لا يعجزونني وحذف النون الاولى لاجتماع النونين كما قال الشاعر تراه كالثغام يعل مسكا يسوء الغاليات اذا فليني يريد فلينني
واخرين من دونهم منصوب على تقدير ويرهبون اخرين ويجوز ان يكون على تقدير واعدوا لهم ولاخرين فيكون مجرورا عطفا على
الهاء والميم المعنى لما تقدم الامر بقتال الكفار عقبه سبحانه بوعد النصر والامر بالاعداد لقتالهم فقال ولا يحسبن الذين كفروا
سبقوا معناه ولا تحسبن يا محمد اعداؤك الكافرين قد سبقوا امر الله واعجزوه وانهم قد فاتوك فان الله سبحانه يظفرك بهم كما
وعدك ويظهرك عليهم والسبق والفوت بمعنى واحد وقيل معناه ولا تحسبن من افلت من هذا الحرب انه قد سبق الى الحياة
عن الزجاج والخطاب للنبي صلى الله عليه واله والمراد به غيره وقيل انه سبحانه انما قاله تطييبا لنفسه في الهاربين كما طيب قلبه
في المقتولين والماسورين وعلى القراءة بالياء فالمعنى لا يحسبن الكافرون انفسهم سابقين او لا يحسبن الكافرين انهم سابقون
انهم لا يعجزون اي لا يعجزون الله ولا يفوتونه حتى لا يبعثهم يوم القيمة عن الحسن وقيل معناه لا يعجزونك عن الجبائي واعدوا لهم
ما استطعتم من قوة هذا امر منه سبحانه بان يعدوا لهم السلاح قبل لقاء العدو ومعناه واعدوا للمشركين ما قدرتم عليه مما يتقوى
به على القتال من الرجال والات الحرب وروى عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه واله ان القوة الرمي وعلى هذا فيكون معناه
انه من القوة وقيل ان القوة اتفاق الكلمة والثقة بالله تعالى والرغبة في ثوابه وقيل القوة الحصون عن عكرمة ومن رباط الخيل
اي ومن ربطهم الخيل واقتنائها للغزو وهي من قواعد الجهاد وروي عن النبي صلى الله عليه واله ارتبطوا الخيل فان ظهورها لكم
عز واجوافها كنز وقيل ان القوة ذكور الخيل والرباط الاناث منها عن الحسن وعكرمة ترهبون به اي تخيفون بما تعدونه لهم
عدو الله وعدوكم يعني مشركي مكة وكفار العرب واخرين من دونهم اي وترهبون كفارا اخرين دون هؤلاء واختلفوا في الاخرين
وقيل انهم بنو قريظة عن مجاهد وقيل هم اهل فارس عن السدي وقيل هم المنافقون لا يعلم المسلمون انهم اعداؤهم وهم اعداهم عن
الحسن بن زيد لا تعلمونهم معناه لا تعرفونهم لانهم يصلون ويصومون ويقولون لا اله الا الله محمد رسول الله ويختلطون بالمؤمنين الله
يعلمهم اي يعرفهم لانه المطلع على الاسرار وقيل هم الجن وهو اختيار الطبري قال لان الاعداء دخل فيه جميع المتظاهرين بالعداوة ولم يبق
الا من لا يشاهد وما تنفقوا من شيء في سبيل الله اي في الجهاد وفي طاعة الله يوف اليكم اي يوفر عليكم ثوابه في الاخرة وانتم لا تظلمون اي
لا تنقصون شيئا منه وان جنحوا للسلم اي مالوا الى الصلح وترك الحرب فاجنح لها اي مل اليها واقبلها منهم وانما انث لان السلم بمعنى المسالمة
وتوكل على الله اي فوض امرك الى الله فانه هو السميع العليم لا يخفى عليه خافية وقيل ان هذه الاية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين

وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله عن الحسن وقتادة وقيل انها ليست بمنسوخة لانها فى المواعدة لاهل الكتاب والاخرى لعباد الاوثان
وهذا هو الصحيح لان قوله اقتلوا المشركين والآية الاخرى نزلت فى سنة تسع فى سورة براءة وصالح رسول الله صلى الله عليه وآله اهل نجران بعدها

قوله تعالى وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ آيتر بصري وآيتان فى الباقين

اللغة الخدع والخديعة اظهار المحبوب فى الامر مع ابطان المكروه والتاييد التمكين من الفعل على اتم ما يصح فيه والايدي القوة والتاليف الجمع على تشاكل واختلف فى التاليف فانه بعضهم معنى يبقاء بعضهم والصحيح انه معنى كل محلين ولا يحصل من فعلنا الا متولدا

المعنى ثم خاطب سبحانه نبيه عليه السلم فقال وان يريدوا ان يخدعوك معناه وان يرد الذين يطلبون منك الصلح ان يخدعوك فى الصلح بان يقصدوك بالتماس الصلح دفع اصحابك والكف عن القتال حتى يقوى ويستعد لكم بالقتال من غير استعداد منكم فان حسبك الله اى فان الذي يتولى كفايتك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين اى هو الذي قواك بالنصر من عنده وايدك بالمؤمنين الذين ينصرونك على اعدائك والف بين قلوبهم واراد بالمؤمنين الانصار وهم الاوس والخزرج عن ابي جعفر عليه السلم والسدى واكثر المفسرين واراد بتاليف القلوب ما كان بين الاوس والخزرج من العداوة والقتال فانه لم يكن حيان من العرب بينهما من العداوة مثل ما كان بين هذين الحيين فالف الله قلوبهم حتى صاروا متوادين متحابين ببركة نبينا صلى الله عليه وسلم وقيل اراد كل متحابين فى الله عن مجاهد لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اى لم يمكنك جمع قلوبهم عن الالفة وازالة الضغاين الجاهلية ولكن الله الف بينهم بان لطف بهم بحسن تدبيره وبالاسلام الذي هداهم اليه انه عزيز حكيم لا يمتنع عليه شئ يريد فعله ولا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة قال الزجاج وهذا من الآيات العظام وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله بعث الى قوم انفسهم شديدة بحيث لو لطم رجل من قبيلة لطمه قاتل عنه قبيلته فالف الايمان بين قلوبهم حتى قاتل الرجل اباه واخاه وابنه فعلم الله سبحانه هذا هو مولاه منهم لا صص

قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ثلث آيات

ان يكن منكم مائة بالياء فيهما كوفى الاول بالتاء بصري ضعفا بفتح الضاد كوفى الا الكسائي والباقون بضم الضاد ولكنهم سكنوا العين الا ابا جعفر ضعفاء على وزن فعلاء الحجة من قرأ بالياء فلانه يراد به المذكر يدلك على ذلك قوله تعالى يغلبوا وقرا ابو عمرو وان منكم مائة صابرة بالتاء كما انث صفة المائة وهي قوله صابرة كذلك انث الفعل ومن قرا الجميع بالياء حمله على اللفظ واللفظ مونث والضعف والضعف لغتان كالفقر والفقر اللغة اتباع موافقة الداعي فيما يدعو اليه من اجل دعائه والتحريض والحرص والحث بمعنى وهو الذي عب فى الفعل كما بعث على المبادرة اليه وضده التقصير والصبر حبس النفس عما ينازع اليه من ضد ما ينبغي ان يكون عليه وضده الجزع قال فان تصبرا فالصبر خير مغبة وان تجزعا فالامر ما تريان والتخفيف رفع المشقة بالخفة والخفة نقيض الثقل والخفة والسهولة بمعنى و الضعف نقصان القوة وهو من الضعف لانه ذهاب ضعف القوة الاعراب موضع من اتبعك رفع على معنى حسبك الله واتباعك من المؤمنين ويحتمل ان يكون نصبا بمعنى ويكفي من اتبعك التاويل لان الكاف فى حسبك فى موضع جر بالاضافة لانه مفعول به فى المعنى فعطف على المعنى ومثله قوله سبحانه انا منجوك واهلك وقال الشاعر اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاك سيف مهند الآن مبني مع الالف واللام لانه خرج عن التمكن لشبه الحرف قال الزجاج عشرون لا يجوز الا كسر العين وزعم اهل اللغة انه كسر اوله كما كسر اول اثنين لان عشرين من عشرة مثل اثنين من واحد ويدل عليه فتح ثلثين كفتح ثلاثة وكسرهم تسعين لكسر تسعه المعنى ثم امر سبحانه بقتال الكفار وحث عليه بقوله يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين اى كافيك الله ويكفيك متبوعك من المؤمنين وقال الحسن معناه الله حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين اى يكفيك ويكفيهم قال الكلبي نزلت هذه الآية بالبيداء فى غزوة بدر قبل القتال يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال اى ابعث المؤمنين على القتال ورغبهم فيه بسراير اسباب

التحريض والترغيب من ذكر الثواب الموعود على القتال وبيان ما وعدهم من النصر والظفر واغتنام الاموال ان يكن منكم عشرون صابرون
على القتال يغلبوا مائتين من العدو وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا اللفظ لفظ الخبر والمراد به الامر ويدل على ذلك قوله فيما
بعده الان خفف الله عنكم لان التخفيف لا يكون الا بعد التكليف بانهم قوم لا يفقهون معناه ذلك النصر من الله تعالى لكم على الكفار
والخذلان للكفار بانكم تفقهون امر الله تعالى وتصدقونه فيما وعد من الثواب ولما علم الله تعالى ان ذلك يشق عليهم تغير المصلحة في
ذلك فقال الان خفف الله عنكم الحكم في الجهاد من وجوب قتال العشرة على الواحد وثبات الواحد للعشرة وعلم ان فيكم ضعفا اراد به
ضعف البصيرة والعزيمة ولم يرد ضعف البدن فان الذين اسلموا في الابتداء لم يكونوا كلهم اقوياء البدن بل كان فيهم القوي والضعيف
ولكن كانوا اقوياء البصيرة واليقين ولما كثر المسلمون واختلط بهم من كان اضعف يقينا وبصيرة نزل الان خفف الله عنكم وان يكن منكم
مائة صابرة على القتال يغلبوا مائتين من العدو وان يكن منكم الف يغلبوا الفين منهم باذن الله اي بعلم الله وقيل بامره فامر الله تعالى
الواحد للاثنين وضمن له النصرة له عليهما وانما لم يفصل ولم يأمر من كان قوي البصيرة بان يثبت للعشرة ومن كان ضعيف البصيرة بان
يثبت للاثنين لانهم كانوا يشهدون القتال مختلطين فكان لا يمكن التمييز بينهم ولو نص على من كان ضعيف البصيرة كان فيه ايحاشهم
وانكسار قلوبهم وزيادة ضعفهم والله مع الصابرين ومعناه والله معين الصابرين وقيل ان هذه نزلت بعد الاية الاولى بمدة
وان قرن بينهما في المصحف وهي ناسخة للاولى والمعتبر في الناسخ والمنسوخ في النزول دون التلاوة وقال الحسن ان التغليظ كان على
اهل بدر ثم جاءت الرخصة **قوله تعالى** ماكان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة
والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم * فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله
غفور رحيم * ثلث آيات **القراءة** قرا ابو جعفر ان يكون له بالتاء اسارى وقرا اهل البصرة ان تكون له بالتاء اسرى والباقون ان يكون
له بالياء اسرى **الحجة** من قرا تكون فلان الجمع مونث ومن قرا بالياء فانهم مذكرون في المعنى وقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل
قال ابو علي والاسرى اقيس من الاسارى لان اسير فعيل بمعنى مفعول وذلك يجمع على فعلى نحو جريح وجرحى وقتيل وقتلى واستمر هذا
الجمع في هذا الباب وكثر حتى شبه به غيره مما ليس منه ولكن موافقته مثل مرضى وهلكى وموتى وذلك ان هذه امور ابتلوا بها وادخلوا
فيها وهم لها كارهون فصار لذلك مشبها بفعيل في قول الخليل وانما قالوا اسارى على التشبيه بكسالى كما قالوا كسلى على التشبيه باسرى
وقال الازهري جمع الاسارى فهو جمع الجمع **اللغة** الاسر الشد على المحارب بما يصير به في قبضة الاخذ له فلان ماسور اي مشدود
وكانوا يشدون الاسير بالقد والاثخان في الارض تغليظ الحال بكثرة القتل والثخن والغلظ والكثافة نظائر وقد ثخن اذا اشتد
وقويت عليه واثخنته الجراح والعرض متاع الدنيا سماه عرضا لقلة لبثه والفرق بين الحلال من حل العقد في التحريم والمباح من
التوسعة في الفعل وانما اجتمعا في الحل والطيب المستلذ وشبه الحلال به فسمي طيبا واللذة نيل المشتهى **الاعراب** الفاني وكلوا دخلت
الفاء المعنى قد احللت لكم الفداء احلالا طيبا منصوب على الحال **المعنى** ماكان لنبي اي ليس له ولا في عهد الله اليه ان يكون له اسرى
من المشركين ليفديهم او يمن عليهم حتى يثخن في الارض اي يبالغ في قتل المشركين وقهرهم ليرتدع بهم من وراءهم وقال ابو مسلم الاثخان
الغلبة على البلدان والتذليل لاهلها يعني حتى يتمكن في الارض تريدون عرض الدنيا وهذا خطاب لمن دون النبي صلى الله عليه وآله
عليه وآله من المؤمنين الذين رغبوا في اخذ الفداء من الاسرى في اول وقعة ورغبوا في الحرب للغنيمة قال الحسن وابن عباس يريد يوم
بدر يقول اخذتم الفداء من الاسرى في اول وقعة كانت لكم من قبل ان تثخنوا في الارض وعرض الدنيا مال الدنيا لانه بعرض الزوال
والله يريد الاخرة اي يريد وعاجل الحظ من عرض الدنيا والله يريد لكم ثواب الاخرة والله عزيز لا يغلب انصاره فاعلموا ما يريده منكم
لينصركم حكيم يجري افعاله على توجه الحكمة فصل سبحانه بين ارادة نفسه وارادة عباده ولو كان ما اراده على ما قاله المجبرة لم يصح
هذا التفصيل لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم قيل في معناه اقوال احدها لولا ما مضى من حكم الله ان لا يعذب قوما
حتى يبين لهم ما يتقون وانه لم يبين لكم ان لا تاخذوا الفداء لعذبكم باخذ الفداء عن جريج وثانيها لولا اذن الله لكم باباحة الغنائم
والفداء في ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ لمسكم فيما استحللتم قبل الاباحة عذاب عظيم فان الغنائم لم تحل لاحد قبلكم عن ابن عباس

وثالثها لولا كتاب من الله سبق وهو القرآن فآمنتم به واستوجبتم بالايمان به الغفران لمسكم العذاب عن الجبائي والمراد به الصغاير ورابعها
ان الكتاب الذي سبق قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ومعناه لولا ما كتب في القرآن او في اللوح المحفوظ انه لا يعذبكم والنبي بين اظهركم
لعذبكم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا هذا اباحة منه سبحانه للمؤمنين ان ياكلوا مما غنموه من اموال المشركين واتقوا الله باتقاء معاصيه ان الله غفور
رحيم القصة كان القتلى من المشركين يوم بدر سبعين قتل منهم علي بن ابي طالب سبعة وعشرين وكان الاسراء ايضا سبعين ولم يوسر
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجمعوا الاسارى وقرنوهم في الحبال وساقوهم على اقدامهم وقتل من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم تسعة رجال بهم سعد بن خيثمه وكان من النقباء من الاوس وعن محمد بن اسحاق قال استشهد من المسلمين يوم بدر احد عشر
رجلا اربعة من قريش وسبعة من الانصار وقيل ثمانيه وقتل من المشركين بضعة واربعون رجلا وعن ابن عباس قال لما امسى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم بدر والناس محبوسون بالوثاق بات ساهرا اول الليل فقال له اصحابه ما لك لا تنام فقال سمعت انين عمي
العباس في وثاقه فاطلقوه فسكت فنام رسول الله صلى الله عليه وآله وروى عبيدة السلماني عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال
لاصحابه يوم بدر في الاسارى ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فكانت الاسارى سبعين فقالوا بل ناخذ الفداء
ونتمتع به ونتقوى به على عدونا ونستشهد منا بعدتهم قال عبيدة طلبوا الخيرتين كلتيهما فقتل منهم يوم احد سبعون وفي كتاب علي بن
ابراهيم لما قتل رسول الله صلى الله عليه وآله النضر بن الحارث وعقبه بن ابي معيط خافت الانصار ان يقتل الاسارى قالوا يا رسول الله
قتلنا منهم سبعين منهم وهم قومك واسرتك اتجذ اصلهم فخذ يا رسول الله منهم الفداء وقد كانوا اخذوا ما لا وجدوه من الغنايم في عسكر
قريش فلما طلبوا اليه وسالوه نزلت الآية ما كان لنبي ان تكون له اسرى الايات فاطلق لهم الايات وكان اكثر الفداء اربعة الف درهم
واقله الف درهم فبعث قريش بالفداء اولا فاولا وبعث زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله من فدى زوجها ابا العاص ابن الربيع
وبعثت قلايد كانت خديجة جهزتها بها فاطلقه رسول الله صلى الله عليه وآله وكان ابو العاص بن اخت خديجه فلما راى رسول الله
صلى الله عليه وآله تلك القلايد قال رحم الله خديجة هذه قلايد هي جهزتها بها فاطلقه رسول الله صلى الله عليه وآله اشترط ان يبعث
اليه زينب ولا يمنعها من اللحوق له فعاهده على ذلك ووفى له وروي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كره اخذ الفداء حتى راى سعد كراهة ذلك
في وجهه فقال يا رسول الله كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم ومكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكني من فلان اضرب عنقه
فان هؤلاء ائمة الكفر وقال ابو بكر اهلك وقومك استان بهم واستبقهم وخذ منهم فدية تكون قوة على الكفار قال ابن زيد فقال رسول
الله صلى الله عليه وآله لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وقال ابو جعفر الباقر عليه السلم كان الفداء يوم بدر كل
رجل من المشركين باربعين اوقية والاوقية اربعون مثقالا الا العباس فان فداه كان ماية اوقية وكان اخذ منه حين اسر عشرون
اوقية ذهبا فقال النبي ذلك غنيمة ففاد نفسك وابني اخيك نوفلا وعقيلا فقال ليس معي شيء فقال اين الذهب الذي سلمته الى ام
الفضل وقلت لها ان حدث بي حدث فهو لك وللفضل وعبد الله فقال من اخبرك بهذا قال الله تعالى فقال اشهد انك رسول الله
ما اطلع على هذا احد الا الله تعالى قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسَارَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ
مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ آيتان القراءة
قرا ابو جعفر وابو عمرو من الاسارى والباقون من الاسرى وقد ذكرنا الفرق بين الاسرى والاسارى فيما قبل المعنى خاطب الله سبحانه
وتعالى نبيه عليه السلم فقال يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى انما ذكر الايدي في وثاقهم بمنزلة من يكون في ايديهم لاستيلائهم
عليهم من الاسرى يعني اسراء بدر الذين اخذ منهم الفداء ان يعلم الله في قلوبكم خيرا اسلاما واخلاصا او رغبة في الايمان وصحة نيه
يؤتكم خيرا اي يعطكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما في الدنيا والآخرة واما في الآخرة ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم وروي عن العباس
بن عبد المطلب انه قال نزلت هذه الآية في وفي اصحابي كان معي عشرون اوقيه ذهبا فاخذت مني فاعطاني الله مكانها عشرين عبدا
كل منهم يضرب بمال كثير وادناهم يضرب بعشرين الف درهم مكان العشرين اوقية واعطاني زمزم وما احب ان لي بها جميع اموال اهل
مكة وانا انتظر المغفرة من ربي قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وآله لما قدم عليه مال البحرين ثمانون الفا وقد توضى لصلاة الظهر

عشر

فما

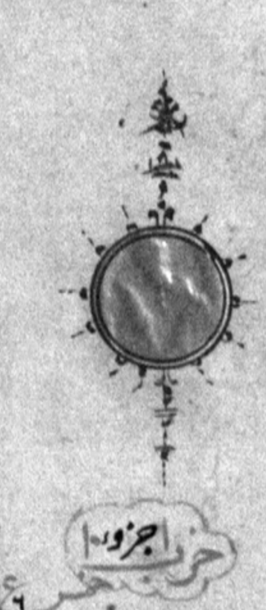
فاصلى بيننا حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه ومحى واخذ فكان العباس يقول هذا خيرهما اخذ منى وارجو المغفرة وان يريدوا خيانتك معناه وان يريدوا الذين اطلقتهم من الاسارى خيانتك بان يخذ واحربالك اميتصروا وعدوا عليك فقد خانوا الله من قبل بان خرجوا الى بدر وقاتلوا مع المشركين وقيل بان اشركوا بالله واضافوا اليه مالا يليق به فامكن منهم اى فامكنك منهم يوم بدر بان غلبوا واسروا وسيمكنك منهم ثانيا ان خانوك والله عليم حكيم معناه عليم بما يقولونه وبما فى نفوسهم وبجميع الاشياء حكيم فيما يفعله قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

آية القراءة قرا حمزة ولايتهم بكسر الواو وهو قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب والباقون ولايتهم بفتح الواو الحجة قال الزجاج فلان الولاية من النصرة والنسب بفتح الواو والولاية التى بمنزلة الامارة مكسورة ليفصل بين المعنيين وقد يجوز كسر الواو ولان فى تولى بعض القوم بعضا جنسا من الصناعة والعمل وكل ما كان من جنس الصناعة والعمل فمكسور نحو الخياطة والصناعة قال ابو عبيدة وابو الحسن من ولايتهم مصدر المولى واما فى السلطان قالوا الاثر بكسر الواو وهى فى الاخرى لغة اللغة الهجرة افراق الوطن الى غيره من البلاد واصله من الهجر ضد الوصل والجهاد تحمل المشاق فى قتال اعداء الدين من جهده الامر جهدا والايواء ضم الانسان غيره اليه بانزاله عنده وتقريبه له يقال اواه يؤويه ايواء واوى ياوى واويت معناه رجعت الى المأوى والولاية عقد النصرة للموافقة فى الديانة النزول قيل نزلت الاية فى الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة فجعل الله الميراث للمهاجرين والانصار دون ذوى الارحام وكان الذي امن ولم يهاجر لم يرث من اهل انه لم يهاجر ولم ينصر وكانوا يعملون بذلك حتى انزل الله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فنسخت هذا وصار الميراث لذوى ارحام المؤمنين ولا يتوارث اهل ملتين عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والسدي المعنى ثم ختم الله سبحانه السورة بايجاب موالات المؤمنين وقطع موالات الكافرين وقال ان الذين امنوا بالله ورسوله وبما يجب الايمان به وهاجروا من مكة الى المدينة وجاهدوا وقاتلوا العدو باموالهم وانفسهم فى سبيل الله اى فى طاعة الله واعزاز دينه والذين آووا النبى والمهاجرين بالمدينة اى جعلوا لهم مأوى واسكنوهم منازلهم يعنى الانصار ونصروهم بعد الايواء على اعدائهم وبذلوا المهج فى نصرتهم اولئك بعضهم اولياء بعض اى هؤلاء بعضهم اولى ببعض فى النصرة وان لم يكن بينهم قرابة دون اقربائهم من الكفار وقيل من التوارث عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدى وقيل بالتناصر والتعاون والموالاة فى الدين عن الاصم وقيل فى نفوذ بعضهم على بعض فان واحدا من المسلمين لو امن انسانا نفذ امانه عن ساير المسلمين والذين امنوا ولم يهاجروا الى المدينة مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا اي مالكم من ميراثهم من شئ حتى يهاجروا فحينئذ يحصل بينكم التوارث فان الميراث كان منقطعا فى ذلك الوقت بين المهاجرين وروى عن ابى جعفر عليه السلم انهم كانوا يتوارثون بالمواخاة الاولى وقيل معناه مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا اى ليس عليكم نصرتهم وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر والمعونة لهم وليس عليكم نصرتهم فى غير الدين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق معناه الا ان يطلبوا منكم النصرة لهم على قوم من المشركين بينكم وبينهم امان وعهد يجب الوفاء به فلا تنصروهم عليهم لما فيه من بعض العهد والله بما تعملون بصير اي باعمالهم عليم لا يخفى عليه شئ منها

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

ثلث آيات اللغة الفتنة اصلها الامتحان ثم يستعمل فى اشياء منها الكفر والشرك وذلك فى نحو قوله تعالى جعل فتنة الناس كعذاب الله وقوله ذوقوا فتنتكم يعنى عذابكم بالحريق بالنار ومنها العذاب فى نحو قوله تعالى جعل ثم لم تكن فتنتهم اى معذرتهم ومنها القتل فى نحو قوله ان خفتم ان يفتنكم يدل على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم ومنها الهرج والابتلاء على اثر البلاء فى نحو قوله ان دهم يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم وهذا التفصيل ماخوذ من قول الصادق عليه السلم والكريم فاعل الكرم والجود العظيم والشرف قال تلك المكارم لا تعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا والرزق الكريم العظيم الواسع الاعراب قوله فعليكم النصر



حزب جزو ١٠

على قولك عليك زيدا ولم يقرأ بها المعنى ثم ذكر سبحانه وتعالى في حكم الكافرين فقال والذين كفروا بعضهم اولياء بعض اى بعضهم انصار
بعض عن ابي اسحق وقتادة وقيل معناه اولى ببعض في الميراث عن ابن عباس وابي مالك الا تفعلوه وتقديره الا تفعلوا ما امرتم به
في الاية الاولى والثانية ومخرجه مخرج الخبر والمراد به الامر وتقديره الا تفعلوا ما امرتم به من التناصر والتعاون والتبرء من
الكفار تكن فتنة في الارض وفساد كبير على المؤمنين الذين لم يهاجروا ويريد بالفتنة هنا المحنة بالميل الى الضلال وبالفساد الكبير
ضعف الايمان وقيل ان الفتنة هو الكفر لان المسلمين اذا والوهم تجرؤا على المسلمين ودعوهم الى الكفر وهذا يوجب التبرء منهم
والفساد الكبير وسفك الدماء عن الحسن وقيل معناه وان لم تفعلوا التوارث بالهجرة بعدمها اى الى فتنة في الارض باختلاف
الكلمة وفساد عظيم بتقوية الخارج عن الجماعة عن ابن عباس وابن زيد ثم عاد سبحانه الى ذكر المهاجرين والانصار ومدحهم والثناء
عليهم فقال والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله اي صدقوا الله ورسوله وهاجروا من ديارهم واوطانهم يعني من مكة
الى المدينة وجاهدوا مع ذلك في اعداء دين الله والذين اووا ونصروا اي ضموهم اليهم ونصروا النبي صلى الله عليه وآله اولئك هم
المؤمنون حقا لهم اى اولئك الذين حققوا ايمانهم بالهجرة والنصرة بخلاف من اقام بدار الشرك وقيل معناه ان الله حقق ايمانهم
بالبشارة التي بشرهم بها ولم يكن لمن لم يهاجر ولم ينصر مثل هذا واختلفوا في ان الهجرة هل تصح في هذا الزمان ام لا فقيل لا تصح لان
النبي صلى الله عليه وآله قال لا هجرة بعد الفتح ولان الهجرة الانتقال من دار الكفر الى دار الاسلام وليس يقع مثل هذا في هذا الزمان
لاتساع بلاد الاسلام الا ان يكون نادرا لا يعتد به وقيل هجرة الاعراب الى الامصار باقية الى يوم القيمة عن الحسن والاقوى ان
يكون حكم الهجرة باقيا لان من اسلم في دار الحرب ثم هاجر الى دار الاسلام كان مهاجرا وكان الحسن يمنع ان يزوج المهاجر الى اعرابية
وروى عن عمر بن الخطاب قال لا تنكحوا اهل مكة فانهم اعراب وانما سمي الجهاد سبيل الله لانه الطريق الى ثواب الله في دار كرامته لهم
مغفرة ورزق كريم لا يشوبه ما ينقصه وقيل الرزق الكريم هنا طعام الجنة لانه لا يستحيل في اجوافهم نجوا بل يصير كالمسك ريحا والذين
امنوا من بعد اى من بعد فتح مكة عن الحسن وقيل معناه امنوا من بعد ايمانكم وهاجروا بعد هجرتكم وجاهدوا معكم ايها المؤمنون
فاولئك منكم اى مؤمنون مثلكم ومن جملتكم وحكمهم حكمكم في وجوب موالاتهم وموارثتهم ونصرتهم وان تاخر ايمانهم وهجرتهم
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وذووا الارحام والقرابة بعضهم احق بميراث بعض من غيرهم عن ابن عباس والحسن وجماعة
المفسرين وقالوا صار ذلك نسخا لما قبله من التوارث بالمعاقدة والهجرة وغير ذلك من الاسباب فقد كانوا يتوارثون بالمواخاة
فان النبي صلى الله عليه وآله كان اخا بين المهاجرين والانصار في كتاب الله اي في حكم الله عن الزجاج وقيل في اللوح المحفوظ
كما في قوله ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها وقيل في القرآن وفي قوله واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض دلالة على ان من كان اقرب الى الميت في النسب كان اولى بالميراث سواء كان ذو سهم او غير ذي سهم
او عصبة او غير عصبة ومن وافقنا في توريث ذوي الارحام يستثني اصحاب الفرائض والعصبة من الاية وذلك خلاف
الظاهر ان الله بكل شيء عليم ظاهر المعنى واكثر هذه السورة في غزوة بدر

بسم الله الرحمن الرحيم **سورة التوبة** وهي مدنية كلها وقال بعضهم غير ايتين لقد جاءكم رسول من انفسكم
الى آخر السورة نزلت سنة تسع من الهجرة وفتحت مكة سنة ثمان وحج رسول الله صلى الله عليه وآله حجة الوداع سنة عشر وقال قتادة ومجاهد
وهي آخر ما نزلت على النبي صلى الله عليه وآله بالمدينة **عدد آيها** هي مائة وتسع وعشرون اية كوفي وثلثون في الباقين **اختلافها**
ثلث ايات برئ من المشركين بصري عذابا اليما شامي وعاد وثمود حجازي **اسماؤها** سورة براءة سميت بذلك لانها مفتتحة به ونزلت باظهار
البراءة من الكفار التوبة سميت بذلك لكثرة ما فيها من التوبة كقوله ويتوب الله على من يشاء فان يتوبوا يك خيرا لهم ثم تاب عليهم ليتوبوا الفاضحة
عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة قال تلك الفاضحة ما زال ينزل ومنهم حتى خشينا ان لا يبقى منا احد الا ذكر وسميت بذلك

لانها فضحت المنافقين باظهار نفاقهم المبعثرة عن ابن عباس ايضا سماها بذلك لانها تبحثر عن اسرار المنافقين اي تبحث عنها المقشقشة عن
ابن عمر سماها بذلك لانها تبرئ من آمن بها من النفاق والشرك لما فيها من الدعاء الى الاخلاص وفي الحديث كان يقال لسورتي قل يا ايها
الكافرون وقل هو الله احد المقشقشتان سميتا بذلك لانهما تبريان من الشرك والنفاق يقال تقشقش اذا تقشقش المريض من علة اذا افاق
منها والبحوث عن ابي ايوب الانصاري سماها بذلك لانها تتضمن ذكر المنافقين والبحث عن سرائرهم المدمدمة عن سفين بن عيينه اي
المهلكة ومنه قوله فدمدم عليهم ربهم الحافرة عن الحسن لانها حفرت في قلوب المنافقين ما كانوا يسترونه المثيرة لانها اثارت مخازيهم
ومقابحهم سورة العذاب فهذه عشرة اسماء فضلها ابي بن كعب عن النبي ص قال من قرا سورة الانفال والبراءة فانا شفيع له الخبر بتمامه
وقد مضى ذكره مع ما في معناه في اول الانفال وقد روي عن ابي عبد الله ع انه قال الانفال وبراءة واحد روى ذلك عن سعيد المسيب وروى
الثعلبي باسناده عن عايشه عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال ما نزل على القرآن الا آية آية وحرفا حرفا خلا سورة براءة وقل هو الله احد
فانهما نزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملئكة كل يقول يا محمد استوص بنسبة الله خيرا ترك التسمية في اولها قراءة وكتابة للعلماء
والمفسرين فيه اقوال احدها انها ضمت الى الانفال للمقارنة فصارتا كسورة اذ الاولى في ذكر العهود والثانية في رفع العهود عن ابي بن كعب
وثانيها انه لم تنزل بسم الله الرحمن الرحيم على راس سورة البراءة لان بسم الله للامان والرحمة ونزلت براءة لرفع الامان والسيف عن علي
بن ابي طالب عليه السلم وسفين بن عيينه واختاره ابو العباس المبرد وثالثها ما روي عن ابن عباس انه قال قلت لعثمن بن عفان
ما حملكم على ان عمدتم الى براءة وهي من المائين والى الانفال وهي من المثاني فجعلتموها في السبع الطول ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم
فقال كان النبي ص ينزل عليه الايات فيدعو بعض من يكتب له فيقول ضع هذه الايات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال
من اول ما نزل من القرآن بالمدينة وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننا انها منها وقبض رسول الله صلى الله
عليه وآله ولم يبين انها منها فوضعناهما في السبع الطول ولم نكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فكانتا تدعيان القرينتين تفسيرها
لما ختم الله سبحانه سورة الانفال بايجاب البراءة عن الكفار افتتح هذه السورة بانه تعالى ورسوله بريان منهم كما امر المسلمين بالبراءة منهم قوله تعالى

بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ

آيتان اللغة معنى البراءة انقطاع العصمة برئ يبرئ براءة وتبرا تبرؤا وابراه ابراء والسيح السير على مهل يقال ساح يسيح سيحا وسياحة
وسيوحا وسيحانا والاعجاز ايجاد العجز والعجز ضد القدرة عند من اثبته معنى والاخزاء الاذلال بما فيه الفضيحة والعار والخزي النكال الفاضح
الاعراب براءة يرتفع بانه خبر مبتدا محذوف وتقديره هذه الآيات براءة ويحتمل ان يكون مبتدا وخبره في الظرف وهو قوله الى الذين
وجاز ان يكون المبتدا نكرة لانها موصوفة والاول اجود لانه يدل على حضور المدرك كما تقول لمن تراه حاضرا حسن والله اي هذا حسن
المعنى براءة من الله ورسوله اي انقطاع للعصمة ورفع للامان وخروج من العهود الى الذين عاهدتم من المشركين الخطاب للنبي
صلى الله عليه وآله وللمسلمين فالمعنى تبراوا ممن كان بينكم وبينهم عهد من المشركين فان الله ورسوله بريان منهم قال الزجاج معناه قد
برا الله ورسوله من اعطائهم العهود والوفاء لهم بها اذ انكثوا واذا قيل كيف يجوز ان ينقض النبي صلى الله عليه وآله العهد فالقول
فيه انه يجوز ان ينقض ص ذلك على ثلثة اوجه اما ان يكون العهد مشروطا بان يبقى الى ان يرفعه الله تعالى بوحي واما ان يكون
ظهر من المشركين خيانة ونقض فامر الله سبحانه بان ينبذ اليهم عهدهم واما ان يكون مؤجلا الى مدة فتنقضي المدة وينتقض العهد
وقد وردت الرواية بان النبي صلى الله عليه وآله شرط عليهم ما ذكرناه وروى ايضا ان المشركين كانوا قد نقضوا العهد او هموا بذلك
فامر الله سبحانه ان تنقض عهودهم ثم خاطب الله سبحانه المشركين فقال فسيحوا في الارض اي سيروا في الارض على وجه المهل وتصرفوا
آمنين من السيف اربعة اشهر فاذا مضت هذه المدة ولم تسلموا انقطعت العصمة عن دمائكم واموالكم واعلموا انكم غير معجزي الله
اي غير فائتين عن الله كما يفوت ما يعجز لانكم حيث كنتم في سلطان الله وملكه وان الله مخزي الكافرين اي مذلهم ومهينهم واختلف في هذه
الاشهر الاربعة فقيل كان ابتداؤها يوم النحر الى العاشر من شهر ربيع الآخر عن مجاهد ومحمد بن كعب القرظي وهو المروي عن ابي عبد الله ع
وقيل انما اجلهم الاشهر الاربع من شوال الى اخر المحرم لان هذه الآية نزلت في شوال عن ابن عباس والزهري قال الفراء كانت المدة الى آخر المحرم

لانه كان فيهم من كانت مدته خمسين ليله وهو من لم يكن له عهد من النبي صلى الله عليه وآله فجعل الله ذلك لهم وقيل من كان له عهد اكثر من
اربعة اشهر ومن كان له عهد اقل منها رفع اليها عن الحسن وابن اسحق وقيل كان ابتداء الاشهر الاربعة يوم النحر لعشر من ذى القعدة الى عشر
من شهر ربيع الاول لان الحج فى تلك الحجة كان فى ذلك الوقت ثم صار فى السنة الثانية حط الى الاربعة فى ذى الحجة وفيها حجة الوداع وكان
سبب ذلك النسى الذي كانوا يفعلونه فى الجاهلية على ما سيأتى ان شاء الله عن الجبائي القصة اجمع المفسرون ونقلة الاخبار انه لما نزلت
براءة دفعها رسول الله صلى الله عليه وآله الى ابى بكر ثم اخذها منه ودفعها الى على ع واختلفوا فى تفصيل ذلك فقيل انه بعثه وامره ان يقراء
عشر آيات من اول هذه السورة وان ينبذ الى كل ذي عهد عهده ثم بعث عليا عليه السلم خلفه ليأخذها ويقراها على الناس فخرج على ناقة
رسول الله صلى الله عليه وآله العضباء حتى ادرك ابابكر بذى الحليفة فاخذها منه وقيل ان ابابكر رجع فقال هل نزل فى شئ فقال ص لا
الاخير ولكن لا يؤدي عني الا انا ورجل مني وقيل انه لما قرا على ع براءة على الناس كان ابو بكر اميرا على الموسم عن الحسن وقتادة وقيل انه ص اخذها
من ابى بكر قبل الخروج ودفعها الى على ع وقال لا يبلغ عني الا انا ورجل مني عن عروة بن الزبير وابى سعيد الخدري وابى هريرة وروى اصحابنا
ان النبي صلى الله عليه وآله ولى علي الموسم وحين اخذ البراءة من ابى بكر رجع ابى بكر وروى الحاكم ابو القسم الحسكانى باسناده عن سماك
بن حرب عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وآله بعث براءة مع ابى بكر الى مكه فلما بلغ ذى الحليفه بعث اليه فرده وقال
لا يذهب بهذا الا رجل من اهل بيتى ثم بعث عليا ع وروى الشعبى عن محرز بن ابى هريرة قال كنت انادي مع علي ع حين اذن
المشركين فكان اذا اصحل صوته فيما ينادي دعوت مكانه قال فقلت يا ابة اي شئ كنتم تقولون قال كنا نقول لا يحج بعد عامنا هذا مشرك
ولا يطوفن بالبيت عريان ولا يدخل البيت الا مؤمن ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله مدة فان اجله الى اربعة
اشهر فاذا انقضت اربعة اشهر فان الله برئ من المشركين ورسوله وروى عاصم بن حميد عن ابى نصر عن ابى جعفر ع قال خطب علي
الناس وقال لا يطوفن بالبيت عريان ولا يحجن البيت مشرك ومن كانت له مده فهو الى مدته ومن لم يكن له مدة فمدته اربعة اشهر
وكان خطب يوم النحر فكان عشرون من ذى الحجة ومحرم وصفر وشهر ربيع وعشر من ربيع الاخر وقال يوم النحر يوم الحج الاكبر وذكر
ابو عبد الله الحافظ باسناده عن زيد بن يثيع قال سالنا عليا ع باى شئ بعثت فى الحجة قال بعثت باربع لا يدخل الكعبة الا
نفس مؤمنه ولا يطوف بالبيت عريان ولا يجتمع مؤمن وكافر فى المسجد بعد عامه هذا ومن كان بينه وبين رسول الله ص عهد
فعهده الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله اربعة اشهر وروى انه ع قام عند جمرة العقبة وقال يا ايها الناس انى رسول رسول الله
اليكم بان لا يدخل البيت كافر ولا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وآله
فله عهده الى اربعة اشهر ومن لا عهد له فله بقية الاشهر الحرم وقراء عليهم سورة براءة وقيل قراء عليهم ثلث عشرة آية من اول براءة
وروي انه ع لما نادى فيهم ان الله برئ من المشركين قال المشركون نحن نبراء من عهدك وعهد ابن عمك ثم لما كانت السنة المقبلة
وهى سنة عشر حج النبي ص حجة الوداع وقفل الى المدينة ومكث بقية ذى الحجة والمحرم وصفرا وليالى من شهر ربيع الاول حتى لحق بالله عز وجل

قوله تعالى وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ
وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * آيتان القراءة

قراء يعقوب برواية روح وزيد ورسوله بالنصب وهو قراءة الحسن وابن ابى اسحق وعيسى بن عمر وقراء ساير القراء ورسوله بالرفع
وفى الشواذ قراءة عكرمة وعطاء ثم لم ينقضوكم بالضاد معجمة الحجة من قراء ورسوله بالرفع فانه على الابتداء وخبره محذوف يدل عليه
ما تقدمه وتقديره ورسوله ايضا برئ منهم ويجوز ان يكون معطوفا على الضمير فى برئ وحسن العطف عليه وان كان غير موكد لان قوله
من المشركين قام مقام التوكيد وذكر سيبويه وجها ثالثا وهو ان يكون معطوفا على موضع ان وهذا وهم منه لان المفتوحة مع ما بعدها
فى تاويل المصدر وقد تغيرت على حكم المبتدأ وصارت فى حكم ليت ولعل وكان فى احداثها معنى يفارق المبتدأ فكما لا يجوز العطف على
مواضعهن فكذلك لا يجوز العطف على موضع ان وانما يجوز العطف على موضع ان المكسورة كما قال الشاعر فمن يك امسى بالمدينه رحله

فاني وقيل بها العرب ولعل سيبويه توهم انها مكسورة فحمل على موضعها فقد قرى في الشواذ ان الله بري بالكسر فلعله تاول على هذه القراءة ومن نصب عطفه على اسم الله تعالى وعلى هذا فيكون خبره محذوفا ايضا ومن قرا لم ينقضوكم فمعناه لم ينقضوا امور كم وعهودكم

المعنى الاذان الاعلام يقال اذنته بكذا فاذن اى اعلمته فعلم وقيل ان اصله من النداء الذي يسمع بالاذن ومعناه يقال او قعه في اذنه وتأذن بمعنى اذن كما يقال تيقن وايقن والمدة والزمان والحين نظاير واصله من مددت الشي ملا فكانه زمان طويل والفسحه المدة عند المتكلمين للمعدود من حركات الفلك وهو محذوف

الاعراب واذان عطف على براءة عن الزجاج وقيل ان تقديره عليكم اذان لان فيه معنى الامر فيكون مبتداء وخبره محذوف عن على بن عيسى ويجوز ان يكون المبتداء والخبر قوله ان الله بري على حذف الباء كانه قال بان الله وعلى الوجهين الاولين يكون موضع ان نصبا على انه مفعول له الذين عاهدتم في موضع نصب على الاستثناء وبشر معطوف على معنى الاذان اذنه وبشر

المعنى ثم بين سبحانه انه يجب اعلام المشركين براءته منهم لئلا ينسبوا المسلمين الى الغدر فقال واذان من الله ورسوله الى الناس معناه واعلام وفيه معنى الامر اى اذنوا للناس يعني اهل العهد وقيل اراد بالناس المؤمن والمشرك لان الكل داخلون في هذا الاعلام وقوله الى الناس اى للناس يقال هذا اعلام لك واليك يوم الحج الاكبر فيه ثلثة اقوال احدها انه يوم عرفة عن عمر وابن سعيد بن المسيب وعطا وطاوس ومجاهد وروى ذلك عن على عليه السلم ورواه المنقري بن مخرمه عن النبي صلى الله عليه وآله قال عطا الحج الاكبر الذي فيه الوقوف وهو العمرة وثانيها انه يوم النحر عن على ع وابن عباس وسعيد بن جبير وابن زيد والنخعي ومجاهد والشعبي والسدى وهو المروى عن ابي عبد الله عليه السلم ورواه ابن ابي اوفى عن النبي صلى الله عليه وآله قال الحسن وسمي الحج الاكبر لانه حج فيه المشركون والمسلمون ولم يحج بعدها مشرك وثالثها انه جميع ايام الحج عن مجاهد ايض وسفيان فمعناه ايام الحج كلها كما يقال يوم الجمل ويوم صفين ويوم بعاث يراد به الحين والزمان لان كل حرب من هذه الحروب دامت اياما ان الله بري من المشركين اي من عهد المشركين فحذف المضاف ورسوله ايض بري منهم وقيل ان البراءة الاولى لنقض العهد والبراءة الثانية لقطع الموالاة والاحسان وليس بتكرار فان تبتم فهو خير لكم معناه فان تبتم في هذه المدة ايها المشركون ورجعتم عن الشرك الى توحيد الله فهو خير لكم من الاقامة على الشرك لانكم تنجون به من خزى الدنيا وعذاب الاخرة وان توليتم عن الايمان وصبرتم على الكفر فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تعجزونه عن تعذيبكم ولا تفوتون بانفسكم من ان يحل بكم عذابه في الدنيا ففي هذا الاعلام بيان ان الامهال ليس بعجز وانما هو لاظهار الحجة والمصلحة ثم اوعدهم بعذاب الاخرة فقال وبشر الذين كفروا بعذاب اليم اى اخبرهم مكان البشارة بعذاب موجع وهو عذاب النار الا الذين عاهدتم من المشركين قال الفراء استثنى الله تعالى من براءته وبراءة رسوله من المشركين قوما من بني كنانة وبني ضمرة كان قد بقي من اجلهم تسعة اشهر امرنا بتمامها لهم لانهم لم يظاهروا على المؤمنين ولم ينقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وقال ابن عباس عنى به كل من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله عهد قبل براءة وينبغي ان يكون ابن عباس اراد بذلك من كان بينه وبينه عقد هدنة ولم يتعرض له بعداوة ولا ظاهر عليه عدوا لان النبي صلى الله عليه وآله صالح اهل هجر واهل البحرين وايلة ودومة الجندل وله عهود بالصلح والجزية ولم ينبذ اليهم بنقض عهد ولا حاربهم بعد وكانوا اهل ذمة الى ان مضى لسبيله ص ووفا لهم بذلك من بعده ثم لم ينقضوكم شيئا معناه لم ينقضوكم من شروط العهد شيئا وقيل معناه لم يضروكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا اي لم يعاونوا ايها المؤمنون احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم اي الى انقضاء مدتهم التي وقعت المعاهدة بينكم اليها ان الله يحب المتقين لنقض العهود

قوله تعالى فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٥ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ آيتان

اللغة الانسلاخ خروج الشي مما لابسه واصله من سلخ الشاة وهو نزع الجلد عنها وسلخنا شهر كذا نسلخه سلخا وسلوخا والحصر المنع من الخروج عن محيط والحصر والحبس والاسر نظاير والمرصد الطريق ومثله المرقب والمرباد رصده يرصده رصدا

الاعراب قال ابو الحسن الاخفش قوله كل مرصد اى على كل مرصد فحذفت على وانشد نغالى اللحم للاضياف نيا ونرخصه اذا نضج القدور المعنى نغالى باللحم فحذف الباء قال الزجاج كل مرصد

ظرف لقولك ذهبت مذهبا وذهبت طريقا وذهبت كل طريق قال ابو علي لا يحتاج في هذا الى تقدير على اذا كان المرصد اسما للمكان كما
انك اذا قلت ذهبت مذهبا ودخلت مدخلا اذا جعلت المدخل والمذهب اسمين للمكان لم يحتج الى على ولا الى تقدير حرف جر الا ان
ابا الحسن ذهب الى ان المرصد اسم للطريق واذا كان اسما للطريق كان مخصوصا واذا كان مخصوصا وجب ان لا يصل الفعل الذي لا
يتعدى اليه الا بحرف جر نحو قعدت على الطريق الا ان يجيء في ذلك اتساع نحو ما حكاه سيبويه من قولهم ذهبت الشام ودخلت البيت
وقد غلط ابو الحسن الزجاج في قوله كل مرصد ظرف كقولك ذهبت مذهبا وذهبت طريقا في ان جعل الطريق ظرفا كالمذهب وليس
الطريق بظرف لانه مكان مخصوص وقد نص سيبويه على اختصاصه الا ترى انه حمل قول ساعدة لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما
عسل الطريق الثعلب على انه قد حذف منه الحرف اتساعا كما حذف من ذهبت الشام واذا ثبت ذلك فالمرصد مثله ايضا في الاختصاص
وان لا يكون ظرفا اذا كان اسما للطريق وقوله احد فاعرابه انه مرفوع بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره المعنى وان استجارك احد قال
الزجاج ومن زعم انه يرفع احد بالابتداء فقد اخطا لان ان الجزاء لا يتخطى ما يرفع بالابتداء ويعمل فيما بعده فلو اظهرت المستقبل
لقلت ان احد نعم اكرمه لا يجوز ان احد نعم زيد يقوم لا يجوز ان يرفع زيدا بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره ويجزم وانما جاز في ان
لان ان يلزمها الفعل وجواب الجزاء يكون بالفعل وغيره ولا يجوز ان يضمر ويجزم بغير المبتدا لانك تقول ههنا ان تاتني وزيد يقوم
بالموضع موضع ابتداء قال ابو علي اعلم ان جواب الجزاء وان كان بعد الفعل فالاصل فيه الفعل والفاء واذا وقعتا موضع الفعل
بدلالة ان قوله ونذرهم على قراءة من قرا بالجزم محمول على الموضع من قوله فلا هادي له واما قول ابي اسحق لا يجوز ان يضمر ويجزم بعد
المبتدا فلعمري انه لا يجوز ان يضمر الفعل فيرفع الاسم الذي يرتفع بالابتداء بالفعل المضمر في نحو قولك ان تاتني فزيد يقوم لان الجزم
لا يقع بعد المبتدا ولكن لا يمتنع ان يقع الجزم بعد الفاعل في الجزاء كما يقع في الشرط لان الجزاء موضع فعل كما ان الشرط موضع فعل
فالمسئلة التي منع ابو اسحق اجازتها جائزة لا اشكال في جوازها وهي قوله ان يقم احد زيد يقم وقد نص سيبويه على اجازة ذلك قال
الزجاج وانما يجوز الفصل في باب ان لان ان ام الجزاء ولا تزول الى غيره فاما اخواتها فلا يجوز ذلك فيها الا في الشعر قال فمتى واغل ينبهم
يحيوه ويعطف عليه كاس الساقي المعنى ثم بين سبحانه الحكم في المشركين بعد انقضاء المدة فقال فاذا انسلخ الاشهر الحرم قيل هي الاشهر
الحرم المعروفة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ثلثة سرد وواحد فرد عن جماعة وقيل هي الاشهر الاربعة التي حرم القتال فيها وجعل الله
للمشركين ان يسيحوا في الارض امنين على ما ذكرنا من اختلاف المفسرين فيها وعلى هذا فمنهم من قال معناه اذا انسلخ الاشهر الحرم بانسلاخ المحرم
لان للمشركين من كان منهم له عهد امهلوا اربعة اشهر من حيث نزلت براءة ونزلت في شوال ومن لا عهد لهم فاجلهم من يوم نزل النداء وهو
يوم عرفة او يوم النحر الى تمام الاشهر الحرم وهو بقية ذي الحجة والمحرم كله فيكون ذلك خمسين يوما فاذا انقضت هذه الخمسون يوما انقضى
الاجلان وحل قتالهم سواء كان لهم عهد خاص او عام ومنهم من قال معناه اذا انسلخ الاشهر الاربعة التي هي عشرون من ذي الحجة والمحرم
والصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الاخر اذ حرمنا فيها دماء المشركين وجعلنا لهم ان يسيحوا فيها امنين فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم اي ضعوا السيف فيهم حيث كانوا في الاشهر او في غيرها في الحل او في الحرم وهذا ناسخ لكل آية وردت في الصلح وخذوهم
قيل فيه تقديم وتاخير تقديره فخذوا المشركين حيث وجدتموهم واقتلوهم وقيل ليس فيه تقديم ولا تاخير وتقديره فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم او خذوهم واحصروهم على وجه التخيير في اعتبار الاصلح من الامرين وقوله واحصروهم معناه واحبسوهم واسترقوهم
او فادوهم بمال وامنعوهم دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام واقعدوا لهم كل مرصد اي كل طريق وبكل مكان تظنون انهم يمرون
فيه وضيقوا المسالك عليهم لتتمكنوا من اخذهم وقوله لهم معناه لقتلهم واسرهم فان تابوا اي رجعوا من الكفر وانقادوا للشرع
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة اي قبلوا اقامة الصلوة وايتاء الزكوة لان عصمة الدم لا تقف على اقامة الصلوة واداء الزكوة فثبت
ان المراد به القبول فخلوا سبيلهم اي دعوهم يتصرفون في بلاد الاسلام لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وقيل معناه فخلوا سبيلهم
الى البيت اي دعوهم يحجوا معكم ان الله غفور رحيم واستدل بهذه الاية على ان من ترك الصلوة متعمدا يجب قتله لان الله تعالى
اوجب الامتناع من قتل المشركين بشرط ان يتوبوا ويقيموا الصلوة فاذا لم يقيموها وجب قتلهم وان احد من المشركين استجارك فاجره

حتى يسمع كلام الله ويتدبره وانما خص كلام الله لان معظم الدلالة فيه ثم ابلغه مأمنه فان دخل فى الاسلام نال خير الدارين وان لم يدخل فى الاسلام فلا تقتله فتكون قد غدرت به ولكن اوصله الى ديار قومه التى يأمن فيها على نفسه وماله ذلك بانهم قوم لا يعلمون الايمان والدلايل فامنهم حتى يسمعوا ويتدبروا ويعلموا وفى هذه دلالة على بطلان قول من قال المعارف ضرورية وفى هذه الاية دلالة على ان المتلو والمسموع كلام الله لان الشرع والعرف جعل الحكاية غير المحكي يقال هذا كلام سيبويه وشعر امرء القيس ومن ظن ان الحكاية تغاير المحكى لاجل هذا الظاهر فقد غلط لان المراد ما ذكرنا قوله تعالى كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللّٰهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ۝ ايتان القراءة فى الشواذ قراءة عكرمة ايلا بياء بعد الهمزة الحجة يمكن ان يكون اراد الا كقراءة الجماعة الا انه ابدل اللام الاولى ليقل الادغام ولكسر الهمزة كما قالوا ديناد وقيراط والاصل دنار وقراط كقولهم دنانير وقراريط وقد جامع التضعيف وحده قال يا ليتما امنا شالت نعامتها ايما الى جنة ايما الى نار اللغة الظهور العلو بالغلبة واصله خروج الشئ المحيث يصح ان يدرك والرقبة والانتظار والمراقبة والمراعاة والمحافظة نظاير والرقيب الحافظ والال العهد ماخوذ من الاليل وهو البريق يقال ال يؤل اذا برق والالة الحربة للمعانها واذن مؤللة شبيهة بالحربة فى تحديدها قال الشاعر وجدناهم كاذبا الهم وذو الال والعهد لا يكذب والال القرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام المعنى لما امر سبحانه بنبذ العهد الى المشركين بين ان العلة فى ذلك ما ظهر منهم من الغدر وامر باتمام العهد لمن استقام على الامر فقال كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله اى كيف يكون لهؤلاء عهد صحيح مع اضمارهم الغدر والنكث وهذا يكون على التعجيب او على الجحد ويدل عليه ما روى ان فى قراءة عبد الله كيف يكون عهد عند الله ولا ذمة فادخل الكلام لا لان معنى الاول جحد اى لا يكون لهم عهد وقيل معناه كيف يأمر الله ورسوله بالكف عن دماء المشركين ثم استثنى سبحانه فقال الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام اى فان لهم عهدا عند الله لانهم لم يضمروا الغدر بك والخيانة لك واختلف فى هؤلاء من هم فقيل هم قريش عن ابن عباس وقيل هم اهل مكة الذين عاهدهم رسول الله ص يوم الحديبية فلم يستقيموا ونقضوا العهد بان اعانوا بنى بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وآله بعد الفتح اربعة اشهر يختارون امرهم اما ان يسلموا واما ان يلحقوا باى بلاد شاؤا فاسلموا قبل الاربعة الاشهر عن قتادة وابن زيد وقيل هم من قبايل بكر بنى خزيمة وبنو مدلج وبنو ضمرة وبنو الدئل وهم الذين كانوا قد دخلوا فى عهد قريش يوم الحديبية الى المدة التى كانت بين رسول الله وبين قريش فلم يكن نقضها الا قريش وبنو الدئل من بكر فامر باتمام العهد لمن لم يكن نقض الى مدتهم وهذا القول اقرب الى الصواب لان هذه الايات نزلت بعد نقض قريش العهد وبعد فتح مكة فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم معناه فما استقاموا لكم على العهد اى ما داموا باقين معكم على الطريقة المستقيمة فكونوا معهم كذلك ان الله يحب المتقين للنكث والغدر كيف وان يظهروا عليكم ههنا حذف وتقديره كيف يكون عهدا وكيف لا تقتلونهم انما حذفه لان ما قبله من قوله كيف يكون للمشركين يدل على ذلك ومثله قول الشاعر يرثى اخا له قدمات وخبرتمانى انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب اى فكيف مات وليس بقربه ومثله قول الحطيئة وكيف ولم اعلمهم خذلوكم على معظم ولا اديمكم قدوا اى وكيف تلومونني على مدح قوم وتذمونهم واستغنى عن ذكر ذلك لانه جرى مجرى فى القصيدة ما يدل على ما اضمره ومعناه كيف يكون لهؤلاء عهد عند الله وعند رسوله وهم بحال ان يظهروا عليكم ويظفروا بكم ويغلبوكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة اى لا يراعوا فيكم قرابة ولا عهدا والال القرابة عن ابن عباس والضحاك والعهد عن مجاهد والسدى والجوار عن الحسن والحلف عن قتادة واليمين عن ابى عبيدة وقيل الال اسم الله تعالى عن مجاهد وروى ان ابا بكر قرئ عليه كلام مسيلمة فقال لم يخرج هذا من ال فانى مذهب بكم ومن قال ان الال هو العهد قال جمع بينه وبين الذمة وان كان معناه لاختلاف اللفظين كما قال والفى قولها كذبا ومينا وقال متى ادن منه ينا عنى ويبعد يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم معناه يتكلمون بكلام الموالين لكم لترضوا عنهم وتابى قلوبهم الا العداوة والغدر ونقض العهد واكثرهم فاسقون اى متمردون فى الكفر والشرك عن ابن الاخشيد وقال الجبائى الا كلهم فاسقون لكنه وضع الخصوص موضع العموم وقال القاضى معناه

انهم خارجون عن طريق الوفاء بالعهد واراد بذلك رؤساءهم ﴿اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون * لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون * فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون * وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون * الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه﴾

خمس آيات القراءة قرا اهل الكوفة والشام ائمة الكفر بهمزتين وقرا الباقون ايمة بهمزة واحدة وياء بعدها وقرا ابن عامر لا ايمان بكسر الهمزة ورواه ابن عقدة باسناده عن عزير بن الوضاح الجعفي عن جعفر بن محمد ع والباقون بفتحها الحجة قال ابو علي ايمة اصلها افعلة واحدها امام فاذا جمعته على افعلة ففيه همزة هي فاء الفعل وتزيد عليها همزة افعلة الزايدة فيجتمع همزتان واجتماع الهمزتين في كلمة لا تستعمل بحقيقتهما قال الزجاج اصله ايمة ولكن الميمين لما اجتمعتا ادغمت الاولى في الثانية والقيت حركتها على الهمزة فصارت ائمة فابدل النحويين من الهمزة المكسورة الياء قال ومن قال هذا ائم من هذا كان اصله ائمم فجعلها واوا مفتوحة كما قالوا في جمع آدم اوادم قال ابو علي ومن جمع بين الهمزتين في ائمة فحجته ان سيبويه قال زعموا ان ابن ابي اسحق كان يحقق الهمزتين في اناس معه وقد يتكلم ببعضه العرب وهو ردي ووجهه من القياس ان تقول ان الهمزة حرف من حروف الحلق كالعين وغيره وقد جمع بينهما في نحو لعاعه ولع يلع فكما جاز اجتماع العينين جاز اجتماع الهمزتين قال علي بن عيسى انما جاز اجتماع الهمزتين هنا لئلا يجتمع على الكلمة تغييران الادغام والقلب مع خفة التحقيق لاجل ما بعده من السكون وعلى هذا يقول هذا ائم من هذا بهمزتين وانما قلبت الهمزة من ايمة على حركتها دون حركة ما قبلها لان الحركة انما نقلت من الميم الى الهمزة لبيان زنة الكلمة فلو ذهبت نقلته على ما قبلها لكنت مناقضا للغرض فيها واما قوله لا ايمان لهم فمن فتح الهمزة قال هو اشبه بالموضع فقد قال نكثوا ايمانهم ومن كسرها جعله مصدر آمنته ايمانا خلاف خوفته ولا يريد به مصدر آمن الذي هو صدق فيكون تكرير الدلالة ما تقدم من قولها فقاتلوا ائمة الكفر على ان اهل الكفر لا ايمان لهم اللغة الايمان جمع يمين وهو القسم والطعن الاعتقاد بالعيب واصله الطعن بالرمح والامام هو المتقدم للاتباع فالامام في الخير مهتد هاد وفي الشر ضال مضل والهم مقارنة الفعل بالعزم من غير ايقاع له وقد ذموا بهذا الهم ففيه دليل على العزم وقد يستعمل الهم على مقارنة العزم والبدء فعل الشيء قبل غيره وهو فعل الشيء اولا والمرة فعل لم يتكرر وهي الفعلة من المر والمرة والدفعة والكرة نظاير المعنى ثم بين سبحانه خصال القوم فقال اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله ومعناه اعرضوا عن دين الله وصدوا الناس بشيء يسير نالوه من الدنيا واصل الاشتراء ما كان من المتاع بالثمن ونقيضه البيع وهو العقد على تسليم المتاع بالثمن ومعنى الفاء هنا ان اشتراءهم هذا اداهم الى الصد عن الاسلام وهذا ورد في قوم من العرب جمعهم ابو سفيان على طعامه ليستميلهم على عداوة النبي ص عن مجاهد وقيل ورد في اليهود الذين كانوا ياخذون الرشا من العوام على الحكم بالباطل عن الجبائي انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئس العمل عملهم لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة سبق معناه والفايدة في الاعادة ان الاول في صفة الناقضين للعهد والثاني صفة الذين اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وقيل انما كرر تاكيدا واولئك هم المعتدون اي المجاوزون الحد في الكفر والطغيان فان تابوا اي ندموا على ما كان منهم من الشرك وعزموا على ترك العود اليه وقبلوا الاسلام واقاموا الصلوة واتوا الزكوة اي قبلوهما واديهما عند لزومهما فاخوانكم في الدين اي فهم اخوانكم في الدين تعاملونهم معاملة اخوانكم من المؤمنين ونفصل الآيات اي نبينها ونميزها الخاصة لكل واحدة منها بتميزها عن غيرها حتى يظهر مدلولها على اتم ما يكون من الظهور فيها لقوم يعلمون ذلك ويتبينونه دون الجهال الذين لا يتفكرون فان نكثوا اي نقضوا ايمانهم اي عهودهم وما حلفوا عليه من بعد عهدهم اي من بعد ان عقدوه وطعنوا في دينكم اي عابوه وقدحوا فيه فقاتلوا ائمة الكفر اي رؤساء الكفر والضلالة وخصهم بالامر بقتالهم لانهم يضلون اتباعهم قال الحسن اراد به جماعة الكفار وكل كافر امام لنفسه في الكفر ولغيره في الدعاء اليه وقال ابن عباس وقتادة اراد به رؤساء قريش مثل الحرث بن هشام وابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وساير رؤساء قريش الذين نقضوا العهد وكان حذيفة بن اليمان يقول لم يات اهل هذه الآية بعد وقال مجاهد هم اهل فارس والروم وقرا علي ع هذه الآية يوم الجمل ثم قال اما والله لقد عهد الى رسول الله وقال لي يا علي لتقاتلن الفئة الناكثة والفئة الباغية والفئة المارقة انهم لا ايمان لهم من قرا بفتح الهمزة فمعناه

عشر

الهمز

انهم لا يحفظون العهد واليمين كما يقال فلان لا عهد له اي لا وفاء له بالعهد ومن قرا بالكسر فمعناه لا تؤمنوهم بعد نكثهم العهد ويحتمل
ان يكون معناه انهم اذا امنوا انسانا لا يفون له ويحتمل ان يكون معناه انهم كفروا فلا ايمان لهم لعلهم ينتهون معناه قاتلوهم لينتهوا عن الكفر
فانهم لا ينتهون عنه بدون القتال وقيل معناه ليكن قصدكم في قتالهم انتهاءهم عن الشرك فان قيل كيف نفى بقوله لا ايمان لهم ما اثبته
بقوله وان نكثوا ايمانهم قيل انه الايمان التي اثبتها هي ما حلفوا بها وعقدوا عليها وانما نفاها من بعد لانهم لا يفون بها ولم يتمسكوا بموجبها
الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول الالف للاستفهام والمراد به التحضيض والايجاب ومعناه هلا تقاتلونهم وقد
نقضوا عهودهم التي عقدوها واختلف في هؤلاء فقيل هم اليهود الذين نقضوا العهد وخرجوا مع الاعراب وهموا باخراج الرسول ع
من المدينة كما اخرجه المشركون من مكة عن الجبائي والقاضي وقيل هم مشركوا قريش واهل مكة وهم بدؤكم اول مرة اي بدؤكم بنقض
العهد عن ابن اسحق والجبائي وقيل بدؤكم بقتال حلفاء النبي صلى الله عليه وآله من خزاعة عن الزجاج وقيل بدؤكم بالقتال يوم بدر
وقالوا حين سلم العير لا ننصرف حتى نستاصل محمدا ومن معه اتخشونهم اي اتخافون ان ينالكم من قتالهم مكروه لفظه استفهام والمراد به
تشجيع المؤمنين وفي ذلك غاية الفصاحة لانه جمع بين التقريع والتشجيع فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين المعنى لا تخشوهم ولا
تتركوا قتالهم خوفا على انفسكم منهم فالله سبحانه احق ان تخافوا عقابه في ترك امره بقتالهم ان كنتم مصدقين بعقاب الله وثوابه اي
ان كنتم مؤمنين فخشية الله احق بكم من خشية غيره قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم
ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم آيتان القراءة
في الشواذ قراءة الاعرج وابن ابي اسحق وعيسى الثقفي وعمرو بن عبيد ويتوب الله بالنصب ورويت عن ابي عمرو ايضا الحجة قال ابن
جني اذا نصب فالتوبة داخلة في جواب الشرط واذا رفع فهو استيناف وتقديره في النصب ان تقاتلوهم تكن هذه الاشياء كلها التي احدها
التوبة من الله على من يشاء والوجه قراءة الجماعة على الاستيناف لانه تم الكلام على قوله ويذهب غيظ قلوبهم ثم استانف فقال ويتوب
الله على من يشاء لان التوبة منه سبحانه ليست مسببة عن قتالهم المعنى ثم اكد سبحانه ما تقدم بان المسلمين بقتالهم وبشرهم بالنصر
والظفر عليهم فقال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم قتلا واسرا ويخزهم اي ويذلهم وينصركم عليهم ويعنكم ايها المؤمنون عليهم ويشف
صدور قوم مؤمنين يعني صدور بني خزاعة الذين بيت عليهم بنو بكر عن مجاهد والسدي لانهم كانوا حلفاء النبي صلى الله عليه وآله
ويذهب غيظ قلوبهم معناه ويكون ذلك النصر شفاء لقلوب المؤمنين التي امتلات غيظا لكثرة ما نالهم الاذى من جهتهم ثم استانف
سبحانه فقال ويتوب الله على من يشاء اي يقبل توبة من تاب منهم مع فرط تعديهم رحمة منه وتفضلا والله عليم حكيم بنياتهم اذا تابوا
بقتالهم اذا امكنتهم قبل ان يتوبوا ويرجعوا لان افعاله كلها صواب وحكمة وفي هذا دلالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله لانه وافق
خبره المخبر النظم والوجه في اتصال قوله ويتوب الله على من يشاء بما قبله سببان احدهما البشارة بان فيهم من يتوب ويرجع عن الكفر
الى الايمان والاخر بيان انه ليس في قتالهم انقطاع لاحد منهم عن التوبة قوله تعالى ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون آية اللغة
الحسبان قوة المعنى في النفس من غير قطع وهو مشتق من الحساب لدخوله فيما يحتسب به والترك ضد الفعل المبتداء في محل القدرة
عليه ويستعمل بمعنى ان لا يفعل كقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون والوليجة الدخيلة في القوم من غيرهم والبطانة مثله والوليجة
الرجل من يختص بدخلة امره دون الناس الواحد والجمع فيه سواء وكل شيء دخل في شيء ليس منه فهو وليجة قال طرفة فان القوافي
ان يلجن مولجا تضايق عنه ان يولجه الابر الاعراب ام حرف عطف يعطف به الاستفهام وام حسبتم معطوف على ما تقدم
من قوله الا تقاتلون وهو من الاستفهام المعترض في وسط الكلام فجعل بام ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ ولما يفعل نفي الفعل
مع تقريب لوقوعه ولم يفعل نفي بغير انقطاع في وقوعه المعنى ثم نبه سبحانه على جلالة موقع الجهاد فقال ام حسبتم ان تتركوا ومعناه
اظننتم ايها المؤمنون ان تتركوا من دون ان تكلفوا الجهاد في سبيل الله مع الاخلاص ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم معناه ولما يظهر
ما علم الله منكم فذكر نفي العلم والمراد نفي المعلوم تاكيدا للنفي والا فان الله عز اسمه عالم بما يكون قبل ان كان وبما لا يكون لو كان كيف كان

يكون وتقديره اظننتم ان تتركوا ولما تجاهدوا ولم تتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة اي ولم يعلم الله الذين لم يتخذوا سوى
الله وسوى رسوله والمؤمنين بطانة واولياء يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وقال الجبائي نفوا ان يكونوا منافقين وهو قول الحسن وفي
هذا دلالة على تحريم موالاة الكفار والفساق والالف بهم والله خبير بما تعملون اي عليم باعمالكم فيجازيكم عليها النظم وجه اتصال هذه
الاية بما قبلها انه لما تقدم الامر بالقتال عطف عليه بهذا الشرط وهو الاخلاص في الجهاد على وجه قطع العصمة ليظهر الظفر ويستحق الثواب

قوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون •
انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا
من المهتدين • آيتان القراءة قرا اهل البصرة وابن كثير مسجد الله على الواحد وهو قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير
ومجاهد والباقون مساجد الله الحجة من افرد انه عنى به المسجد الحرام وحجة من جمع انه اراد المسجد الحرام وغيره من المساجد ويحتمل
ان يكون اراد المسجد الحرام وانما جمع لان كل موضع منه مسجد يسجد عليه فتكون القراءتان بمعنى اللغة الاصل في المسجد هو موضع السجود
وفي العرف يعبر به عن البيت المهيأ لصلوة الجماعة فيه والعمارة ما يجدد منه وما استرم الامر سنه ومنه اعتمر اذا زار لانه يجدد بالعمارة
ما استرم من الحال المعنى لما امر الله سبحانه بقتال المشركين وقطع العصمة والموالاة عنهم امر بمنعهم عن المساجد فقال ما كان للمشركين
ان يعمروا مساجد الله معناه لا ينبغي للمشركين ان يكونوا قواما على عمارة مساجد الله ومتولين لامرها وينبغي ان يعمرها المسلمون وقيل ان المراد
بذلك المسجد الحرام خاصة وقيل هي عامة في جميع المساجد شاهدين على انفسهم بالكفر اي في حال شهادتهم على انفسهم بالكفر او مع شهادتهم
واختلف في العمارة للمسجد فقيل هي بدخوله ولزومه كما يقال فلان يعمر مجلس فلان اذا اكثر غشيانه لان المسجد يكون عمارة بطاعة الله
وعبادته وقيل هي باستصلاحه ورم ما استرم منه لان انما يعمر للعبادة عن الجبائي وقيل هي بان يكونوا من اهله اي لا ينبغي ان يترك
المشركون فيكونوا اهل المسجد الحرام عن الحسن واختلف في شهادتهم على انفسهم بالكفر كيف هي فقيل ان النصراني يسال ما انت فيقول
انا نصراني واليهودي يقول انا يهودي وكذلك المشرك اذا سئل ما دينك يقول مشرك لا يقولها احد غير العرب عن السدي وقيل معناه
ان كلامهم يدل على كفرهم كما يقال كلام فلان يدل على بطلان دعواه عن الحسن وقيل هي قولهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه
وما ملك وقيل شهادتهم سجودهم لاصنامهم مع اقرارهم بانها مخلوقة عن ابن عباس ومعناه انهم يشهدون على انفسهم بافعالهم واحوالهم
ومن اظهر شيئا وبينه يقال قد شهد به اولئك حبطت اعمالهم التي هي من جنس الطاعة من المؤمنين اي بطلت لانهم اوقعوها على
الوجه الذي لا يستحق لاجله الثواب عليها عند الله وفي النار هم خالدون اي مقيمون مؤبدون انما يعمر مساجد الله ولفظة انما لاثبات
المذكور ونفي ما عداه ومعناه لا يعمر مساجد الله في زيارتها واقامة العبادات فيها او بنيانها ورم المسترم منها الا من آمن بالله واليوم
الآخر اي من اقر بوحدانية الله عز وجل واعترف بالقيمة واقام الصلوة بحدودها واتى الزكوة اي اعطاها ان وجبت عليه الى مستحقها
ولم يخش الا الله اي لم يخف الا الله احدا من المخلوقين وهذا راجع الى قوله اتخشونهم فالله احق ان تخشوه اي ان اخشيتموهم
فقد ساويتموهم في الاشراك كما قال فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله الاية فعسى اولئك ان يكونوا
من المهتدين معناه فانهم من المهتدين الى الجنة وقيل ثوابها لان عسى من الله واجبة عن ابن عباس والحسن وفي ذكر الصلوة والزكوة
وغير ذلك بعد ذكر الايمان بالله دلالة على ان الايمان لا ينتاول افعال الجوارح اذ لو تناولها لما جاز عطف ما دخل فيه عليه ومن قال
المراد به التفصيل وزيادة البيان فقد ترك الظاهر قوله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم
الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين • الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في
سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون • يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وجنات لهم فيها نعيم مقيم • خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم • اربع آيات القراءة في الشواذ
قراءة محمد بن علي الباقر عم وابن الزبير وابي وجزة السعدي وابي جعفر القاري اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وقرا الضحاك
سقاية الحاج بالضم وعمرة المسجد الحرام الحجة اما سقاة فجمع ساق وعمرة جمع عامر واما سقاية فقد قال ابن جني فيه نظر ووجهه

حزب

ان

ان يكون جمعا جاء على فعال كعرف وعراف ورجل ورجال وظئر وظؤار وتوءم وتؤام وبرئ وبراء وانسان واناس ثم انث كما يؤنث من
المجموع اشياء نحو حجارة وعبورة وكان من عدل عن قراءة الجماعة سقاية الحاج وعمارة الى هذا انما هرب من ان يقال الحدث بالجواهر في
ذلك ان من آمن جوهر وسقاية وعمارة مصدران فلا بد اذا من حذف المضاف اى اجعلتم هذين الفعلين كفعل من آمن بالله فلما رأى انه
لا بد من حذف المضاف قرأ سقاة وعمرة وسقاية على ما مضى اللغة السقاية آلة تتخذ لسقى الماء والسقاية مصدر كالسقى ايضا
وقيل انهم كانوا يسقون الحجيج الماء والشراب وبيت البئر سقاية ايضا والبشارة الدلالة على ما يظهر به السرور فى بشرة الوجه يقال بشرته
ابشره بشرى والرضوان هو معنى يستحق كالاحسان ويدعوا الى الحمد على ما كان والرضا ضد سخط العصيان والنعيم مشتق من النعمة وهي اللين
فاما النعمة بكسر النون فهو منفعة يستحق بها الشكر كنعمة العيش وابدا للزمان المستقبل من غير آخر كما ان قط للماضي يقال ما رايته قط ولا
اراه ابدا وجمع الابد اباد وابود يقال لا افعل ذلك ابد الابيد وابد الابدين وتابد المنزل اتى عليه الابد والاوابد الوحش سميت بذلك
لطول اعمارها وقيل لم يمت وحشي حتف انفه وانما يموت بآفة والابدة الداهية النزول قيل انها نزلت فى على بن ابى طالب عليه السلم
وعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة وذلك انهم افتخروا فقال طلحة انا صاحب البيت وبيدي مفتاحه ولو اشاء بت فيه وقال
العباس انا صاحب السقاية والقائم عليها وقال على ع ما ادري ما تقولان لقد صليت الى القبلة ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد
عن الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وقيل ان عليا ع قال للعباس يا عم الا تهاجر الا تلحق برسول الله صلى الله عليه وآله فقال
الست فى اعظم من الهجرة اعمر المسجد الحرام واسقي حاج بيت الله فنزل اجعلتم سقاية الحاج عن ابن سيرين ومرة الهمداني وروى الحاكم
ابو القسم الحسكاني باسناده عن ابن بريدة عن ابيه قال بينا شيبة والعباس يتفاخران اذ مر بهما على بن ابي طالب ع فقال بماذا تتفاخران
فقال العباس لقد اوتيت من الفضل ما لم يؤت احد سقاية الحاج وقال شيبة اوتيت عمارة المسجد الحرام فقال على استحييت لكما فقد اوتيت
على صغري ما لم تؤتيا فقالا وما اوتيت يا على فقال ضربت خراطيمكما بالسيف حتى آمنتما بالله فقام العباس مغضبا يجر ذيله حتى دخل
على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال اما ترى الى ما استقبلني به على فقال ادعوا الى عليا فدعى له فقال ما دعاك الى ما استقبلت به
عمك فقال يا رسول الله صدمته بالحق فمن شاء فليغضب ومن شاء فليرض فنزل جبرائيل فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول
اتل عليهم اجعلتم سقاية الحاج الايات فقال العباس انا قد رضينا ثلث مرات وفى تفسير ابي حمزة ان العباس لما اسر يوم بدر اقبل عليه اناس
من المهاجرين والانصار فعيروه بالكفر وقطيعة الرحم فقال ما لكم تذكرون مساوينا وتتركون محاسننا قالوا وهل لكم من محاسن قال نعم
فوالله انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل الله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله الى آخر الآيات
المعنى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله هذا استفهام معناه الانكار اى لا تجعلوا وفيه حذف يدل الكلام
عليه تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج واهل عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله حتى يكون مقابلة الشخص بالشخص او يكون تقديره اجعلتم
السقاية والعمارة كايمان من آمن بالله حتى يكون مقابلة الفعل بالفعل وسقاية الحاج سقيهم الشراب قال الحسن وكان نبيذ زبيب يسقون
الحاج فى الموسم بين الله سبحانه ان لا يقابل هذه الاشياء بالايمان بالله واليوم الآخر والجهاد فى سبيل الله فانه لا مساواة بين الامرين
لا يستوون عند الله فى الفضل والثواب والله لا يهدي الى طريق ثوابه القوم الظالمين كما يهدي اليه من كان عارفا به فاعلا لطاعته
مجتنبا لمعصيته ثم ابتدا سبحانه فقال الذين آمنوا اى صدقوا واعترفوا بوحدانية الله وهاجروا اوطانهم التي هي دار الكفر الى دار الاسلام
وجاهدوا فى سبيل الله اى تحمل المشاق فى ملاقات اعداء الدين باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله من غيرهم من المؤمنين الذين لم
يفعلوا هذه الاشياء واولئك هم الفائزون اى الظافرون بالبغية يبشرهم ربهم فى الدنيا على السنة الرسل بما بين فى كتبه من الثواب
الموعود على الجهاد برحمة منه ورضوان فى الآخرة وجنات لهم فيها نعيم مقيم اى دائم لا يزول ولا ينقطع خالدين فيها ابدا اى دائمين فيها مع كون
النعيم مقيما لهم ان الله عنده اجر اى جزاء على العمل عظيم اى كثير متضاعف لا يبلغه نعمة غيره من الخلق قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم
واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها

احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي
القوم الفاسقين ٤ آيتان القراءة قرا ابو بكر عن عاصم وعشيراتكم على الجمع والباقون عشيرتكم على التوحيد الحجة من افرد
فلان العشيرة تقع على الجمع وقال ابو الحسن العرب لا تجمع العشيرة العشيرات وانما تقول عشاير ومن جمع فلان كل واحد من المخاطبين
له عشيرة اللغة الاستحباب طلب المحبة ويجوز ان يكون استحب بمعنى احب كما ان استجاب بمعنى اجاب فيكون كانه طلب محبته فوقع
له والعشيرة الجماعة ترجع الى عقد واحد كالعشرة ومنه المعاشرة والاقتراف انقطاع الشيء من مكانه الى غيره ومنه القرحة اذا اقترفها
والقرف القشر والتربص التثبت في الشيء حتى يجيء وقته والتربص والتثبت والسطر والتوقف نظاير ونقيضه التعجل النزول روي عن
ابي جعفر عليه السلام وابي عبد الله ع انها نزلت في حاطب بن ابي بلتعة حيث كتب الى قريش يخبرهم بخبر النبي صلى الله عليه وآله لما اراد فتح مكة
المعنى ثم نهى الله سبحانه المؤمنين عن موالاة الكفار وان كانوا في النسب الاقربين فقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم
اولياء وهذا في امر الدين فاما في امر الدنيا فلا باس بمجالستهم ومعاشرتهم لقوله سبحانه وصاحبهما في الدنيا معروفا قال ابن عباس
لما امر الله تعالى المؤمنين بالهجرة وارادوا الهجرة فمنهم من تعلقت به زوجته ومنهم من تعلق به ابواه واولاده وكانوا يمنعونهم من الهجرة
فيتركون الهجرة لاجلهم فبين سبحانه ان امر الدين مقدم على النسب واذا وجب قطع قرابة الابوين فالاجنبي اولى ان استحبوا الكفر على
الايمان اختاروا الكفر واثروه على الايمان قال الحسن من تولى المشرك فهو مشرك وهذا اذا كان راضيا بشركه ومن يتولهم منكم فتركوا
طاعة الله لاجلهم واطلعهم على اسرار المسلمين فاولئك هم الظالمون نفوسهم الباخسون حقها من الثواب لانهم وضعوا الموالاة في
غير موضعها لان موضعها اهل الايمان قل يا محمد لهؤلاء المتخلفين عن الهجرة الى دار الاسلام ان كان آباؤكم الذين ولدوكم وابناؤكم الذين
ولدتموهم وهم الاولاد الذكور واخوانكم في النسب وازواجكم اللاتي عقدتم عليهن عقد النكاح وعشيرتكم اي اقاربكم واموال اقترفتموها
اي كسبتموها واقتطعتموها وجمعتموها وتجارة تخشون كسادها اي تخشون انها تكسد اذا اشتغلتم بطاعة الله تعالى والجهاد ومساكن
ترضونها اي مساكن اخترتموها لانفسكم ويعجبكم المقام فيها احب اليكم اي آثر في نفوسكم واقرب الى قلوبكم من الله ورسوله اي من طاعة الله
وطاعة رسوله وجهاد في سبيله اي ومن الجهاد في سبيل الله فتربصوا اي انتظروا حتى ياتي الله بامره اي بحكمه فيكم وقيل بعقوبتكم على اختيار
هذه الاشياء وعلى الجهاد وطاعة الله اما عاجلا واما آجلا وفيه وعيد شديد عن الحسن والجبائي وقيل بفتح مكة عن مجاهد قال بعضهم
وهذا لا يصح لان سورة براءة نزلت بعد فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين مضى تفسيره قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن
كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين
ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك
جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم ثلث ايات اللغة الموطن الموضع الذي
يقيم فيه صاحبه وهو مفعل من الوطن واستوطن المكان اذا اتخذه وطنا وحنين اسم واد بين مكة والطايف والاعجاب السرور بما يتعجب
منه والعجب السرور بالنفس والرحب السعة في المكان وضده الضيق وقولهم مرحبا معناه اتيت سعة والسكينة الطمانينة
والامنة وهي فعيلة من السكون وقال الشاعر لله قبر غالها ماذا اجن لقد اجن سكينة ووقارا والجنود الجموع التي تصلح للحروب
الاعراب مواطن لا ينصرف لانه جمع ليس على مثال الآحاد ويوم حنين اي في يوم حنين عطفه على مواطن اي ونصركم في يوم حنين
وانما صرف حنينا لانه اسم لمذكر وهو واد ولو ترك صرفه على انه اسم البقعة لجاز قال الشاعر نصروا نبيهم وشدوا ازره بحنين يوم تواكل
الابطال وما في قوله بما رحبت مصدرية اي برحبها وسعتها المعنى لما تقدم امر المؤمنين بالقتال ذكرهم بعده ما آتاهم من النصر حالا بعد
حال فقال لقد نصركم الله في مواطن كثيرة واللام للقسم فكانه سبحانه اقسم بانه نصر المؤمنين اي اعانهم على اعدائهم في مواطن كثيرة على
ضعفهم وقلة عددهم حثا على الانقطاع اليه ومفارقة الاهلين والاقربين في طاعته وورد عن الصادقين انهم عليهم السلام
قالوا كانت المواطن ثمانين موطنا وروي ان المتوكل اشتكى شكاة شديدة فنذر ان يتصدق بمال كثير ان شفاه الله فلما عوفي سال العلماء
عن حد المال الكثير فاختلفت اقوالهم فاشير اليه ان يسال ابا الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر عليهم السلم وكان حبسه في داره

فامران يكتب اليه فكتب عليه يتصدق بثمانين درهما ثم سالوه عن العلة فى ذلك فقرا هذه الاية وقال عددنا تلك المواطن فبلغت ثمانين
موطنا ويوم حنين اى فى يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم اى سرتكم وصرتم معجبين بكثرتكم قال قتادة كان سبب انهزام المسلمين يوم
حنين ان بعضهم قال حين رأى كثرة المسلمين لن نغلب اليوم عن قلة فانهزموا بعد ساعة وكانوا اثنى عشر الفا وقيل انهم كانوا عشرة
الاف وقيل ثمانية الاف والاول اصح واكثر فى الرواية فلم تغن عنكم شيئا اى فلم تدفع عنكم كثرتكم سوء وضاقت عليكم الارض بما
رحبت اى برحبها والباء بمعنى مع يعنى ضاقت عليكم الارض مع سعتها كما يقال اخرج بنا الى موضع كذا اى معنا والمراد لم تجدوا من
الارض موضعا للفرار اليه ثم وليتم مدبرين اى وليتم عن عدوكم منهزمين وتقديره وليتموهم ادباركم وانهزمتم ثم انزل الله سكينته
اى رحمته التى تسكن اليها النفس ويزول معها الخوف على رسوله وعلى المومنين حتى رجعوا اليهم وقاتلوهم وقيل على المؤمنين الذين
ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله على والعباس فى نفر من بنى هاشم عن الضحاك ومزاحم وروى الحسن بن على بن فضال عن ابى
الحسن الرضاء قال السكينة ريح من الجنة تخرج طيبة لها وجه كوجه الانسان فتكون مع الانبياء اهلده العباس مسندا وانزل
جنودا لم تروها الذين جنود من الملائكة وقيل ان الملائكة نزلوا يوم حنين بتقوية قلوب المؤمنين وتشجيعهم ولم يباشروا القتال يومئذ
ولم يقاتلوا الا يوم بدر خاصة عن الجبائى وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وسلب الاموال والاولاد وذلك جزاء الكافرين اى وذلك
العذاب جزاء الكافرين على كفرهم ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ذكر سبحانه ثم فى ثلثة مواضع متقاربة الاول ثم وليتم مدبرين
عطف على ما قبله من الفعل وهو قوله ضاقت عليكم الارض والثانى ثم انزل السكينة عطف على قوله وليتم والثالث ثم يتوب عطف
على انزل وانما حسن عطف المستقبل على الماضى لانه يشاكله لان الاول تذكير بنعمه والثانى وعد بنعمه والمعنى ثم يقبل توبة من تاب
عن الشرك ورجع الى طاعة الله والاسلام وندم على ما فعل من القبيح ويجوز ان يريد ثم يقبل الله توبة من انهزم بعد هزيمته ويجوز ان
يقبل توبتهم عن اعجابهم بالكثرة وانما علقه بالمشية لان قبول التوبة تفضل من الله تعالى ولو كان واجبا على ما قاله اهل الوعيد لما جاز
تعليقه بالمشية كما لا يجوز تعليق الثواب على الطاعة بالمشية ومن خالف فى ذلك قال انما علقها بالمشية لان منهم من له لطف يصلح
به ويتوب ومنهم من لا لطف له والله غفور اى ستار للذنوب رحيم بعباده قصة غزاة حنين ذكر اهل التفسير واصحاب
السير ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما افتتح مكة خرج منها متوجها الى حنين لقتال هوازن وثقيف فى آخر شهر رمضان او فى شوال
من سنة ثمان من الهجرة وقد اجتمع رؤساء هوازن الى مالك بن عوف النصرى وساقوا معهم اموالهم ونساءهم وذراريهم ونزلوا باوطاس
وكان دريد بن الصمت فى القوم وكان رئيس جشم وكان شيخا كبيرا قد ذهب بصره من الكبر فقال اى واد انتم قالوا باوطاس قال نعم مجال
الخيل لا حزن ضرس ولا سهل دهس مالى اسمع رغاء البعير ونهيق الحمير وخوار البقر وثغاء الشاء وبكاء الصبيان فقالوا ان مالك بن
عوف ساق مع الناس اموالهم وابناءهم ونساءهم ليقاتل كل منهم عن اهله وماله فقال دريد راعى ضان ورب الكعبة ثم قال ايتونى بمالك
فلما جاءه قال يا مالك انك اصبحت رئيس قوم وهذا يوم له ما بعده ارفع الى علياء بلادهم والق الرجال على متون الخيل فانه لا ينفعك
الا رجل بسيفه وفرسه فان كانت لك لحق بك من وراءك وان كانت عليك لا يكون فضحت اهلك وعيالك فقال له مالك انك قد
كبرت وذهب علمك وعقد رسول الله صلواته الاكبر ودفعه الى على بن ابى طالب ع وكل من دخل مكة براية امره ان يحملها وخرج بعد ان اقام
بمكة خمسة عشر يوما وبعث الى صفوان بن امية فاستعار منه مائة درع فقال صفوان بن عارية ام غصب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
بل عارية مضمونة مؤداة فاعاره صفوان مائة درع وخرج معه وخرج من مسلمة الفتح الفا رجل وكان عليه السلام دخل مكة فى عشرة الاف رجل
وخرج منها فى اثنى عشر الفا وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله رجلا من اصحابه فانتهى الى مالك بن عوف وهو يقول لقومه ليصير كل
رجل منكم اهله وماله خلف ظهره واكسروا جفون سيوفكم واكمنوا فى شعاب هذا الوادى وفى الشجر فاذا كان فى غبش الصبح فاحملوا حملة رجل
واحد وهدوا القوم فان محمدا لم يلق احدا يحسن الحرب ولما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله باصحابه الغداة انحدر فى الوادى حنين فخرجت
عليهم كتائب هوازن من كل ناحية فانهزمت بنو سليم وكانوا على المقدم وانهزم من ورائهم وخلى الله تعالى بينهم وبين عدوهم لاعجابهم
بكثرتهم وبقى على ع ومعه الراية يقاتلهم فى نفر قليل ومر المنهزمون برسول الله صلى الله عليه وآله لا يلوون على شئ وكان العباس بن

عبد المطلب اخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب عن يساره ونوفل بن الحرث فى تسعة من
بنى هاشم وعاشرهم ايمن بن ام ايمن وقتل يومئذ وفى ذلك يقول العباس نصرنا رسول الله صـ فى الحرب تسعة وقد فر من قد فر عنهم فاقشعوا
وقولى اذا ما الفضل كر بسيفه على القوم اخرى يا بنى ليرجعوا وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه لما ناله فى الله لا يتوجع ولما رأ رسول الله صلى الله
عليه وآله هزيمة القوم عنه قال للعباس وكان جهورياً صيتاً اصعد هذا الضرب فنادى يا معاشر المهاجرين والانصار يا اصحاب
سورة البقرة يا اهل بيعة الشجرة الى اين تفرون هذا رسول الله صلى الله عليه وآله فلما سمع المسلمون صوت العباس راجعوا وقالوا
لبيك لبيك وتبادر الانصار خاصة وقاتلوا المشركين حتى قال رسول الله صـ حمى الوطيس انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب ونزل
النصر من عند الله وانهزمت هوازن هزيمة قبيحة فمروا فى كل وجه ولم يزل المسلمون فى آثارهم ومر مالك بن عوف فدخل حصن
الطايف وقتل منهم زهاء ماية رجل واغنم الله المسلمين اموالهم ونساؤهم وامر رسول الله صلى الله عليه وآله بالذراري والاموال ان
تحدر الى الجعرانة وولى على الغنايم بديل بن ورقا الخزاعى ومضى عـ فى اثر القوم فوافى حصن الطايف فى طلب مالك بن عوف وحاصر
اهل الطايف بقية الشهر فلما دخل ذو القعدة انصرف الى الجعرانة وقسم بها غنايم حنين واوطاس قال سعيد بن المسيب حدثنى رجل كان
فى المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن واصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقفوا لنا حلب شاة فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم
حتى انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء يعنى رسول الله صـ فتلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا
اكتافنا فكانوا اياها يعنى الملائكة قال الزهري وبلغنى ان شيبة بن عثمان قال استدبرت رسول الله صلى الله عليه وآله يوم حنين
وانا اريد ان اقتله بطلحة بن عثمن وعثمن بن طلحة وكانا قد قتلا يوم احد فاطلع الله رسوله على ما فى نفسى فالتفت الى وضرب فى صدري
وقال اعيذك بالله يا شيبة فارعدت فرايصى فنظرت اليه وهو احب الى من سمعي وبصري فقلت اشهد انك رسول الله وان الله اطلعك على ما
فى نفسى وقسم رسول الله صـ الغنايم بالجعرانة وكان معه من سبى هوازن ستة الاف من الذراري والنساء ومن الابل والشاء ما لا يدري عدته
قال ابو سعيد الخدرى قسم رسول الله صـ للمتالفين من قريش ومن ساير العرب ما قسم ولم يكن فى الانصار منها شيء قليل ولا كثير فمشى سعد بن
عبادة الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله ان هذا الحى من الانصار قد وجدوا عليك فى قسمك هذه الغنايم فى قومك وفى
ساير العرب ولم يكن فيهم منها شيء فقال صـ فاين انت من ذلك يا سعد فقال ما انا الا من قومي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله فاجمع لى قومك
فى هذه الحظيرة فجمعهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فقام فيهم خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا معشر الانصار الم اتكم ضلالا فهداكم الله
وعالة فاغناكم الله واعداء فالف بين قلوبكم قالوا بلى يا رسول الله ثم قال الا تجيبوني يا معشر الانصار فقالوا وما نقول وبماذا نجيبك المن لله
ولرسوله فقال اما والله لو شئتم لقلتم جئتنا طريدا فآويناك وعايلا فآسيناك وخايفا فآمناك ومخذولا فنصرناك فقالوا المن لله ولرسوله فقال
رسول الله صلى الله عليه وآله وجدتم فى انفسكم يا معشر الانصار فى لعاعة من الدنيا تالفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم الى ما قسم الله لكم من الاسلام
افلا ترضون يا معشر الانصار ان يذهب الناس الى رحالهم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله الى رحالكم فوالذي نفسى بيده لو ان الناس
سلكوا شعبا وسلكت الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار ولولا الهجرة لكنت امرءا من الانصار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وابناء
ابناء الانصار فبكت القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا رضينا بالله ورسوله قسما ثم تفرقوا وقال انس بن مالك كان رسول الله صـ امر مناديا فنادى
يا قوم اوطاس الا لا توطئوا الحبالى حتى يضعن ولا الحيالى حتى يستبرئن بحيضة ثم اقبلت وفود هوازن وقدمت على رسول الله صـ بالجعرانة
مسلمين وقام خطيبهم فقال يا رسول الله انما فى الحظاير من السبايا خالاتك وخواصك اللاتي كن يكفلنك فلو انا ملكنا ابن ابى شمر او النعمن بن
المنذر ثم اصابنا منهم مثل الذي اصابنا منك رجونا عودتهما وعطفهما وانت خير المكفولين وانشد ابياتا فقال عـ ايما احب اليكم السبى او الاموال
قالوا يا رسول الله خيرتنا بين الحسب والاموال والحسب احب الينا ولا نتكلم فى شاة ولا بعير فقال النبى صلى الله عليه وآله اما الذى لبنى هاشم
فهو لكم وسوف اكلم لكم المسلمين واشفع لكم فكلموهم واظهروا اسلامكم فلما صلى رسول الله الهاجرة قاموا فتكلموا فقال النبى صلى الله عليه وآله قد رددت
الذي لبنى هاشم والذى بيدي عليهم فمن احب منكم ان يعطى غير مكره فليفعل ومن كره ان يعطى فليأخذ الفداء وعلى فداؤهم فاعطى الناس
ما كان بايديهم منهم الا قليلا من الناس سألوا الفداء وارسل رسول الله صلى الله عليه وآله الى مالك بن عوف فقال ان جئتني مسلما رددت اهلك

ولك عندي مائة ناقة فخرج اليه من الطايف فرد عليه اهله وماله واعطاه مائة من الابل واستعمله على من اسلم من قومه قوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم آية
القراءة في الشواذ قراءة ابن السميقع العايس على الجمع وفي مصحف عبد الله بن مسعود وان خفتم عايلة الحجة قال ابن جني هذه من المصادر
التي جاءت على فاعله كالعاقبة والعافية واللاعية اللغة كل مستقذر نجس يقال رجال نجس وامراة نجس وقوم نجس لانه مصدر واذا استعملت
هذه اللفظة مع الرجس قيل رجس نجس بكسر النون والعيلة الفقر يقال عال يعيل اذا افتقر قال الشاعر وما يدري الفقير متى غناه وما يدري
الغني متى يعيل المعنى لما تقدم النهي عن ولاية المشركين ازال سبحانه ولايتهم عن المسجد الحرام وحظر عليهم دخوله فقال يا ايها الذين امنوا انما المشركون
نجس معناه ان الكفار انجاس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا اى فامنعوهم عن المسجد وقيل المراد به منعهم عن دخول الحرم عن عطا قال والحرم
كله مسجد والعام الذي اشار اليه هو سنة تسع الذي نادى فيه علي ع بالبراءة وقال لا يحجن بعد هذا العام مشرك وقيل المراد به منعهم من دخول
المسجد الحرام على طريق الولاية للموسم والعمرة وقيل من الدخول اصلا في المسجد ومنعوا من حضور الموسم والدخول عن الجبائي واختلف في
نجاسة الكافر فقال قوم من الفقهاء ان الكافر نجس العين وظاهر الآية يدل على ذلك وروي عن عمر بن عبد العزيز انه كتب امنعوا اليهود و
النصارى من دخول مساجد المسلمين واتبع نهيه قول الله تعالى انما المشركون نجس الاية وعن الحسن قال لا تصافحوا المشركين فمن صافحهم
فليتوضأ وهذا يوافق ما ذهب اليه اصحابنا من ان من صافح الكافر ويده رطبة وجب ان يغسل يده وان كانت ايديهما يابستين مسحها
بالحائط وقال اخرون انما سماهم الله نجسا لخبث اعتقادهم وافعالهم واقوالهم واجازوا للذمي دخول المساجد وقالوا انما يمكنون من دخول مكة
للحج قال قتادة سماهم نجسا لانهم يجنبون ولا يغتسلون ويحدثون ولا يتوضؤن فمنعوا من دخول المسجد لان الجنب لا يجوز له دخول
المسجد وان خفتم عيلة اي فقرا وحاجة وكانوا خافوا انقطاع المتاجر بمنع المشركين عن دخول الحرم فسوف يغنيكم الله من فضله اي
فسوف يغنيكم الله من جهة اخرى ان شاء الله ان يغنيكم بان يرغب الناس من اهل الآفاق في حمل الميرة اليكم قال مقاتل اسلم اهل جدة وصنعا
وجرش من اليمن وحملوا الطعام الى مكة على ظهور الابل والدواب وكفاهم الله ما كانوا يتخوفون وقيل معناه يغنيكم بالجزية الماخوذة من
اهل الكتاب وقيل بالمطر والنبات وقيل باباحة الغنايم واذا سئل عن معنى المشية في قوله تعالى ان شاء فالقول فيه ان شاء الله تعالى
قد علم ان منهم من يبقى الى وقت فتح البلاد واغتنام اموال الاكاسرة فيستغني ومنهم من لا يبقى الى ذلك الوقت فلهذا علقه بالمشية لرغبته
الى الله تعم في طلب الغنى منه قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله
ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون آية اللغة الدين في
الاصل الطاعة قال زهير حللت في حي بني اسد في عمرو دخالت بيننا فدل والجزية فعلة من جزى مثل القعدة والجلسة وهي عطية مخصوصة
جزاء لهم على تمسكهم بالكفر عقوبة لهم عن علي بن عيسى والصغار الذل والنكال الذي يصغر قدر صاحبه يقال صغر يصغر صغارا فهو صاغر
الاعراب عن يد في موضع نصب على الحال اى نقدا كما يقال باعه يدا بيد النزول قيل نزلت هذه الاية حين امر رسول الله صلعم بحرب
الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك عن مجاهد وقيل هي عامة على العموم المعنى ثم بين سبحانه ان من الكفار من يجوز تبقيته بالجزية فقال
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر يعني لا يعترفون بتوحيد الله ولا يقرون بالبعث والنشور وهذا يدل على صحة ما ذهب اصحابنا
اليه من انه لا يجوز ان يكون من جملة الكفار من هو عارف بالله وان اقر باللسان وانما يكون معتقدا لذلك اعتقادا ليس بعلم لانه صرح في
ان اهل الكتاب الذين يؤخذ منهم الجزية لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ومن قال يجوزان يكونوا عارفين بالله قال ان الاية خرجت مخرج
الذم لهم لانهم بمنزلة من لا يقر به في عظم الجرم قال الجبائي لانهم يضيفون اليه ما لا يليق به فكانهم لا يعرفونه وانما جمعت هذه الاوصاف
ولم يذكروا بالكفار من اهل الكتاب للتحريض على قتالهم بما هم عليه من الصفات المذمومة التي توجب البراءة منهم والعداوة لهم ولا يحرمون
ما حرم الله ورسوله عيسى وموسى عليهما السلام من كتمان بعث محمد صلى الله عليه وآله ولا يدينون دين الحق قيل الحق ههنا هو الله تعالى اي
دين الله والعمل بما في التورية من اتباع نبينا صلى الله عليه وآله وقيل الحق هو الله ودينه الاسلام عن قتادة وقيل معناه لا يطيعون الله
طاعة اهل الاسلام عن ابي عبيدة وقيل معناه لا يعترفون بالاسلام الذي هو دين الحق من الذين اوتوا الكتاب وصف الذين ذكرهم بانهم من

وقيل انما علقه م

وليعلم ان الغنى لا يكون بالاجتهاد وان الله
عليم بالمصالح وتدبير العباد وبكل شيء حكيم
فيما يامر وينهى م

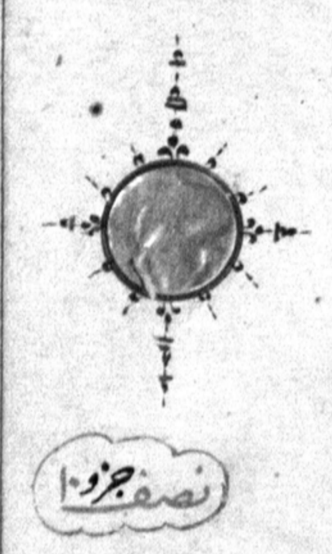
ع ١٠

توبه

عشر

من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وقال اصحابنا ان المجوس حكمهم حكم اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية عن يد اى نقدا من يده الى يد
من يد نعمه اليه من غير نايب كما يقال كلمته فما الفم وقيل معناه عن قدرة لكم عليهم وقهر لهم كما يقال كان اليد لفلان وقيل عن يد لكم عليهم ونعمة تسدونها
اليهم بقبول الجزية منهم وهم صاغرون اى ذليلون مقهورون يجرون الى الموضع الذي تقبض منهم فيه بالعنف حتى يؤدوها وقيل هو ان
يعطوا الجزية قايمين والاخذ جالس عن عكرمة قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم
بافواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من
دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون ❁ اية القراءة قرا عاصم والكسائى
ويعقوب وسهل عزير منونا والباقون عزير ابن الله بغير تنوين وقرا عاصم وحده يضاهؤن بالهمزة والباقون يضاهون بغير همز الحجة
قال ابو على من نون عزيرا جعله مبتداء وجعل ابنا خبره واذا كان كذلك فلا بد من اثبات التنوين فى حال السعة والاختيار لان عزيرا ونحوه
ينصرف عجميا كان او عربيا فاما من حذف التنوين فان حذفه على وجهين احدهما انه جعل الصفة والموصوف بمنزلة اسم واحد كما جعلهما
كذلك فى قوله ولا رجل ظريف وحذف التنوين ولم يحرك لالتقاء الساكنين كما تحرك فى زيد العاقل لان الساكنين كانهما التقيا فى تضاعيف كلمة
واحدة فحذف الاول منهما ولم يحرك لكثرة الاستعمال ولا يجوز اثبات التنوين فى هذا الباب اذا كان صفة وان كان الاصل لانهم جعلوه من
الاصول المرفوضة كما ان اظهار الاول من المثلين فى نحو صنوا لا يجوز فى الكلام فاذا كانا بمنزلة اسم مفرد والمفرد لا يكون جملة مستقلة بنفسها
مفيدة فى هذا المعنى فلا بد من اضمار جزء اخر يقدر انضمامه اليه ليتم جملة ويجعل الظاهر اما مبتداء واما خبر مبتداء فيكون التقدير صاحبنا
او نبينا او نبينا عزير ابن الله ان قدرت المضمر المبتداء وان قدرت بعكس ذلك جاز فهذا احد الوجهين والوجه الاخر ان لا يجعلها
اسما واحدا ولكن يجعل الاول من الاسمين المبتداء والاخر الخبر فيكون المعنى فيه على هذا كالمعنى فى اثبات التنوين وتكون القراءتان متفقتين
الا انك حذفت التنوين لالتقاء الساكنين وعلى هذا ما يروى من قراءة بعضهم احد الله الصمد فحذف التنوين لالتقاء الساكنين وقد
جاء ذلك فى الشعر كثيرا مثل حميد الذي امج داره اخو الخمر ذو الشيبة الاصلع وقال حاتم الطائى ذهاب الماء واما يضاهؤن فقد قال
الزجاج اصل المضاهاة المشابهة والاكثر ترك الهمزة واشتقاقه من قولهم امراة ضهياء وهى التى لا ينبت لها ثدي وقيل هى التى لا تحيض
ومعناها انها قد اشبهت الرجل فى انها لا ثدى وكذلك اذا لم تحض ضهياء فعلى الهمزة زائدة كما زيدت فى شمال وعرفى البيض ولا نعلم
الهمزة زيدت عن الاول الا فى هذه الاشياء ويجوز ان يكون فعيل وان كان بينه ليس لها فى الكلام نظير قال ابو على ليس قول يضاهؤن
من امراة ضهياء لان هذه الهمزة زائدة غير اصلية وليس بفعيل لانه لو كان اياه لكان مكسور الصدر وانما ادخله فى هذا ما رامه فى
اشتقاق يضاهؤن وقد يجوز ان يكون الكلمة غير مشتقة وذلك اكثر من ان تحصى اللغة الحبر العالم الذي صناعته تحبير المعانى
بحسن البيان عنها وهو الحبر بفتح الحاء وكسرها والرهبان جمع الراهب وهو الخاشى الذي يظهر عليه لباس الخشية وقد كثر استعماله على نساك
النصارى المعنى ثم حكى الله سبحانه عن اليهود والنصارى اقوالهم الشنيعة فقال وقالت اليهود عزير ابن الله قال ابن عباس القايل
لذلك جماعة منهم جاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم منهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشماس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل انما قال
ذلك جماعة منهم من قبل وقد انقرضوا وان عزيرا املى التورية من ظهر قلبه فقالوا انه ابن الله تعالى الا ان الله تعالى اضاف ذلك الى جميعهم
وان كانوا لا يقولون ذلك اليوم كما يقال ان الخوارج يقولون بتعذيب اطفال المشركين وانما يقوله الازارقة منهم خاصة ويدل على ان
هذا مذهب اليهود انهم لم ينكروا ذلك لما سمعوا هذه الاية مع حرصهم على تكذيب الرسول صلى الله عليه واله وقالت النصارى المسيح
ابن الله ذلك قولهم بافواههم معناه انهم اخترعوا ذلك القول بافواههم لم ياتهم به كتاب ولا رسول وليس عليه حجة ولا برهان ولا له
صحة وقيل انه لم يذكر القول مقرونا بالافواه الا كان ذلك القول زورا كقوله يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم يضاهؤن يشابهون
عن ابن عباس وقيل يوافقون عن الحسن قول الذين كفروا يعنى عبادة الاوثان فى عبادتهم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
عن ابن عباس ومجاهد والفراء وقيل فى عبادتهم الملائكة وقولهم انهم بنات الله من قبل اي ضاهت النصارى قول اليهود من قبل
فقالت النصارى المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله عن قتادة والسدى وقيل شبه كفرهم بكفر الذين مضوا من الامم الكافرة عن الحسن

قاتلهم



نصف جزو ١٠

قاتلهم الله اى لعنهم الله عن ابن عباس قال ابن الانبارى المقاتلة اصلها من القتل فاذا اخبر الله بها كانت بمعنى اللعنة لان من يلعنه الله
فهو بمنزلة المقتول الهالك انى يؤفكون اي كيف يصرفون عن الحق الى الافك الذي هو الكذب فكانه قال لاى داع مالوا الى هذا القول
اتخذوا احبارهم اى علماؤهم ورهبانهم اى عبادهم اربابا من دون الله روى عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم انهما قالا اما والله
ما صاموا لهم ولا صلوا لهم ولا احلوا لهم حراما ولا حرموا عليهم حلالا فاتبعوهم فعبدوهم من حيث لا يشعرون وروى الثعلبي باسناده عن
عدي بن حاتم قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي يا عدى اطرح هذا الوثن من عنقك قال فطرحته
ثم انتهيت اليه وهو يقرا من سورة براءة هذه الاية اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا حتى فرغ منها فقلت له انا لسنا نعبدهم قال اليس
يحرمون ما احل فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتستحلونه قال فقلت بلى فقال فتلك عبادتهم والمسيح بن مريم اى واتخذوا المسيح الها من
دون الله وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا اي معبودا واحدا هو الله تعالى لا اله الا هو اى لا تحق العبادة الا له ولا يستحق الالهية سواه
سبحانه تنزيها له عما يشركون اى عن شركهم عما يقولونه وعما لا يليق به قوله تعالى يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ
إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ • هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ
ايتان اللغة الاطفاء اذهاب نور النار ثم استعمل في اذهاب كل نور والافواه جمع فم واصله فوه فحذفت الهاء وابدلت من الواو الميم
لانه حرف صحيح من مخرج الواو مشاكل لها والاباء الامتناع مما يطلب من المعنى قال الشاعر وان ارادوا ظلمنا ابينا اى منعنا من الظلم
الاعراب قوله الا ان يتم نوره انما دخلت الا لان في ابيت طرفا من الجحد تقول ابيت ان افعل كذا فيكون معناه لم افعل قال الشاعر وهل
لى امّا غيرها ان تركتها ابى الله الا ان اكون لها ابنا وقال الزجاج في الاية حذف تقديره ويابى الله كل شىء الا اتمام نوره قال ولا يكون
الايجاب جحدا ولو جاز ذلك على ان يكون فيه طرف من الجحد لجاز كرهت الا اخاك مثل ابيت الا ان ابيت الحذف مستعمل معها
المعنى ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى انهم يريدون ان يطفئوا نور الله وهو القرآن والاسلام عن اكثر
المفسرين وقيل نور الله الدلالة والبرهان لانه يهتدى بها كما يهتدى بالانوار عن الجبائى قال ولما سمى الله سبحانه الحجج والبرهان انوارا سمى
معارضتهم لذلك اطفاء ثم قال بافواههم لان الاطفاء يكون بالافواه وهو النفخ وهذا من عجيب البيان مع ما فيه من تصغير شانهم
وتصغير كيدهم لان الفم يؤثر في الانوار الضعيفة دون الاقباس العظيمة ويابى الله الا ان يتم نوره ومعناه ويمنع الله الا ان يظهر
امر القرآن وامر الاسلام وحجته على التمام واصل الاباء المنع والامتناع دون الكراهية على ما ادعته المجبرة ولهذا تقول العرب فلان
يابى الضيم وهو ابي الضيم ولا مدحة في كراهية الضيم لانه يستوى فيه القوي والضعيف وانما المدحة في الامتناع او المنع منه ولو
كره الكافرون اى على كره من الكافرين هو الذي ارسل رسوله محمدا صلعم وحمله الرسالات التي يؤديها بالهدى اى بالحجج والبينات والدلائل
ودين الحق وهو الاسلام وما تضمنه من الشرايع التي يستحق عليها الجزاء بالثواب وكل دين سواه باطل يستحق به العقاب ليظهره على
الدين كله معناه ليعلي دين الاسلام على جميع الاديان بالحجة والغلبة والقهر حتى لا يبقى على وجه الارض دين الا مغلوب ولا يغلب
احد اهل الاسلام بالحجة وهم يغلبون اهل ساير الاديان بالحجة واما الظهور بالغلبة فهو ان كل طائفة من المسلمين قد غلبوا على ناحية
من نواحي اهل الشرك ولحقهم قهر من جهتهم وقيل اراد عند نزول عيسى بن مريم لا يبقى اهل دين الا اسلم او ادى الجزية عن الضحاك
وقال ابو جعفر ع ان ذلك يكون عند خروج المهدي من آل محمد صلى الله عليه وآله فلا يبقى احد الا اقر بمحمد صلعم وهو قول السدى وقال
الكلبي لا يبقى دين الا ظهر عليه الاسلام وسيكون ذلك ولا تقوم الساعة حتى يكون ذلك قال المقداد بن الاسود سمعت رسول الله صلعم
يقول لا يبقى على وجه الارض بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله كلمة الاسلام اما بعز عزيز او بذل ذليل اما يعزهم فيجعلهم الله من
اهله فيعزوا به واما يذلهم فيدينون له وقيل ان الهاء في ليظهره عايد الى الرسول صلعم اى ليعلمه الله الاديان كلها حتى لا يخفى عليه
شىء منها عن ابن عباس ولو كره المشركون اى وان كرهوا هذا الدين فان الله يظهره رغما لهم قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا
مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا
يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ • يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا

كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ۝ اللغة الكنز في الاصل هو الشيء الذي جمع بعضه الى بعض ويقال للشيء
المجتمع المكتنز وناقة كناز اللحم مجتمعه قال بعضهم سمي الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى وسمي الفضة فضة لانها تنفض اي تتفرق فلا
تبقى وحسبك بالاسمين دلالة على فنائهما والاحماء جعل الشيء حارا في الاحساس وهو فوق الاسخان وضده التبريد يقال حمي يحمى حمى
واحماه غيره والكي الصاق الشيء الحار بالعضو من البدن الاعراب الذين يكنزون موضعه نصب لانه معطوف على اسم ان ويكون المعنى وان
الذين يكنزون الذهب والفضة ياكلونها ويجوز ان يكون رفعا على الاستيناف وذكر في قوله ولا ينفقونها وجوه احدها انه اراد ولا ينفقون
الكنوز فرجع الضمير الى ما دل عليه الكلام والثاني انه لما ذكر الذهب والفضة دل على الاموال فكانه قال ولا ينفقون الاموال والثالث
ان الذهب مؤنث وهو جمع واحده ذهبة وهذا الجمع الذي ليس بينه وبين واحده الا الهاء يذكر ويؤنث ثم لما اجتمعا في التانيث
وكان كل واحد منهما يؤخذ عوض صاحبه في الزكوة على قول جمهور العلماء جعلهما كالشيء الواحد ورد الضمير اليهما بلفظ التانيث والرابع انه
اكتفى باحدهما عن الآخر ايجازا ورد الضمير الى الفضة لانها اقرب اليه كما قال حسان ان شرخ الشباب والشعر الاسود ما لم يعاص كان
جنونا وقد مر ذكر امثاله فيما مضى المعنى ثم بين سبحانه حال الاحبار والرهبان فقال يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان
لياكلون اموال الناس بالباطل اي ياخذون الرشى على الحكم عن الحسن والجبائي واكل المال بالباطل تملكه من الجهات التي يحرم منها
اخذه الاثر لما كان معظم التصرف والتملك للاكل وضع الاكل موضع ذلك وقيل ان معناه ياكلون متاع اموال الناس من الطعام
فكانهم ياكلون المال لانها ثمن الماكول كقول الشاعر ذر الآكلين الماء لوما فما ارى ينالون خيرا بعد اكلهم الماء اي ثمنه ويصدون عن
سبيل الله اي يمنعون غيرهم عن اتباع الاسلام الذي هو سبيل الله التي دعاهم الى سلوكها وعن اتباع محمد ص والذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله اي يجمعون المال ولا يؤدون زكوته فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال كل مال لم تؤد زكوته
فهو كنز وان كان ظاهرا وكل مال اديت زكوته فليس بكنز وان كان مدفونا في الارض وبه قال ابن عباس والحسن والشعبي والسدي
وقال الجبائي هو اجماع وروي عن علي ع ما زاد على اربعة الاف فهو كنز ادى زكوته او لم يؤد وما دونها فهي نفقة وتقدير الآية والذين
يكنزون الذهب ولا ينفقونه في سبيل الله والذين يكنزون الفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فحذف الخبر من الاول لدلالة الثاني عليه
كما حذف المفعول في الثاني لدلالة الاول عليه في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وتقديره والذاكرات الله واكثر المفسرين
على ان قوله والذين يكنزون على الاستيناف وان المراد بذلك مانعي الزكوة من هذه الامة وقيل انه معطوف على ما قبله والاولى
ان يكون محمولا على العموم في الفريقين فبشرهم بعذاب اليم اي اخبرهم بعذاب موجع وروى سالم بن ابي الجعد ان رسول الله صلى الله
عليه وآله لما نزلت هذه الآية قال تبا للذهب تبا للفضة يكررها ثلثا فشق ذلك على اصحابه فسأله عمر فقال يا رسول الله اي المال
نتخذ فقال لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعين احدكم على دينه يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوقد على الكنوز او الذهب و
الفضة في نار جهنم حتى تصير نارا فتكوى اي بتلك الكنوز المحماة والاموال التي منعوا حق الله فيها بها جباههم وجنوبهم
وظهورهم خص هذه الاعضاء لانها معظم البدن وكان ابوذر الغفاري يقول بشر الكافرين بكي في الجباه وبكي في الجنوب
وكي في الظهور حتى يلتقي الحر في اجوافهم ولهذا المعنى الذي اشار اليه ابوذر خصت هذه المواضع بالكي لان داخلها جوف
بخلاف اليد والرجل وقيل انما خصت هذه المواضع بالعذاب لان الجبهة محل الوسم لظهورها والجنب محل الالم والظهر محل
الحدود وقيل لان الجبهة محل السجود فلم يقم فيه بحقه والجنب مقابل القلب الذي لم يخلص في معتقده والظهر محل الاوزار قال
يحملون اوزارهم على ظهورهم عن الماوردي وقيل لان صاحب المال اذا رأى الفقير قبض جبهته وزوى ما بين عينيه وطوى عنه
كشحه وولاه ظهره عن ابي بكر الوراق هذا ما كنزتم لانفسكم اي يقال لهم في حال الكي او بعده هذا جزاء ما جمعتم وكنزتم المال ولم تؤدوا
حق الله منه وجعلتموه ذخيرة لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون اي فذوقوا العذاب بسبب ما كنتم تكنزون اي تجمعون وتمنعون حق
الله منه فحذف لدلالة الكلام عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ما من عبد له مال لا يؤدي زكوته الا جمع يوم القيمة صفائح
يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبينه وجبهته وظهره حتى يقضي الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما تعدون .

خمس

ثم يرى سبيله اما الى الجنة او الى النار اورده مسلم بن الحجاج في الصحيح وروى ثوبان عن النبي صلى الله عليه وآله قال من ترك كنزا مثل
له يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان يتبعه فيقول له ويلك ما انت فيقول له انا كنزك الذي تركت بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه
يده فيقضمها ثم يتبعه سائر جسده وروى الثعلبي باسناده عن الاعمش عن المعرور بن سويد عن ابي ذر قال اتيت رسول الله صلى
الله عليه وآله وهو في ظل الكعبة فلما رآني قد اقبلت قال هم الاخسرون ورب الكعبة هم الاخسرون ورب الكعبة فدخلني غم وجعلت
اتنفس وقلت هذا شيء حدث في فقال قلت من هم فداك ابي وامي قال الاكثرون الا من قال بالمال في عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه
وعن شماله ومن خلفه وقليل ما هم وروى عن ابي ذر انه قال من ترك بيضاء او حمراء كوى بها يوم القيمة قوله تعالى إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ
عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا
فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ آية القراءة
قرأ ابو جعفر اثنا عشر واحد عشر وتسعة عشر بسكون العين والباقون بفتحها الحجة الوجه في ذلك ان الاسمين لما جعلا كالاسم
الواحد وبني الاول منهما لانه كصدر الاسم والثاني منهما لتضمنه معنى واو العطف جعل تسكين اول الثاني دليلا على انهما قد صارا
كالاسم الواحد الاعراب كافة بمعنى الاحاطة مأخوذة من كفة الشيء وهو حرفه واذا انتهى الشيء الى ذلك كف عن الزيادة واصل الكف
المنع ومنه المكفوف وهو الممنوع البصر وكافة ينتصب على المصدر ولا يدخلها الالف واللام لانها من المصادر التي لا تتصرف
لوقوعه موقع معا جميعا بمعنى المصدر الذي في موضع الحال المذكورة فهو في لزوم النكرة موضع اجمعين في لزوم المعرفة هذا قول
الفراء وقال الزجاج كافة منصوب على الحال وهو مصدر على فاعلة كالعافية وهو موضع قاتلوا المشركين محيطين بهم باعتقاد مقاتلتهم
ولا يثنى ولا يجمع فلا يقال قاتلوهم كافات ولا كافين كما انك اذا قلت قاتلوهم عامة لم تثن ولم تجمع وكذلك خاصة هذا مذهب النحويين
المعنى لما ذكر سبحانه وعيد الظالم لنفسه بكنز المال من غير اخراج الزكوة وغيرها من حقوق الله منه اقتضى ذلك ان يذكر النهي عن
مثل حاله وهو الظلم في الاشهر الحرم الذي يؤدي الى مثل حاله او شر منها في التغليب فقال ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا اي عدد
شهور السنة في حكم الله وتقديره اثنا عشر شهرا وانما تعبد الله المسلمين ان يجعلوا سنتهم على اثني عشر ليوافق ذلك عدد الاهلة ومنازل
القمر دون ما دان به اهل الكتاب والشهور مأخوذة من شهرة الامر لحاجة الناس اليه في معاملاتهم ومحل ديونهم وحجهم وصومهم
وغير ذلك من مصالحهم المتعلقة بالشهور وقوله في كتاب الله معناه فيما كتب الله في اللوح المحفوظ وفي الكتب المنزلة على انبيائه عليهم السلام
وقيل في القرآن وقيل في حكمه وقضائه عن ابي مسلم وقوله يوم خلق السموات والارض متصل بقوله عند الله والعامل فيه الاستقرار وانما
قال ذلك لانه يوم خلق السموات والارض اجرى فيهما الشمس والقمر وبمسيرهما يكون الشهور والايام وبها تعرف الشهور منها اربعة حرم
اي من هذه الاثني عشر اربعة اشهر حرم ثلثة منها سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومعنى حرم انه يعظم انتهاك
المحارم فيها اكثر مما يعظم في غيرها وكانت العرب تعظمها حتى لو ان رجلا لقي قاتل ابيه لم يهجه لحرمتها وانما جعل الله بعض هذه الشهور
اعظم حرمة من بعض لما علم من المصلحة في الكف عن الظلم فيها لعظم منزلتها ولانه ربما ادى ذلك الى ترك الظلم اصلا لانطفاء النائرة
وانكسار الحمية في تلك المدة فان الاشياء تجر الى اشكالها وشهور السنة المحرم سمي بذلك لتحريم القتال فيه وصفر سمي بذلك لان مكة تصفر
من الناس فيه اي تخلو وقيل لانه وقع وباء فيه فاصفرت وجوههم وقال ابو عبيدة سمي بذلك لانه صفرت فيه وطابهم عن اللبن وشهرا
ربيع سميا بذلك لانبات الارض وامراعها فيهما وقيل لارتباع القوم اي اقامتهم وجماديان سميا بذلك لجمود المياه فيهما ورجب سمي بذلك
لانهم كانوا يرجبونه اي يعظمونه يقال رجبته ورجّبته بالتخفيف والتشديد قال الكميت ولا غيرهم ابغي لنفسي جنة ولا غيرهم ممن اجل
وارجب وقيل سمي بذلك لترك القتال فيه من قولهم رجل ارجب اذا كان اقطع لا يمكنه العمل وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال
في الجنة نهرا يقال له رجب ماؤه اشد بياضا من الثلج واحلى من العسل من صام يوما من رجب شرب منه وشعبان سمي بذلك لتشعب
القبائل فيه عن ابي عمرو وروى زياد بن ميمون ان النبي صلى الله عليه وآله قال انما سمي شعبان لانه يتشعب فيه خير كثير لرمضان وشهر
رمضان سمي بذلك لانه يرمض الذنوب وقيل سمي بذلك لشدة الحر وقيل ان رمضان من اسماء الله تعالى وشوال سمي بذلك لان القبائل

كانت تستول فيه اي تخرج عن امكنتها وقيل لشولان النوق اذنابها فيه وذو القعدة سمي بذلك لقعودهم فيه عن القتال وذو الحجة
لعصابة الحج فيه ذلك الدين القيم اى ذلك الحساب المستقيم الصحيح لا ما كانت العرب تفعله من النسي ومنه قوله الكيس من دان نفسه
اى حاسبها وسمى الحساب دينا لوجوب الدوام عليه ولزومه كلزوم الدين والعادة وقيل معناه ذلك القضاء المستقيم الحق عن
الكلبي وقيل معناه ذلك الدين يعبد به فهو اللازم فلا تظلموا فيهن اى فى هذه الشهور كلها عن ابن عباس وقيل فى اشهر الحرم الاربعة
عن قتادة واختاره الفرا لانه لو اراد الاثنى عشر لقال فيها انفسكم بترك اوامر الله وارتكاب نواهيه واذا عاد الضمير الى جميع الشهور فانه
يكون نهيا عن الظلم فى جميع العمر واذا عاده الى الاشهر الحرم ففايدة التخصيص ان الطاعة فيها اعظم ثوابا والمعصية اعظم عقابا لذلك
حكم الله فى جميع الاوقات الشريفة والبقاع المقدسة وقاتلوا المشركين كافة اى قاتلوهم جميعا مؤتلفين غير مختلفين كما يقاتلونكم كافة
اى جميعا كذلك فيكون كافة حالا عن المسلمين ويجوز ان يكون حالا من المشركين اى قاتلوا المشركين جميعا ولا تمسكوا منهم بعهد ولا
ذمة الا من كان من اهل الجزية واعطاها عن صغار والظاهر هو الاول وقيل معناه قاتلوهم خلفا بعد سلف كما انهم يخلف بعضهم
بعضا فى قتالكم عن الاصم واعلموا ان الله مع المتقين بالنصرة والولاية وفى هذه الاية دلالة على ان الاعتبار فى السنين بالشهور القمرية
لا بالشمسية والاحكام الشرعية معلقة بها وذلك لما علم الله سبحانه فيه من المصلحة ولسهولة معرفة ذلك عن الخاص والعام
قوله تعالى إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ
زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ٤ آية القراءة قرا ابو جعفر النسي زيادة بالتشديد من غير همز وقرا جعفر بن محمد
والزهري النسيء بالمد والهمز وقرا يضل به بضم الياء وفتح الضاد اهل الكوفة غير ابي بكر وقرا يضل بضم الياء وكسر الضاد او فيه من طريق
ابن مقسم عن ابي عمرو ورويس عن يعقوب والباقون بفتح الياء وكسر الضاد الحجة قال ابو علي النسيء مصدر كالنذير والنكير وعذير الحي ولا يجوز
ان يكون فعيلا بمعنى مفعول كما قال بعض الناس لانه ان حمل على ذلك كان معناه انما المؤخر زيادة فى الكفر والمؤخر الشهر وليس الشهر
نفسه بزيادة فى الكفر وانما الزيادة فى الكفر تاخير حرمة الشهر الى شهر آخر ليست له تلك الحرمة فاما نفس الشهر فلا واما ما يحكى من النسي
بالياء فذلك يكون على ابدال الياء من الهمزة ولا اعلمها لغة فى التاخر كما ان ارجيت لغة فى ارجأت وما روى من النسي بتشديد الياء
فعلى تخفيف الهمزة وليس هذا القلب مثل هذا القلب فى النسي بالياء لان النسي بتشديد الياء على وزن فعيل تخفيف قياسي كان
مغرده فى مفروده تخفيف قياسى وليس النسيء كذلك وذكر ابن جنى فيه ثلثة اوجه احدها ان يكون اراد النسي ثم خفف بان ابدلت الهمزة
ياء كما قال الشاعر اهبى التراب فوقه ابيانا اراد هباء والثانى ان يكون فعلا من نسيت لان النسيء اذا اخر فكانه منسي والثالث وفيه
الصيغة ان يكون اراد النسيء على فعيل ثم خفف وادغم فصار النسي ثم قصر فعيلا بحذف يائه فصار نسى اسكن عين فعل فصار نسى
كما قال فى سميح سمح وفى رطيب رطب وفى جذيب جذب فاما فى قوله يضل فليس فى يضل اشكال ولا فى يضل لان المضل لغيره ضال
بفعله اضلال غيره فاما يضل فالمعنى فيه ان كبراءهم واشرافهم يضلونهم بحملهم على هذا والتاخير فى الشهور وفى الشواذ يضل بفتح الياء
والضاد وهذه لغة اعنى ضللت اضل اللغة قال ابو زيد نسأت الابل فى ظمئها يوما او يومين او اكثر من ذلك والمصدر النسيء يقال
نسأت الابل عن الحوض وانسأتها نسيا اذا اخرتها عنه والمواطاة الموافقة يقال واطى فى الشعر اذا قال بيتين على قافية واحدة واوطأ
مثله المعنى لما قدم سبحانه ذكر السنة والشهر عقبه بذكر ما كانوا يفعلونه من النسيء فقال انما النسيء زيادة فى الكفر يعنى تاخير الاشهر
الحرم عما رتبها الله سبحانه عليه وكانت العرب تحرم الشهور الاربعة وذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم واسمعيل وهم كانوا اصحاب
حروب وغارات فربما كان يشق عليهم ان يمكثوا ثلثة اشهر متواليات لا يغيرون فيها فكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر فيحرمونه ويستحلون
المحرم فيمكثون كذلك زمانا ثم يحول التحريم الى المحرم ولا يفعلون ذلك الا فى ذى الحجة قال ابن عباس ومعنى قوله زيادة فى الكفر انهم
احلوا ما حرم الله وحرموا ما احل الله قال الفراء والذي كان يقوم به رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان رئيس الموسم فيقول انا الذي
لا اعاب ولا اخاب ولا يرد لي قضاء فيقولون نعم صدقت انسئنا شهرا واخر عنا حرمة المحرم واجعلها فى صفر واحل المحرم فيفعل ذلك
والذى كان ينساها حين جاء الاسلام جنادة بن عوف بن امية الكنانى قال ابن عباس اول من سن النسي عمرو بن يحيى بن قمعة بن خندب

ع ١١ النسي مخففا على وزن الهدي بغير همز وروي مثل ذلك عن شبل عن ابن كثير والباقون م

وقال

وقال ابن اسلم رجل من بني كنانة يقال له القلمس كان يقول اني قد نسأت المحرم العام وهما العام صفران فاذا كان العام القابل قضينا
وجعلناهما محرمين قال شاعرهم ومنا ناسي الشهر القلمس وقال الكميت ونحن الناسئون على معد شهورهم الحلال نجعلها حراما قال مجاهد
كان المشركون يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك في الشهور حتى وافقت
الحجة التي قبل حجة الوداع في ذي القعدة ثم حج النبي صلى الله عليه وآله في العام القابل حجة الوداع فوافقت ذي الحجة فذلك حين قال النبي
صلى الله عليه وآله في خطبته الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلثة
متواليات ذو القعدة وذو الحجة ويطلق النسيء يضل به الذين كفروا اي يضل بهذا النسيء الذين كفروا ومن قرأ بضم الياء فمعناه يضلون به غيرهم
واضلالهم انهم فعلوا ذلك ليحللوا للناس الاشهر الحرم التي حرم الله القتال فيها فاوجب الحج في بعضها فيستحلون ترك الحج في الوقت
الذي هو واجب فيه ويوجبونه في الوقت الذي لا يجب فيه وجوزوا ذلك عليهم حتى ضلوا باتباعهم يحلونه عاما ويحرمونه عاما اي يجعلون
الشهر الحرام حلالا اذا احتاجوا الى القتال فيه يجعلون الشهر الحرام حلالا ويقولون شهر بشهر واذا لم يحتاجوا الى القتال لم يفعلوا ذلك
ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله معناه انهم لم يحلوا شهرا من الحرام الا حرموا مكانه شهرا من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال
الا احلوا مكانه شهرا من الحرام ليكون موافقة في العدد وذلك المواطاة زين لهم سوء اعمالهم اي زينت لهم انفسهم او زين لهم الشيطان
سوء اعمالهم عن الحسن وقيل معناه استحسنوا ذلك بهواهم والله لا يهدي القوم الكافرين ثم تفسير قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي
الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ •
اتيان اللغة النفر الخروج الى الشيء لامر يهيج عليه ومنه نفور الدابة يقال نفرت الدابة نفورا ونفر الى الثغر نفرا ونفيرا والتثاقل تعاطي
ثقل النفس ومثله التباطي وضده التسرع والمتاع الانتفاع بما يظهر للحواس ومنه قولهم تمتع بالرياض والمناظر الحسان ويقال للاشياء
التي لها اثمان متاع تشبيها به والاستبدال جعل احد الشيئين بدل الاخر مع الطلب له الاعراب اثاقلتم انما هو تثاقلتم واصله تفاعلتم ادغمت
التاء في الثاء لمناسبتها لها ثم ادخلت الف الوصل ليمكن الابتداء بها ومثله اداركوا وليتابعه في قول الشاعر تولي الضجيع اذا ما استافها
خصرا عذب المذاق اذا ما اتابع القبل النزول لما رجع رسول الله صلى الله عليه من الطائف امر بالجهاد لغزوة الروم وذلك في زمان ادراك
الثمار فاحبوا المقام في المسكن والمال وشق عليهم الخروج الى القتال وكان عم قل ما يخرج في غزوة الا كنى عنها وورى بغيرها الا غزوة
تبوك لبعد مسافتها وكثرة العدو ليتأهب الناس فاخبرهم بالتي يريد فلما علم الله سبحانه تثاقل الناس انزل الاية المعنى ثم عاتب
سبحانه المؤمنين في التثاقل عن الجهاد فقال يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم اي اذا دعاكم رسول الله صم وقال لكم انفروا في سبيل الله
اي اخرجوا الى مجاهدة المشركين وهو هاهنا غزوة تبوك عن الحسن ومجاهد اثاقلتم الى الارض اي تثاقلتم وملتم الى الاقامة في الارض
التي انتم عليها عن الجبائي وهذا الاستبطاء مخصوص بنفر من المؤمنين لان جميعهم لم يتثاقلوا عن الجهاد فهو عموم اريد به الخصوص بدليل
ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة هذا استفهام يراد به الانكار ومعناه اثرتم الحيوة الدنيا الفانية على الاخرة الباقية في النعيم الدائم
فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل اي فما يحصل للدنيا ومقاصدها في فوائد الاخرة ومقاصدها الا قليل لانقطاع هذه ودوام تلك
ثم عقبه سبحانه بالوعيد والتهديد فقال الا تنفروا يعذبكم الله عذابا اليما معناه ان لم تخرجوا الى القتال الذي دعاكم اليه الرسول يعذبكم
الله عذابا مولما في الاخرة وقيل في الدنيا ويستبدل بكم قوما غيركم لا يتخلفون عن الجهاد وقيل هم ابناء فارس عن سعيد بن جبير وقيل
اهل اليمن عن ابي روق وقيل هم الذين اسلموا بعد نزول هذه الاية عن الجبائي ولا تضروه شيئا اي ولا تضروا الله بهذا القعود شيئا
لانه غني بنفسه لا يحتاج الى شيء عن الحسن وابي علي وقيل معناه ولا تضروا الرسول شيئا لان الله تعالى عصمه عن جميع الناس وينصره
بالملئكة او بقوم آخرين من غير الملئكة والله على كل شيء قدير فهو القادر على الاستبدال بكم وعلى غير ذلك من الاشياء قال الزجاج وهذا
وعيد شديد في التخلف عن الجهاد قوله تعالى إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ
لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى

وَكَلِمَةُ اللّٰهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ آية القراءة قرا يعقوب وحده وكلمة الله بالنصب والباقون بالرفع الحجة من نصب
عطفه على قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى اى وجعل كلمة الله هى العليا ومن رفع استانف وهو ابلغ لانه يفيد ان كلمة الله هى العليا على
كل حال الاعراب ثانى اثنين نصب على الحال وللعرب فى هذا مذهبان احدهما قولهم هذا ثانى اثنين وثالث ثلثة ورابع اربعة وخامس
خمسة اى احد اثنين واحد ثلثة واحد اربعة واحد خمسة والاخر قولهم ثالث اثنين وخامس اربعة فالاول اضافه حقيقية محضه
والاخر اضافه غير محضه اذ هو فى تقدير الانفصال اذ هما فى الغار بدل من قوله اذ اخرجه الذين كفروا وضع احد الزمانين موضع الاخر لتقاربهما
المعنى ثم اعلمهم الله سبحانه انهم ان تركوا نصرة رسوله لم يتضرر والنبى صلى الله عليه وآله على قتال العدو وفقد فعل به النصر اذ اخرجه الذين
كفروا من مكه يريد المدينة ثانى اثنين يعنى انه كان هو وابو بكر فى الغار وليس معهما ثالث اى وهو واحد اثنين ومعناه فقد نصره الله
منفردا الامن ابى بكر والغار الثقب العظيم فى الجبل واراد به هنا غار ثور وهو جبل بمكة اذ يقول لصاحبه لا تحزن اى اذ يقول الرسول
لابى بكر لا تحزن اى لا تخف ان الله معنا يريد انه مطلع علينا عالم بحالنا فهو يحفظنا وينصرنا قال الزهرى لما دخل رسول الله صلى الله
عليه وآله الغار ارسل الله زوجا من حمام حتى باضا فى اسفل الثقب والعنكبوت حتى نسج بيتا فلما جاء سراقة بن مالك فى طلبهما فراى
بيض الحمام وبيت العنكبوت قال لو دخله احد لانكسر البيض وتفسخ النسج فانصرف وقال النبى صلى الله عليه وآله اللهم اعم ابصارهم
فعميت ابصارهم عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار وقال ابو بكر لو نظروا الى اقدامهم لراونا وروى على بن ابراهيم بن
هاشم قال كان رجل من خزاعه فيهم يقال له ابو كرز فما زال يقفوا اثر رسول الله ص حتى وقف بهم على باب الحجر فقال هذه قدم محمد
هى والله اخت القدم التى فى المقام وقال هذه قدم ابى قحافة او ابنه وقال ما جازوا هذا المكان اما ان يكونوا قد صعدوا الى السماء
او دخلوا فى الارض وجاء فارس من الملائكة فى صورة الانس فوقف على باب الغار وهو يقول اطلبوه فى هذه الشعاب فليس هاهنا
وكان العنكبوت نسجت على باب الغار ونزل رجل من قريش فبال على باب الغار فقال ابو بكر قد ابصرونا يا رسول الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وآله لو راونا ما استقبلونا فانزل الله سكينته عليه يعنى على محمد ص اى القى فى قلبه ما سكن به وعلم انهم غير واصلين اليه
عن الزجاج وايده اى قواه ونصره بجنود لم تروها يريد بملائكة يضربون وجوه الكفار وابصارهم عن ان يروه وقيل معناه قواه بالملئكة
يدعون الله تعالى عن ابن عباس وقيل معناه واعانه بالملائكة يوم بدر اخبر الله سبحانه انه صرف كيد اعدائه وهو فى الغار ثم اظهر نصره
بالملائكة يوم بدر عن مجاهد والكلبى وقال بعضهم يجوز ان يكون الهاء التى فى عليه راجعا الى ابى بكر وهذا بعيد لان الضماير قبل هذا
وبعده تعود الى النبى ص بالاخلاف فذلك فى قوله الا تنصروه فقد نصره الله وفى قوله اذ اخرجه وقوله لصاحبه وفى قوله فيما بعده وايده
فكيف يتخللها ضمير عايد الى غيره هذا وقد قال سبحانه فى هذه ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وقال فى سورة الفتح فانزل الله
سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وقد ذكرت الشيعة فى تخصيص النبى ص فى هذه الاية بالسكينة كلاما رايناه عدم ذكره احرى
لئلا ينسبنا ناصب الى شئ وجعل كلمة الذين كفروا السفلى معناه ان الله سبحانه جعل كلمتهم نازلة دنيه واراد به انه سفل وعيدهم للنبى
وتخويفهم اياه وابطله بان نصره عليهم ويعبر عن ذلك بانه جعل كلمتهم السفلى وكلمة الله هى العليا اى هى المرتفعة المنصورة بغير جعل
جاعل لانه لا يجوز ان يدعو الى خلاف الحكمة وقيل ان كلمة الكفار كلمة الشرك وكلمة الله هى كلمة التوحيد وهو قول لا اله الا الله فمعناه
جعل كلمة الكفار السفلى بان جعلهم اذلاء اسفلين واعلى كلمة الله بان اعز الاسلام والمسلمين والله عزيز فى انتقامه من اهل الشرك
حكيم فى تدبيره قوله تعالى انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝
لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ
أَنْفُسَهُمْ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ عَفَا اللّٰهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ۝
ثلث آيات القراءة فى الشواذ قراءة الاعمش لو استطعنا بضم الواو وقد مضى الكلام فيه فى اوايل سورة البقرة اللغة القاصد السهل
المقصد من غير طول لانه مما يقصد لسهولته وسمى العدل قصدا لانه مما ينبغى ان يقصد والشقة القطعة من الارض التى يشق ركوبها على
صاحبها لبعدها ويحتمل ان يكون الشق الذى هو الناحية من الجبل ويحتمل ان يكون من المشقة والشقة والسفر المسافة وقريش يضمون

لم يضره ذلك شيئا كما لم يضره قلة ناصره حين كان بمكة وهم به الكفار فتولى الله نصره فقال الا تنصروه فقد نصره الله معناه صح

عشر

ع ١٢

الشين وقيس يكسرونها وقريش يضمون العين من بعدت وقيس يكسرونها المعنى ثم امر سبحانه بالجهاد وبين تاكد وجوبه على العباد
فقال انفروا اي اخرجوا الى الغزو خفافا وثقالا اي شبابا وشيوخا عن الحسن ومجاهد وعكرمة والضحاك وغيرهم وقيل نشاطا وغير
نشاط عن ابن عباس وقتادة وقيل مشاغيل وغير مشاغيل عن الحكم وقيل اغنياء وفقراء عن ابي صالح وقيل اراد بالخفاف اهل العسرة
من المال وقلة العيال وبالثقال اهل الميسرة في المال وكثرة العيال عن الفراء وقيل معناه ركبانا ومشاة عن ابي عمرو وعطية العوفي
وقيل ذا صنعة وغير ذي صنعة عن ابن زيد وقيل عزابا ومتاهلين عن يمان والوجه ان يحمل على الجميع فيقال معناه اخرجوا خف عليكم او ثقل
على اي حال كنتم لان احوال الانسان لا تخلو من واحد هذه الاشياء وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله وهذا يدل على ان الجهاد بالنفس
والمال واجب على من استطاع بهما ومن لم يستطع على الوجهين فعليه ان يجاهد بما استطاع ذلكم خير لكم معناه ان الخروج والجهاد بالنفس
والمال خير لكم من التثاقل وترك الجهاد ان كنتم تعلمون ان الله تعالى صادق في وعده ووعيده وقيل معناه ان كنتم تعلمون الخير في الجملة
فاعلموا ان هذا خير قال السدي لما نزلت هذه الاية اشتد شانها على الناس فنسخها الله بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية لو كان
عرضا قريبا معناه لو كان ما دعوتهم اليه غنيمة حاضرة وسفرا قاصدا اي قريبا هينا وقيل قاصدا اي ذا قصد نحو تامر ولابن عن المبرد
وقيل سهلا متوسطا غير شاق لاتبعوك طمعا في المال ولكن بعدت عليهم الشقة اي المسافة يعني غزوة تبوك امروا فيها بالخروج الى الشام
وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم معناه ان هؤلاء سيعتذرون اليك في قعودهم عن الخروج ويحلفون بالله لو استطعنا اي
قدرنا وتمكنا من الخروج لخرجنا معكم ثم اخبر سبحانه انهم يهلكون انفسهم بما اسروه من الشرك وقيل باليمين الكاذبة والعذر الباطل لما
يستحقون عليهما من العذاب والله يعلم انهم لكاذبون في هذا الاعتذار والحلف وفي هذا دلالة على صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وآله
اذ اخبر انهم سيحلفون قبل وقوعه فحلفوا وكان مخبره على ما اخبر به وفيه ايضا دلالة واضحة على ان القدرة قبل الفعل لان هؤلاء لا
يخلوا اما ان يكونوا مستطيعين للخروج قادرين عليه ولم يخرجوا ولم يكونوا قادرين عليه وانما حلفوا لو انهم قدروا في المستقبل لخرجوا فان
كان الاول فقد ثبت ان القدرة قبل الفعل وان كان الثاني فقد اكذبهم الله تعالى في ذلك وبين انه لو حصل لهم الاستطاعة لما خرجوا
وفي ذلك ايضا وجوب تقدم القدرة على المقدور فان حملوا الاستطاعة قبل وجود الالة وعدة السفر فقد تركوا الظاهر من غير ضرورة فان
حقيقة الاستطاعة القدرة على انه لو كان عدم الالة والقدرة عذرا في التاخير فعدم القدرة احرى واولى ان يكون عذرا فيه ثم خاطب
النبي ص بما فيه بعض العتاب في اذنه لمن استاذنه في التخلف عن الخروج معه الى غزوة تبوك فقال عفا الله عنك لم اذنت لهم في التخلف
عنك قال قتادة وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما النبي صلى الله عليه وآله لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه
الله سبحانه كما تسمعون وهذا من لطيف المعاتبة بداه بالعفو قبل العتاب وهل كان هذا الاذن قبيحا ام لا قال الجبائي كان قبيحا ووقع
صغيرة لانه لا يقال في المباح لم فعلته وهذا غير صحيح لانه يجوز ان يقال فيما غيره افضل منه لم فعلته كما يقول القائل لغيره اذا رآه يعاتب
اخاه لم عاتبته وكلمته بما يشق عليه وكيف يكون اذنه لهم قبيحا وقد قال سبحانه في موضع آخر فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن
شئت منهم وقيل معناه ادام الله لك العفو لم اذنت لهؤلاء في الخروج لانهم استاذنوا فيه تملقا ولو خرجوا لتعلقوا بالخبال والفساد ولم
يعلم النبي صلى الله عليه وآله ذلك من سريرتهم عن ابي مسلم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين اي حتى تعلم من له العذر منهم
في التخلف ومن لا عذر له فيكون اذنك له على علم قال ابن عباس وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن يعرف المنافقين يومئذ
وقيل انه ع انما خيرهم بين الظعن والاقامة متوعدا لهم ولم ياذن لهم فاغتنم القوم ذلك وفي هذا اخبار من الله سبحانه انه كان الاولى
ان يلزمهم الخروج معه حتى اذا لم يخرجوا معه ظهر نفاقهم لانه متى اذن لهم ثم تاخروا لم يعلم للنفاق كان تاخرهم ام لغيره وكان الذين
استاذنوه منافقين منهم جد بن قيس ومعتب بن قشير وهما من الانصار قوله تعالى لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ آيتان المعنى ثم بين سبحانه حال المؤمنين والمنافقين في الاستيذان فقال
لا يستاذنك اي لا يطلب منك الاذن في القعود عن الجهاد معك بالمعاذير الفاسدة وقيل معناه لا يستاذنك في الخروج لانه مستغن

عنه بدعائك الى ذلك بل يتأهب له عن ابي مسلم الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم المعنى في ان يجاهدوا
فحذف في فاقتضى الفعل والله عليم بالمتقين قال ابن عباس هذا تعيير للمنافقين حين استأذنوه في القعود عن الجهاد وعذر للمؤمنين في
قوله لم يذهبوا حتى يستأذنوه والمعنى انه لم يخرجهم من صفة المتقين الا لانه علم انهم ليسوا منهم انما يستأذنك في التاخر عن الجهاد والتخلف
عن القتال معك وقيل في الخروج لان المنافقين انما يستأذنون في الخروج تملقا ولا يتأهبون كما يتأهب المؤمنون عن ابي مسلم الذين لا يؤمنون
بالله اي لا يصدقون به واليوم الآخر يعني بالبعث والنشور وارتابت قلوبهم اي اضطربت وشكت فهم في ريبهم يترددون فهم في شكهم
يذهبون ويرجعون والتردد هو التصرف بالذهاب والرجوع مرات متقاربة مثل التحير واراد به المنافقين اي يتوقعون الاذن لشكهم
في دين الله وفيما وعد المجاهدين ولو انهم مخلصين لوثقوا بالنصر وبثواب الله فبادروا الى الجهاد ولم يستأذنوك فيه قوله تعالى

وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا
وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ
حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ

ثلث آيات اللغة العدة والاهبة والآلة نظاير والانبعاث الانطلاق
بسرعة في الامر فلان سبعث في الحاجة اي ليس له نفاذ فيها والتثبيط التوقف عن الامر بالتزهيد فيه ومثله التزهيب والخبال الفساد
والخبال الموت والخبال الاضطراب في الراي والخبل بسكون الباء وفتحها الجنون قال ابن لبيني لسم سد الابداء مخبولة العضد والايضاع
الاسراع في السير قال امرء القيس ارانا موضعين لحتم غيب ونسحر بالطعام وبالشراب وربما قالوا للراكب وضع بغير الف ووضعت
الناقة تضع وضعا ووضوعا واوضعتها ايضا قال يا ليتني فيها جذع احب فيها واضع خلالكم بينكم مشتق من التخلل وفي الحديث
تراصوا بين الصفوف لا يتخللكم الشياطين كانها نبات حذف والتقليب تصريف الشيء بجعل اعلاه اسفله بجعل حول قلب كانه يقلب
الاراء في الامور ويحولها المعنى ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء المنافقين فقال ولو ارادوا الخروج مع النبي صلى الله عليه وآله نصرة له
ورغبة في جهاد الكفار كما اراد المؤمنون ذلك لاعدوا له عدة اي لاستعدوا للخروج عدة وهو ما يعد لامر يحدث قبل وقوعه والمراد لاعدوا
اهبة الحرب من الكراع والسلاح لان امارة من اراد امرا ان يتأهب له قبل حدوثه ولكن كره الله انبعاثهم معناه ولكن كره الله خروجهم
الى الغزو لعلمه انهم لو خرجوا لكانوا يسعون بالنميمة بين المسلمين وكانوا عيونا للمشركين وكان الضرر في خروجهم اكثر من الفائدة فثبطهم
عن الخروج الذي عزموا عليه لا عن الخروج الذي امرهم به لان الاول كفر والثاني طاعة فلا ينبغي ان يقال كيف كره الله انبعاثهم بعدما
امر به في الاية الاولى لان امره بذلك على وجه الذب عن الدين ونية الجهاد وكره ذلك على جهة التخريب والفساد فقد كره غير ما امر به
ومعنى ثبطهم بطابهم وخذلهم لما يعلم منهم من الفساد وقيل اقعدوا مع القاعدين اي وقيل لهم اقعدوا مع النساء والصبيان ويحتمل
ان يكون القائلون لهم ذلك اصحابهم الذين نهوهم عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وآله للجهاد ويحتمل ان يكون ذلك من كلام
النبي صلى الله عليه وآله على وجه التهديد والوعيد لا على وجه الاذن ويجوز ان يكون ايضا على وجه الاذن لهم في القعود الذي عاتبه
الله تعالى عليه اذ كان الاولى ان لا يأذن لهم فيه ليظهر للناس نفاقهم قال ابو مسلم وهذا يدل على ان الاستيذان كان في الخروج وان
الاذن من النبي صلى الله عليه وآله لهم كان في الخروج لانه اذا كره الله سبحانه خروجهم واراد قعودهم فلا عتب عليه ولكنهم استأذنوا
في الخروج تملقا وارادة للفساد فاذن النبي صلى الله عليه وآله لهم فيه ولم يعلم ضمايرهم فلما علم الله تعالى ذلك من نياتهم منعهم من
الخروج اذ كره خروجهم ثم بين سبحانه وجه الحكمة في كراهة انبعاثهم وتثبيطهم عن الخروج فقال لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا
معناه ولو خرج هؤلاء المنافقون معكم الى الجهاد ما زادوكم بخروجهم الا شرا وفسادا وقيل مكرا وغدرا عن الضحاك وقيل يريد عجزا وجبنا
عن ابن عباس اي انهم يجبنونكم عن لقاء العدو بتهويل الامر عليكم ولاوضعوا خلالكم اي لاسرعوا في الدخول بينكم بالتضريب والافساد
والنميمة يريد يسعوا فيما بينكم بالتفريق بين المسلمين ويكون معناه ولاعدوا الابل وسطهم وقيل معناه ولاوضعوا ابلهم خلالكم يتخلل
الراكب الرجلين حتى يدخل بينهما فيقول ما لا ينبغي يبغونكم الفتنة لعدوا الابل وبطئكم ومعنى يبغونكم يبغون لكم او فيكم وقيل يطلبون
لكم المحنة باختلاف الكلمة وقيل معناه يبغونكم ان تكونوا مشركين والفتنة الشرك عن الحسن وقيل معناه يخوفونكم بالعدو ويخبرونكم

انكم مهزومون وان عدوكم سيظهر عليكم عن الضحاك وفيكم سماعون لهم اي وفيكم عيون للمنافقين ينقلون اليهم ما يسمعون منكم عن
مجاهد وابن زيد وقيل معناه وفيكم قابلون منهم عند سماع قولهم يريد ضعفة المسلمين عن قتادة وابن اسحق وجماعة والله عليم بالظالمين
اى بهؤلاء المنافقين الذين ظلموا انفسهم لما اضمروا عليه من العناد منهم عبد الله بن ابي وجد بن قيس واوس بن قيظي ثم اقسم سبحانه
فقال لقد ابتغوا الفتنة من قبل والفتنة اسم يقع على كل سوء وشر والمعنى لقد طلب هؤلاء المنافقين اختلاف كلمتكم وتشتت
اهوائكم وافتراق لوائكم من قبل غزوة تبوك اى فى يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابي باصحابه وخذل النبي صلى الله عليه وآله فصرف
الله عن المسلمين فتنتهم وقيل اراد بالفتنة صرف الناس عن الايمان والقاء الشبه الى ضعفاء المسلمين عن الحسن وقيل اراد بالفتنة الفتك
بالنبي صلى الله عليه وآله فى غزوة تبوك ليلة العقبة وكانوا اثنى عشر رجلا من المنافقين وقفوا على العقبة ليفتكوا بالنبي صلى الله عليه
وآله عن سعيد بن جبير وابن جريج وقلبوا لك الامور اى احتالوا فى توهين امرك وايقاع الاختلاف بين المسلمين وفى قتلك بكل
ما امكنهم فيه فلم يقدروا عليه وقيل انهم كانوا يريدون فى كيده وجها من التدبير فاذا لم يتم فيه تركوه وطلبوا المكيدة فى غيره فهذا تقليب
الامور عن ابي مسلم حتى جاء الحق معناه حتى جاء النصر والظفر الذي وعده الله وظهر امر الله اى دينه وهو الاسلام وظفر المسلمين على
الكفار على رغمهم وهم كارهون اى فى حال كراهتهم لذلك فهى جملة فى موضع الحال قوله تعالى وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا
تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ۝ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ
أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ۝ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝
قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا
إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ۝ اربع ايات القرآءة القرآءة المشهورة لن يصيبنا وقراءة طلحة بن مصرف قل هل يصيبنا وكذلك هو فى مصحف ابن مسعود
النزول قيل ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما استنفر الناس الى تبوك فقال انفروا لعلكم تغنمون بنات الاصفر فقام جد بن قيس
اخو بني سلمة من بني الخزرج فقال يا رسول الله ايذن لى ولا تفتني ببنات الاصفر فانى اخاف ان افتتن بهن فقال قد اذنت لك فانزل
الله تعالى ومنهم من يقول ايذن لى بالامان عن ابن عباس ومجاهد فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ص لبني سلمة من سيدكم قالوا
جد بن قيس غير انه بخيل جبان فقال ع واى داء ادوى من البخل بل سيدكم الفتى الابيض الجعد بشر بن البراء بن معرور فقال فى ذلك
حسان بن ثابت وقال رسول الله صلى الله عليه وآله والقول لاحق بمن قال منا من تعدونه سيدا فقلنا له جد بن قيس على الذي
نبخله فينا وان كان انكدا فقال واي الداء ادوى من الذي رميتم به جدا وعالا بها يدا وسود بشر بن البراء بجوده وحق لبشر ذي الندى
ان يسود اذا ما اتاه الوفد انهب ماله وقال خذوه انه عائد غدا المعنى ومنهم اى ومن المنافقين من يقول ائذن لى فى القعود عن
الجهاد ولا تفتني ببنات الاصفر عن ابن عباس ومجاهد قال الفراء سميت الروم اصفر لان حبشيا غلب على ناحية الروم وكان له بنات
قد اخذن من بياض الروم وسواد الحبشة فكن صفرا لعسا وقيل معناه لا تؤثمني اى لا توقعني فى الاثم بالعصيان بمخالفة امرك فى
الخروج الى الجهاد وذلك غير متيسر لي عن الحسن وقتادة والجبائي والزجاج الا فى الفتنة سقطوا الا فى العصيان والكفر وقعوا بمخالفتهم
امرك فى الخروج الى الجهاد وقيل معناه لا تعذبني بتكليف الخروج فى شدة الحر الا قد سقطوا فى حر اعظم من ذلك هو حر نار جهنم عن
ابي مسلم ويدل عليه قوله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم اشد حرا وان جهنم لمحيطة بالكافرين اى تحيط بهم فلا مخلص لهم منها ان
تصبك حسنة تسؤهم هذا خطاب من الله سبحانه للنبي صلى الله عليه وآله ومعناه ان تلك نعمة من الله وفتح وغنيمة عمّ المنافقين
وان تصبك مصيبة معناه وان تصبك شدة ونكبة وآفة فى النفس او المال يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل اي اخذنا حذرنا
واحترزنا بالقعود من قبل هذه المصيبة عن مجاهد ومعناه اخذنا امرنا من مواضع الهلكة وسلمنا مما وقعوا فيه ويتولوا وهم فرحون
اي رجعوا الى بيوتهم فرحين بما اصاب المؤمنين من الشدة قل يا محمد لهم لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا اي كلما يصيبنا من خير
او شر فهو مما كتبه الله فى اللوح المحفوظ من امرنا وليس على ما تظنون وتتوهمون من اهمالنا من غير ان يرجع امرنا الى تدبير عن الحسن
وقيل معناه لن يصيبنا فى عاقبة امرنا الا ما كتبه الله لنا فى القرآن من النصر الذى وعدنا وان يظفرنا بالاعداء فتكون النصرة حسنى لنا

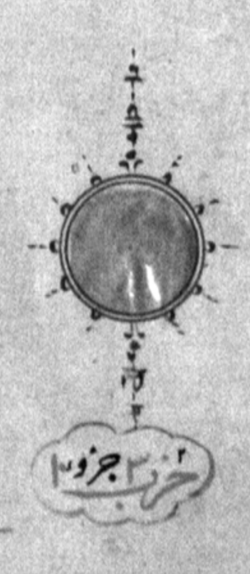
عشر

او نقتل فتكون الشهادة حسنى لنا ايضا اى فقد كتب الله لنا ما يصيبنا وعلمنا ما لنا فيه من الحظ عن الزجاج والجبائى هو مولينا اى هو مالكنا ونحن
عبيده وقيل هو ولينا وناصرنا يحفظنا وينصرنا ويتولى حياطتنا ودفع الضر عنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون هذا امر من الله سبحانه للمؤمنين بالتوكل
عليه والرضا بتدبيره وتقديره فليتوكل على الله المؤمنون قل يا محمد لهؤلاء المنافقين هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين معناه هل تنتظرون
لنا الا احدى الخصلتين الجميلتين والنعمتين العظيمتين اما الغلبة والغنيمة فى العاجل واما الشهادة مع الثواب الدائم فى الآجل عن ابن عباس
والحسن ومجاهد وغيرهم وهل وان كان حرف الاستفهام فمعناه هنا التقريع بالتربص المؤدى صاحبه الى ما يكرهه من حيث انه فوز
خصمه ومن هلاكه ونجاة خصمه ومن شقوته وسعادة خصمه ونحن نتربص بكم اى ونحن نتوقع بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا
اى يوقع الله بكم عذابا من عنده يهلككم به او بان ينصرنا عليكم فيقتلكم بايدينا فتربصوا صورته صورة الامر والمراد به التهديد كقوله اعملوا ما شئتم
لانه لو كان امرا لهم لكانوا فى تربصهم بالمؤمنين القتل مطيعين لله انا معكم متربصون اى منتظرون اما الشهادة والجنة واما الغنيمة والاجر لنا
واما البقاء فى الذل والخزى واما الموت او القتل مع المصير الى النار لكم وهذه الآية تفسير لقوله قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وقيل معناه
فتربصوا هلاكنا فانا متربصون هلاككم وقيل تربصوا مواعيد الشيطان فى ابطال دين الله ونحن متربصون مواعيد الله فى اظهار دينه ونصرة
نبيه واستيصال مخالفيه قوله تعالى قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ
تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ * فَلَا
تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ * ثلث ايات القراءة
قرأ اهل الكوفة غير عاصم ان يقبل بالياء والباقون بالتاء الحجة وجه القراءة بالتاء ان الفعل مسند الى مؤنث فى اللفظ ووجه الياء ان
التانيث ليس بحقيقى فجاز ان يذكر كما جاء فمن جاءه موعظة من ربه اللغة الطوع الانقياد بارادة لم يحمل عليها والكراهة فعل الشئ بكراهة حمل
عليها والمنع امر يضاد الفعل وينافيه وهو على وجهين منع ان يفعل ومنع ان يفعل به فهؤلاء منعوا ان يفعل بهم قبول نفقتهم والزهق الخروج
بصعوبة واصله الهلاك وكل هالك زاهق زهق يزهق زهوقا والزاهق من الدواب السمين الشديد السمن لانه هالك بثقل بدنه فى السير
والكد وزهق فلان بين ايدى القوم اذا ذهب سابقا لهم حتى يهلك منهم والاعجاب السرور بما يتعجب منه يقال اعجبنى حديثه اى سرنى الاعراب
انفقوا طوعا او كرها لفظه امر ومعناه معنى الشرط والجزاء المعنى ان انفقتم طائعين او مكرهين لن يتقبل منكم ومثله فى الشعر قول كثير اسيئى بنا او
احسنى لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت فلم يأمرها بالاساءة ولكن اعلمها ان اساءت او احسنت فهو على عهدها فكانه قال ان احسنت او
اساءت لم تلامى قال الزجاج فان قال قائل كيف يكون الامر فى معنى الجزاء قيل له اذا كان فى الكلام دليل عليه جاز كما يكون لفظ الخبر فى المعنى
الامر والدعاء كقولك غفر الله لزيد ورحمه ومعناه اغفر له وارحمه وقوله لن تقبل فى موضع نصب وتقديره من ان تقبل وانهم كفروا بالله فى موضع
رفع المعنى ما منعهم من قبول نفقاتهم الا كفرهم ويجوز ان يكون التقدير وما منعهم الله الا انهم كفروا المعنى ثم بين سبحانه ان هؤلاء المنافقين
لا ينتفعون بما ينفقونه مع اقامتهم على الكفر فقال قل يا محمد لهؤلاء انفقوا طوعا او كرها اى طائعين او مكرهين لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما
فاسقين معناه انما لم يتقبل منكم لانكم كنتم متمردين عن طاعة الله والله سبحانه انما يتقبل من المؤمنين المخلصين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم
الا انهم كفروا بالله وبرسوله وذلك مما يحبط الاعمال ويمنع من استحقاق الثواب عليها ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى اى متثاقلين والمعنى
لم يؤدوها على الوجه الذى امروا ان يؤدوها عليه ولا ينفقون الا وهم كارهون كذلك لانهم انما يصلون وينفقون للرياء والتستر بالاسلام
لا لابتغاء مرضات الله تعالى وفى هذا دلالة على ان الكفار مخاطبون بالشرايع لانه سبحانه ذمهم على ترك الصلوة والزكوة ولولا وجوبهما عليهم
لم يلزموا بتركهما فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الخطاب للنبى صلى الله عليه وآله والمراد جميع المؤمنين وقيل المراد لا يعجبك ايها السامع
اى لا تأخذ بقلبك ما تراه من كثرة اموال هؤلاء المنافقين او كثرة اولادهم ولا تنظر اليهم بعين الاعجاب انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة
الدنيا قد ذكر معناه وجوه احدها ان فيه تقديما وتاخيرا اى لا تسرك اموالهم واولادهم فى الحيوة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة
عن ابن عباس وقتادة فيكون الظرف على هذا متعلقا باموالهم واولادهم ومثله قوله تعالى فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ثم
تول عنهم وثانيها انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا بالتشديد عليهم فى التكليف وامرهم بالانفاق فى الزكوة والغزو فيؤدونها على كره

خمس

منهم ومشقة اذ لا يرجون به ثوابا فى الاخرة فيكون ذلك عذابا لهم عن الحسن والبلخى وثالثها ان معناه انما يريد الله ليعذبهم بحفظها والمصايب فيها مع حرمان المنفعة بها عن ابن زيد ورابعها ان معناه انما يريد الله ليعذبهم بها فى الدنيا اى بسبى الاولاد وغنيمة الاموال عند تمكن المؤمنين من اخذها وغنمها فيتحسرون عليها ويكون ذلك جزاء على كفرهم عن الجبائى وخامسها ان المراد يعذبهم بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والحزن عليها وكل هذا عذاب وكذلك خروجهم عنها بالموت لانهم يفارقونها ولا يدرون الى ماذا يصيرون واللام فى قوله ليعذبهم يحتمل ان يكون بمعنى ان ويحتمل ان يكون لام العاقبة والتقدير انما يريد الله ان يملى لهم فيها ليعذبهم وتزهق اى تهلك وتذهب بالموت وهم كافرون جملة فى موضع الحال والارادة تعلقت بزهوق انفسهم لا بالكفر وهذا كما يقول اريد ان اضربه وهو عاص فالارادة تعلقت بالضرب لا بالعصيان قوله تعالى ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون • لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون • ايتان القراءة قرا يعقوب وسهل او مدخلا بفتح الميم وهو قراءة ابن ابى اسحق والحسن والباقون مدخلا وفى الشواذ قراءة سلمة بن محارب او مدخلا بضم الميم وسكون الدال وقراءة الاعمش بتشديد الدال والخاء وقرائتى وهم يجمزون رواه الاعمش عنه الحجة اما قوله فى القراءة المشهورة فاصله مدتخلا لكن التاء تبدل بعد الدال والالان التاء مهموسة والدال مجهورة والتاء والدال من مكان واحد فكان الكلام من وجه واحد اخف ومن قرا مدخلا فهو من دخل يدخل مدخلا ومن قرا مدخلا فهو من ادخلته مدخلا قال الحمد لله ممسانا ومصبحنا بالخير صبحنا ربى ومسانا ومن قرا مدخلا بتشديد الدال والخاء جعله متدخلا ثم ادغم التاء فى الدال وفى رواية الاعمش انه سمع انسانا يقرا يجمزون فقال وما يجمزون فقال يجمزون ويجمحون ويشتدون واحد اللغة الفرق انزعاج النفس بتوقع الضرر واصله من مفارقة الامن الى حال الانزعاج والملجأ الموضع الذى يتحصن فيه ومثله المعقل والموئل والمعتصم والمعتصر نظاير والمغارات جمع مغارة كمفعلة من غار الشىء فى الشىء يغور اذا دخل فيه فى موضع لستره والغار النقب فى الجبل والمدخل المسلك الذى يتدسس بالدخول فيه وهو مفتعل والجماح مضى المار مسرعا على وجه لا يرده شىء عنه وقيل هو المضى بين الشيئين قال مهلهل لقد جمحت جماحا فى دمائهم حتى رايت ذوى احسابهم خمدوا والجموح الراكب هواه قال خلعت عذارى جامحا ما يردنى عن البيض امثال الدمى زجر زاجر المعنى ثم اظهر سبحانه من اسرار القوم فقال ويحلفون بالله انهم لمنكم اى يقسم هؤلاء المنافقون انهم لمن جملتكم ايها المؤمنون اى مؤمنون امثالكم وما هم منكم اى ليسوا مؤمنين بالله كما انتم كذلك ولكنهم قوم يفرقون اى يخافون القتل والاسر لم يظهروا الايمان لو يجدون ملجأ اى لو يجدون هؤلاء المنافقون حرزا عن ابن عباس وقيل حصنا عن قتادة او مغارات اى غيرانا فى الجبال عن ابن عباس وقيل سراديب عن عطا او مدخلا اى موضع دخول يأوون اليه عن الضحاك وقيل نفقا كنفق اليربوع عن ابن زيد وقيل اسرابا فى الارض عن ابن عباس وابى جعفر عليه السلم وقيل وجها يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وآله عن الحسن لولوا اليه اى لعدلوا اليه وقيل لاعرضوا عنكم اليه وهم يجمحون اى يسرعون اليه فى الذهاب اليه ومعنى الاية انه من خبث دخلتهم وسوء سريرتهم وحرصهم على اظهار ما فى نفوسهم من النفاق والكفر اصابوا شيئا من هذه الاشياء لالتجأوا اليه ولجاهروا بما يضمرونه ويسرونه واعرضوا عنك قوله تعالى ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون • ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون • ايتان القراءة قرا يعقوب يلمزك بضم الميم وهى قراءة الحسن والاعرج والباقون بكسر الميم اللغة يقال لمزت الرجل والمزه اذا عبته وكذلك همزته قال الشاعر اذا لقيتك تبدى لى مكاشرة وان تغيبت كنت الهامز اللمزة وقيل الهمز العيب بكسر العين وغمزها اى بكسر عينه اذا عابه واللمز العيب على وجه المسارة وقيل لاعرابى اتهمز الفارة فقال الهر يهمزها فاوقع الهمزة على الاكل والهمز كاللمز النزول ابو سعيد الخدرى قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم قسما وقال ابن عباس كانت غنايم هوازن يوم حنين اذ جاءه ابن ابى الخويصرة التميمى وهو حرقوص بن زهير اصل الخوارج فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل فقال عمر يا رسول الله ائذن لى فاضرب عنقه فقال النبى صلى الله عليه وآله دعه فان له اصحابا يحتقر احدكم صلوته مع صلوتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر فى قذذه فلا يوجد فيه شىء ثم ينظر فى رصافه فلا يوجد فيه شىء ثم ينظر فى نصله فلا يوجد فيه شىء قد سبق الفرث والدم صاحب رايتهم رجل

انفسهم



حزب ٣ جزو ١٠

ع ١٣

اسود فی احدی قدمیه او قال فی احدی یدیه مثل ثدی المراة او مثل البضعة تدردر یخرجون علی غرة من الناس وفی حدیث اخر فاذا خرجوا
فاقتلوهم ثم اذا خرجوا فاقتلوهم فنزلت ومنهم من یلمزک الایة قال ابو سعید الخدری اشهد انی سمعت من رسول الله ص واشهد ان علیا ع
حین قتلهم وانا معه جیء بالرجل علی النعت الذی نعته رسول الله صلی الله علیه وآله رواه الثعلبی بالاسناد فی تفسیره وقال الکلبی نزلت
فی المؤلفة قلوبهم وهم المنافقون قال رجل منهم یقال له ابن الجواظ لم یقسم بالسویة فانزل الله الایة وقال الحسن اتاه رجل وهو یقسم فقال
الست تزعم ان الله تعالی یأمرک ان تضع الصدقات فی الفقراء والمساکین فقال بلی فقال ما بالک تضعها فی رعاة الغنم فقال ان نبی الله موسی ع
کان راعی غنم فلما ولی الرجل قال ع احذروا هذا وقال ابن زید قال المنافقون ما یعطیها محمد الا من احب ولا یؤثر بها الا هواه فنزلت الآیة
المعنی ثم اخبر سبحانه عنهم فقال ومنهم ای ومن هؤلاء المنافقین من یلمزک فی الصدقات ای یعیبک ویطعن علیک فی امر الصدقات
فان اعطوا منها ای من تلک الصدقات رضوا واقروا بالعدل وان لم یعطوا منها اذا هم یسخطون ای یغضبون ویعیبون وقال ابو عبد الله ع
اهل هذه الایة اکثر من ثلثی الناس ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله معناه ولو ان هؤلاء المنافقین الذین طلبوا منک الصدقات
وعابوک بها رضوا لما اعطاهم الله ورسوله وقالوا مع ذلک حسبنا الله ای کفانا الله او کافینا الله سیؤتینا الله من فضله ورسوله ای سیعطینا
الله من فضله وانعامه ویعطینا رسوله مثل ذلک وقالوا انا الی الله راغبون فی ان یوسع علینا من فضله فیغنینا عن اموال الناس وقیل
معنی راغبون الیه فیما یعطینا من الثواب ویصرف عنا من العذاب وجواب لو محذوف وتقدیره لکان خیرا لهم واعود علیهم وحذف الجواب
فی هذا الموضع ابلغ علی ما تقدم بیانه قوله تعالی ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ
وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ آیة الاعراب قال الزجاج فریضة
منصوب علی التوکید لان قوله انما الصدقات لهؤلاء کقولک فرض الله الصدقات لهؤلاء المعنی ثم بین سبحانه لمن الصدقات فقال
انما الصدقات للفقراء والمساکین ومعناه لیست الصدقات التی هی زکوات الاموال الا لهؤلاء واختلف فی الفرق بین الفقراء والمساکین
علی قولین احدهما انهما صنف واحد وانما ذکر الصفتان تاکیدا للامر وهو قول ابی علی الجبائی والیه ذهب ابو یوسف ومحمد وقالا فیمن قال
ثلث مالی للفقراء والمساکین ولفلان بن فلان نصف الثلث والاخر للفقراء والمساکین لانهما صنف واحد والاخر وهو قول الاکثرین
انهما صنفان وهو قول الشافعی وابی حنیفة فانه قال فی المسئلة المذکورة ان لفلان ثلث الثلث وثلثی الثلث للفقراء والمساکین ثم
اختلف هؤلاء علی اقوال فقیل ان الفقیر هو المتعفف الذی لا یسأل والمسکین الذی یسأل عن ابن عباس والحسن والزهری ومجاهد وذهبوا
الی ان المسکین مشتق من المسکنة بالمسئلة وروی ذلک عن ابی جعفر علیه السلام وقیل ان الفقیر الذی یسأل والمسکین الذی لا یسأل
وجاء فی الحدیث ما یدل علی ذلک فقد روی عن النبی ص انه قال لیس المسکین الذی ترده الاکلة والاکلتان والتمرة والتمرتان ولکن المسکین
الذی لا یجد غنی فیغنیه ولا یسأل الناس شیئا ولا یفطن به فیتصدق علیه وقیل ان الفقیر هو الزمن المحتاج والمسکین هو الصحیح المحتاج
عن قتادة وقیل الفقراء المهاجرون والمساکین غیر المهاجرین عن الضحاک وابرهیم ثم اختلفوا من وجه اخر فقیل ان الفقیر اسوء حالا من
المسکین فان الفقیر هو الذی لا شیء له والمسکین الذی له بلغة من العیش لا تکفیه والیه ذهب الشافعی وابن الانباری واحتجا بقوله تع
اما السفینة فکانت لمساکین یعملون فی البحر وبان الفقیر مشتق من فقار الظهر فکانه لحاجته قد کسرت فقار ظهره وقیل ان المسکین
اسوء حالا من الفقیر فان الفقیر له بلغة من العیش والمسکین الذی لا شیء له وهو قول ابو حنیفة والقتیبی وابن درید وائمة اللغة
وانشد یونس اما الفقیر الذی کانت حلوبته وفق العیال فلم یترک له سبد فسماه فقیرا وجعل له حلوبة واجابوا عن السفینة انها کانت
مشترکة بین جماعة ولکل واحد منهم الشیء الیسیر وایضا فانه یجوز ان یکون سماهم مساکین علی وجه الرحمة کما جاء فی الحدیث مساکین اهل
النار وقال الشاعر مساکین اهل الحب حتی قبورهم علیها تراب الذل بین المقابر وقیل انهم کانوا یعملون علیها اجارة فاضیفت الیهم
والعاملین علیها یعنی سعاة الزکوة وجباتها والمؤلفة قلوبهم وکان هؤلاء قوما من الاشراف فی زمن النبی صلی الله علیه وآله فکان
یعطیهم سهما من الزکوة یتألفهم به علی الاسلام ویستعین بهم علی قتال العدو ثم اختلف فی هذا السهم هل هو ثابت بعد النبی ص ام لا
فقیل هو ثابت فی کل زمان عن الشافعی واختاره الجبائی وهو المروی عن ابی جعفر ع الا انه قال من شرطه ان یکون هناک امام عدل

يتألفهم على ذلك به وقيل ان ذلك كان خاصا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ثم سقط بعده لان الله سبحانه اعز الاسلام وقهر الشرك عن الحسن والشعبي وهو قول ابي حنيفة واصحابه وفي الرقاب يعني في فك الرقاب من العتق واراد به المكاتبين واجاز اصحابنا ان يشترى منه عبد مؤمن اذا كان في شدة ويعتق ويكون ولاؤه لارباب الزكوة وهو قول ابن عباس والحسن ومالك والغارمين وهم الذين ركبتهم الديون في غير معصية ولا اسراف تقضى عنهم ديونهم وفي سبيل الله وهو الجهاد بلا خلاف ويدخل فيه عند اصحابنا جميع مصالح المسلمين وهو قول ابن عمر وعطا وهو اختيار البلخي وجعفر بن مبشر قالوا يبنى منه المساجد والقناطر وغير ذلك وابن السبيل وهو المسافر المنقطع به يعطى من الزكوة وان كان غنيا في بلده ذا يسار وانما سمي ابن السبيل للزومه الطريق فنسب اليه كما قال الشاعر انا ابن الحرب ربتني وليدا الى ان شبت واكتهلت لداتي وقيل هو الضيف عن قتادة فريضة من الله اي مقدرة واجبة قدرها الله وحتمها والله عليم بحاجة خلقه حكيم فيما فرض عليهم واوجب من اخراج الصدقات وغير ذلك قوله تعالى

وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ۝ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ۝ ثلث آيات

القراءة

قرأ عاصم في رواية الاعشى والبرجمي عن ابي بكر قل اذن خير لكم بالضم والتنوين فيهما وهو قراءة الحسن وقتادة وعيسى بن عمر وغيرهم وقرأ الباقون اذن خير لكم بالاضافة وقرأ نافع اذن خير ساكنة الذال في كل القرآن وقرأ حمزة وحده ورحمة للذين آمنوا بالجر والباقون ورحمة بالرفع

الحجة

قال ابو علي اذن في الآية اذا خففت او ثقلت فانه يجوز ان يطلق على الجملة وان كانت عبارة عن جارحة منها كما قال الخليل في الناب من الابل انه سميت به لمكان الناب البازل فسميت الجملة كلها به وقالوا للرئيس هو عين القوم وللربيئة هو عينهم ويجوز فيه شيء آخر وهو ان الاسم يجري عليه كالوصف له ولوجود معنى ذلك الاسم فيه كقول جرير تبدو وتبدي جمالا زانه خفر اذا ازرت السود العناكيب فاجرى العناكيب وصفا عليهن يريد انهن من الحقارة والزمانة في العناكيب وقال آخر فلولا الله والمهر المفدى لابت وانت غربال الاهاب فجعله غربالا لكثرة الخروق من آثار الطعن وكذلك قوله هو اذن اجري على الجملة اسم الجارحة لما اراد فيه من كثرة استعماله لها في الاصغاء بها ويجوز ان يكون فعلا من اذن يأذن اذنا اذا استمع ومنه قوله واذنت لربها اي استمعت وقوله ايذن لي اي استمع لي وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى به القرآن فعلى هذا يكون معناه كثير الاستماع مثل انف وشجع قال ابو زيد رجل اذن اذا كان يصدق بكل ما يسمع وقوله اذن خير لكم بالاضافة وهو الاكثر بالقراءة معناه انه اذن خير لكم اي مستمع خير وصلاح لكم ومصغ اليه لا مستمع شر وفساد ومن قرأ اذن خير لكم قال الزجاج يستمع منكم ويكون قريبا منكم قابلا للعذر خير لكم قال ابو علي ومن رفع رحمة كان المعنى هو اذن خير ورحمة جعله الرحمة لكثرة هذا المعنى فيه وعلى هذا وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ويجوز ان يكون تقدير حذف المضاف من المصدر واما الجر في رحمة فعلى العطف على خير كانه اذن خير ورحمة فان قلت افيكون اذن رحمة كان هذا لا يمتنع لان الاذن في معنى مستمع في الاقوال الثلثة التي تقدمت فكانه مستمع رحمة فجاز هذا كما جاز مستمع خير الا ترى ان الرحمة من الخير فان قلت فهلا استغنى بشمول الخير الرحمة وغيرها عن تقدير عطف الرحمة عليه فالقول فيه ان ذلك لا يمتنع الا ترى اقرأ باسم ربك الذي خلق ثم خص فقال خلق الانسان وان كان قوله خلق يعم الانسان وغيره فكذلك الرحمة اذا كانت من الخير لم يمتنع ان تعطف فتخص الرحمة بالذكر من ضروب الخير لغلبة ذلك في وصفه وكثرته كما خص الانسان بالذكر وان كان الخلق قد عمه وغيره ولا يبعد بين الجار وما عطف عليه لا يمتنع من العطف الا ترى ان من قرأ وقيله يا رب انما يحمله على وعنده علم الساعة وعلم قيله

اللغة

الفرق بين الاحق والاصلح ان الاحق قد يكون من غير صفات الفعل كقولك زيد احق بالمال والاصلح لا يقع هذا الموقع لانه من صفات الفعل وتقول الله احق بان يطاع ولا تقول اصلح والمحادة مجاوزة الحد بالمشاقة وهي والمخالفة والمجادلة والمعاداة نظائر واصله المنع والحدة ما يعتري الانسان من النزق لانه يمنعه من الواجب والخزي الهوان وما يستحيا منه

الاعراب

اذن خير خبر مبتدأ محذوف ومن لم يضف جعل خير صفة لاذن واللام في قوله يؤمن للمؤمنين على حد اللام في قوله ردف لكم او على المعنى لان معنى يؤمن يصدق فعدى باللام

كما عدى تصديق به في نحو قوله مصدقا لما بين يديه وقيل انما دخلت اللام للفرق بين ايمان التصديق وايمان الامان قوله فان له نار جهنم
يحتمل ان يكون العامل في ان احد الامرين اما ان يكون على تقدير حذف الجار على معنى فلان له نار جهنم الا ان يكون اعاد ان الاولى على التكرير
للتوكيد بسبب طول الكلام عن الزجاج واقوال ان على مذهب ابي الحسن وابي على الفارسي يرتفع قوله ان له نار جهنم بظرف مضمر محذوف
من هذا الموضع لطول الكلام وتقديره فله ان له نار جهنم والمعنى فله وجوب نار جهنم ويجوز ان يكون خبر مبتداء محذوف والتقدير
فامره او شانه ان له نار جهنم ولا يجوز ان يرتفع بفعل مضمر لان الفعل لا يقع بعد الفاء في جواب الشرط وانما يدخل الفاء في جواب الشرط
اذا كان مبتداء وخبرا او جمله فعلية غير خبرية نحو قوله فقولي اني نذرت هذا مذهب سيبويه قال الزجاج ولو قرئ فان له بكسر الهمزة
على وجه الاستيناف لكان جايزا فيكون كقولك فله نار جهنم غير انه لم يقراء به احد النزول قيل نزلت في جماعة من المنافقين منهم الخلاس
بن سويد وشاش بن قيس ومخشي بن حمير ورفاعة بن عبد المنذر وغيرهم قالوا ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغ محمدا
ما تقولونه فيقع بنا فقال الخلاس بن سويد بل نقول ما شئنا ثم ناتيه فيصدقنا بما نقول فان محمدا اذن سامعه فانزل الله هذه الآية
وقيل نزلت في رجل من المنافقين يقال نبتل بن الحرث وكان رجلا ادلم احمر العينين اسفع الخدين مشوه الخلقة وكان ينم حديث النبي
الى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال انما محمد اذن من حدثه شيئا صدقه نقول ما شئنا ثم ناتيه ونحلف له فيصدقنا وهو الذي قال فيه النبي
صلى الله عليه وآله من اراد ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث عن محمد بن اسحق وغيره وقوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم الاية
قيل انها نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من تبوك اتوا المؤمنين يعتذرون اليهم
من تخلفهم ويعتلون ويحلفون فنزلت الاية عن مقاتل والكلبي وقيل نزلت في خلاس بن سويد وغيره من المنافقين قالوا لئن كان
ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الانصار يقال له عامر بن قيس فقال والله ان ما يقول محمد حق فانتم شر من الحمير
ثم اتى النبي صلى الله عليه وآله واخبره فدعاهم فسالهم فحلفوا ان عامرا كذاب فنزلت الاية عن قتادة والسدي المعنى ثم رجع سبحانه
الى ذكر المنافقين فقال ومنهم اي ومن هؤلاء المنافقين الذين يؤذون النبي والاذى قد يكون بالفعل وقد يكون بالقول وهو ههنا بالقول
ويقولون هو اذن معناه انه يسمع على ما يقال له ويصغي اليه ويقبله قل يا محمد اذن خير لكم اي هو اذن خير يستمع الى ما هو خير لكم وهو الوحي وقيل
معناه هو يسمع الخير ويعمل به ومن قرا اذن خير لكم فمعناه حال كونه اذنا اصلح لكم لانه يقبل عذركم ويستمع اليكم ولو لم يقبل عذركم لكان
شرا لكم فكيف تعيبونه بما هو خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين معناه انه لا يضره كونه اذنا فانه اذن خير فلا يقبل الا الخبر الصادق من الله
ويصدق المؤمنين ايضا فيما يخبرونه ويقبل منهم دون المنافقين عن ابن عباس فانه عما للمؤمنين تصديقهم له على هذا القول وقيل يؤمن
للمؤمنين اي يؤمنهم فيما يلقي اليهم من الامان ولا يؤمن المنافقين بل يكونون على خوف وان حلفوا ورحمة للذين امنوا منكم اي هو رحمة لهم
لانهم انما نالوا الايمان بهدايته ودعايه اياهم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم في الاخرة يحلفون بالله لكم ليرضوكم اخبر سبحانه
ان هؤلاء المنافقين يقسمون بالله ان الذي بلغكم عنهم باطل اعتذارا اليكم وطلبا لمرضاتكم والله ورسوله احق ان يرضوه اي والله ورسوله
احق واولى بان يطلبوا مرضاتهما ان كانوا مؤمنين مصدقين بالله مقرين بنبوة نبيه وتقديره والله احق ان يرضوه ورسوله احق ان يرضوه
فحذف للتخفيف ولدلالة الكلام عليه كما في قول الشاعر نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف والمعنى نحن بما عندنا راضون
وانت بما عندك راض ثم قال سبحانه على وجه التقريع والتوبيخ لهؤلاء المنافقين الم يعلموا اي او ما يعلموا انه من يحادد الله ورسوله اي
يجاوز حدود الله التي امر المكلفين لا يتجاوزوها وانما قال الم يعلموا لانه لا يعلمون على وجه الاستبطاء لهم والتخلف عن علمه اي هلا علموا بعد
ان مكنوا من علمه وقيل هو امر بالعلم اي يجب ان يعلموا بهذا الخبر وبالدلايل وقيل معناه الم يخبرهم النبي صلى الله عليه وآله بذلك عن الجبائي
فان له نار جهنم خالدا فيها اي دائما ذلك الخزي اي الهوان والذل العظيم قوله تعالى يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم
بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ
كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ
ثلث ايات القراءة قرا عاصم ان نعف ونعذب بالنون طايفة بالنصب وقرا الباقون ان يعف بالياء وضمها وفتح الفاء تعذب بالتاء وضمها

طايفه

طايفة بالرفع الحجة قال ابو علي حجة من قال ان نعف قوله ثم عفونا عنكم ومن قال ان يعف فالمعنى معنى نعف واما تعذب بالتاء فلان
الفعل في اللفظ مسند الى مونث اللغة الحذر اعداد ما يتقي الضرر ورجل حذر ومعا متيقظ متحرز ورجل حذر كثير الحذر شديد الفزع
والمنافق الذي يظهر من الايمان خلاف ما يبطنه من الكفر مشتق من نافقا اليربوع لانه يخفي بابا ويظهر بابا ليكون اذا اتى من احدهما خرج
من الاخر والخوض دخول القدم فيما كان مايعا من الماء والطين ثم كثر حتى استعمل في غيره واللعب فعل ما فيه سقوط المنزلة لتعجيل اللذة
كفعل الصبي ولذلك قالوا ملاعب الاسنة لانه يتجافى عنه يقدم على الاسنة كفعل الصبي الذي لا يفكر في عاقبة امره والاعتذار اظهار ما
يقتضي العذر والاجرام الانقطاع عن الحق الى الباطل يقال جرم التمر اذا صرمه وتجرمت السنة تصرمت النزول قيل نزلت في اثني
عشر رجلا وقفوا على العقبة ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وآله عند رجوعه من تبوك فاخبر جبرائيل رسول الله ص بذلك وامره ان يرسل
اليهم ويضرب وجوه رواحلهم فضربهم حتى نحاهم فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم فقال لم اعرف منهم احدا فقال رسول الله ص انه
فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة الا تبعث اليهم فتقتلهم فقال اكره ان تقول العرب لما ظفر باصحابه اقبل يقتلهم عن ابي كيسان
وروي عن ابي جعفر عليه السلام مثله الا انه قال ائتمروا بينهم ليقتلوه وقال بعضهم لبعض ان فطن نقول انما كنا نخوض ونلعب وان لم يفطن
نقتله وقيل ان جماعة من المنافقين قالوا في غزوة تبوك يظن هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه
على ذلك فقال احبسوا على الركب فدعاهم فقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انما كنا نخوض ونلعب وحلفوا على ذلك فنزلت الآية
ولئن سألتهم عن الحسن وقتادة وقيل كان ذلك عند منصرفه من غزوة تبوك الى المدينة وكان بين يديه اربعة نفر او ثلاثة نفر يستهزؤن
ويضحكون واحدهم يضحك ولا يتكلم فنزل جبرائيل واخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فدعا عمار بن ياسر فقال ان هؤلاء يستهزؤن
بي وبالقرآن اخبرني جبرائيل بذلك ولئن سألتهم ليقولن كنا نتحدث بحديث الركب فقال عمار صدق الله ورسوله احرقهم احرقكم الله
فاقبلوا على النبي يعتذرون فانزل الله الآيات عن الكلبي وعلي بن ابراهيم وابي حمزة وقيل ان رجلا قال في غزوة تبوك ما رايت اكذب لسانا
ولا اجبن عند اللقاء من هؤلاء يعني رسول الله صلى الله عليه وآله واصحابه فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق واراد ان يخبر
رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فجاء وقد سبقه الوحي فجاء الرجل معتذرا وقال انما كنا نخوض ونلعب ففيه نزلت الآية عن ابن عمر
وزيد بن اسلم ومحمد بن كعب وقيل ان رجلا من المنافقين قال يحدثنا محمد ان ناقة فلان بوادي كذا وكذا وما يدريه ما الغيب فنزلت الآية
عن مجاهد وقيل نزلت في عبد الله بن ابي ورهطه عن الضحاك المعنى ثم اخبر سبحانه عنهم فقال يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم
بما في قلوبهم فيه قولان احدهما انه اخبار بانهم يخافون ان يفشو سرائرهم ويحذرون ذلك عن الحسن ومجاهد والجبائي واكثر المفسرين
والمعنى انهم يحذرون عن ان ينزل الله عليهم اي على النبي والمؤمنين سورة تخبر عما في قلوبهم من النفاق والشرك وقد قيل ان ذلك الحذر
انما اظهروه على وجه الاستهزاء لا على سبيل التصديق لانهم حين راوا ان رسول الله صلى الله عليه وآله ينطق في كل شيء عن الوحي قال بعضهم
لبعض احذروا لا ينزل وحي فيكم يتناجون بذلك ويضحكون عن ابي مسلم وقيل انهم كانوا يخافون ان يكون صادقا فينزل عليه الوحي
فيفتضحون عن الجبائي وقيل انهم كانوا يقولون القول فيما بينهم ثم يقولون عسى الله ان لا يفشي علينا سرنا عن مجاهد والثاني ان هذا اللفظ
لفظ الخبر ومعناه الامر فهو كقولك ليحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تخبرهم بما في قلوبهم من النفاق وحسن ذلك لان موضع الكلام
على التهديد قل استهزؤا قيل معناه قل يا محمد لهؤلاء المنافقين استهزؤا اي اطلبوا الهزؤ وهو وعيد بلفظ الامر ان الله مخرج ما تحذرون
اي يظهر ما تحذرون من ظهوره والمعنى ان الله يبين لنبيه ص باطن حالكم ونفاقكم ولئن سألتهم عن طعنهم في الدين واستهزائهم بالنبي ص
وبالمسلمين ليقولن انما كنا نخوض ونلعب واللام للتاكيد والقسم ومعناه لقالوا كنا نخوض خوض الركب في الطريق لا على طريق الجد
ولكن على طريق اللعب واللهو فكان عذرهم اشد من جرمهم قل يا محمد ابالله وآياته اي حججه وبيناته وكتابه ورسوله محمد ص كنتم تستهزؤن
ثم امر الله تعالى نبيه ان يقول لهؤلاء المنافقين لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة قد كفرتم بعد ايمانكم اي فانكم بما فعلتموه قد كفرتم بعد ان كنتم
مظهرين للايمان الذي يحكم لمن اظهره بانه مؤمن ولا يجوز ان يكونوا مؤمنين على الحقيقة مستحقين للثواب ثم يكفرون لما تقرر بالدليل
وذكر في غير موضع ان المؤمن لا يجوز ان يكفر ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين اي كافرين مصرين على النفاق هذا

اخبار منه تعالى انه ان عفا عن قوم منهم اذا تابوا يعذب طايفة اخرى لم يتوبوا واقاموا على النفاق والطايفة اسم الجماعة على الحقيقة لانه اسم لما يطيف
بغيره ويحيط به وقد يسمى الواحد طايفة على معنى انها نفس طايفة وقد ورد القران بذلك في قوله وليشهد عذابهما طايفة من المؤمنين وقد ورد
عن ايمتنا عليهم السلم ان اقل من يحضر عذابهما واحد من المؤمنين ويروى ان هاتين الطايفتين كانوا ثلثة نفر فهزى اثنان وضحك واحد
وهو الذي تاب من نفاقه واسمه مخشي بن حمير فعفى الله عنه قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم اولياء بعض يامرون
بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون ۞ وعد الله المنافقين
والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم ۞ كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة
واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا
اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك هم الخاسرون ۞ الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود
وقوم ابراهيم واصحاب مدين والمؤتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ۞ اربع آيات اللغة
الاستمتاع طلب المتعة وهي ما فيه اللذة من الماكل والمشرب والمناكح والخلاق النصيب سواء كان عاجلا او اجلا وقال الزجاج النصيب الذي هو
عند صاحبه وافر الحظ والمؤتفكات جمع مؤتفكة قد ايتفك بهم الارض اي انقلبت الاعراب موضع الكاف من قوله كالذين من قبلكم نصبا
اي وعدكم الله على الكفر كما وعد الذين من قبلكم والكاف في قوله كما استمتع وكالذي خاضوا نصب لانه صفة لمصدر محذوف وتقديره واستمتعتم
استمتاعا مثل استمتاعهم وخضتم خوضا مثل خوضهم قال جامع العلوم النحوي كالذي خاضوه ثم حذف الهاء على قول يونس والاخفش الذي مصدري
والتقدير كالخوض الذي خاضوا ومثل هذا اختلافهم في قوله ذلك الذي يبشر الله به عباده على قول سيبويه تقديره يبشر الله به وعلى قول يونس
والاخفش ذلك يبشر الله عباده المعنى ثم ذكر سبحانه احوال اهل النفاق فقال المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي بعضهم من جملة
بعض وبعضهم مضاف الى بعض في الاجتماع على النفاق والشرك كما تقول انا من فلان وفلان مني اي امرنا واحد وكلمتنا واحدة وقيل معناه
بعضهم على دين بعض عن الكلبي وقيل بعضهم من بعض في لحوق مقت الله بهم جميعا يامرون بالمنكر اي بالشرك والمعاصي وينهون عن المعروف
اي عن الافعال الحسنة التي امر الله بها وحث عليها ويقبضون ايديهم اي يمسكون اموالهم عن انفاقها في طاعة الله ومرضاته عن قتادة والحسن
وقيل معناه يمسكوا ايديهم عن الجهاد في سبيل الله عن الجبائي نسوا الله فنسيهم اي تركوا طاعته فتركهم في النار وترك رحمتهم واثابتهم عن الاصم
وقيل معناه جعلوا الله كالمنسي حيث لم يتفكروا في ان لهم صانعا يثيبهم ويعاقبهم ليمنعهم ذلك عن الكفر والافعال القبيحة فجعلهم سبحانه
في حكم المنسي عن الثواب وذكر ذلك لازدواج الكلام لان النسيان لا يجوز عليه تعالى ان المنافقين هم الفاسقون اي هم الخارجون عن
الايمان بالله ورسوله وعن طاعته وقيل الفاسقون المتمردون في الشرك وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم اخبر سبحانه انه
وعد الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر النار وكذلك الكفار وانما فصل النفاق من الكفر وان كان النفاق كفرا ليبين الوعيد على
كل واحد من الصنفين خالدين فيها اي دايمين فيها هي حسبهم معناه نار جهنم والعقاب فيها كفاية ذنوبهم كما تقول عذبتك حسب فعلك
وحسب فلان ما نزل به اي ذلك على قدر فعله ولعنهم الله اي ابعدهم من جنته وخيره ولهم عذاب مقيم اي دايم لا يزول كالذين من قبلكم
اي وعدكم على النفاق والاستهزاء كما وعد الذين من قبلكم من الكفار الذين فعلوا مثل فعلكم عن الزجاج والجبائي وقيل معناه فعلكم
كفعل الذين من قبلكم من كفار الامم الخالية كانوا اشد منكم قوة في ابدانهم واكثر اموالا واولادا فلم ينفعهم ذلك شيئا وحل بهم عذاب الله ثم
فاستمتعوا بخلاقهم اي بنصيبهم وحظهم من الدنيا بان صرفوها في شهواتهم المحرمة عليهم وفيما نهاهم الله عنه ثم اهلكوا فاستمتعتم بخلاقكم
كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم اي فاستمتعتم انتم ايضا بحظكم من الدنيا كما استمتعوا هم وخضتم كالذي خاضوا اي وخضتم بالكفر
والاستهزاء بالمؤمنين كما خاض الاولون اولئك حبطت اعمالهم التي تقع طاعة من المؤمنين مثل الانفاق في وجوه الخير وصلة الرحم وغيرها
اذ لم يستحقوا عليها ثوابا في الاخرة ولا تعظيما وتبجيلا في الدنيا لكفرهم وشركهم واولئك هم الخاسرون خسروا انفسهم واهلكوها بفعل
المعاصي المودية الى الهلاك ووردت الرواية عن ابن عباس انه قال في هذه الاية ما اشبه الليلة بالبارحة هؤلاء بنو اسرائيل شبهنا بهم لا اعلم
الا انه قال والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر لدخلتموه وروى مثل ذلك عن ابي هريرة عن ابي سعيد الخدري عن النبي ص

قال

قال لتأخذن كما اخذت الامم من قبلكم ذراعا بذراع وشبرا بشبر وباعا بباع حتى لو ان احدا من اولئك دخل جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله
كما صنعت فارس والروم واهل الكتاب قال فهل الناس الا هم قال عبد الله بن مسعود انتم اشبه الامم ببني اسرائيل سمتا وهديا تتبعون عملهم
حذو القذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا وقال حذيفة المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله
قلنا وكيف قال اولئك كانوا يخفون نفاقهم وهؤلاء اعلنوه اورد جميعهما الثعلبي في تفسيره ثم قال سبحانه الم يأتهم اي الم يأت
هؤلاء المنافقين الذين وصفهم نبأ الذين من قبلهم اي خبر من كان قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم واصحاب مدين ذكر سبحانه
الامم الماضية والقرون السالفة وانه سبحانه اهلكها ودمر عليها لتكذيبها رسلها لئلا يأمنوا ان ينزل بهم مثل ما نزل باولئك فاهلك
سبحانه قوم نوح بالغرق وعادا قوم هود بالريح الصرصر وثمودا قوم صالح بالرجفة وقوم ابراهيم بسلب النعمة وهلاك نمرود واصحاب
مدين وهي البلدة التي فيها قوم شعيب بعذاب يوم الظلة وقيل ان مدين اسم نسبت البلدة اليه وقد مر ذكره والمؤتفكات اي
المنقلبات وهي ثلث قرى كانت فيها قوم لوط وكذلك جمعها بالالف والتاء عن الحسن وقتادة وقال في موضع آخر والمؤتفكة اهوى
فجاء بها على طريق الجنس اهلكهم الله بالخسف وقلب المدينة عليهم اتتهم رسلهم بالبينات اي بالبراهين والحجج والمعجزات فما كان الله
ليظلمهم اي ما ظلمهم الله باهلاكهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي ولكن عاقبهم الله باستحقاق اذ كذبوا الرسل كما فعلتم فاهلكهم بكفرهم وعصيانهم
قوله تعالى وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَ
يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ يَا أَيُّهَا
النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ثلث ايات اللغة العدن والاقامة والخلود نظاير
ومنه المعدن قال الاعشى فان يستضيفوا الى حكمه يضافوا الى راجح قد عدن والرضوان مصدر رضي يرضى رضى ورضوانا والجهاد ممارسة
امر شاق واصله من الجهد المعنى لما ذكر الله سبحانه المنافقين ووصفهم بقبيح خصالهم اقتضى الحكمة ان يذكر المؤمنين ويصفهم بضد اوصافهم
ليتصل الكلام بما قبله اتصال النقيض بالنقيض فقال والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض اي بعضهم انصار بعض يلزم كل واحد
منهم نصرة صاحبه وموالاته حتى ان المرأة تهيئ اسباب السفر لزوجها اذا خرج وتحفظ غيبة زوجها وهم يد واحدة على من سواهم يأمرون
بالمعروف وهو ما اوجب الله تعالى فعله او رغب فيه عقلا او شرعا وينهون عن المنكر وهو ما نهى الله عن فعله وزهد فيه عقلا
او شرعا ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اي يداومون على فعل الصلوة واخراج الزكوة من مالهم ووضعها حيث امر الله
بوضعها فيه ويمتثلون طاعة الله ورسوله ويتبعون ارادتهما ورضاهما اولئك سيرحمهم الله اي الذين هذه صفتهم يرحمهم الله في الآخرة ان الله
عزيز حكيم اي قادر على الرحمة والعذاب واضع كل واحد منهم موضعه وفي هذه الاية دلالة على ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض
الاعيان لانه جعلهما من صفات جميع المؤمنين ولم يخص منهم قوما دون قوم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها
الانهار اي من تحت اشجارها الانهار والماء فيها خالدين فيها ومساكن طيبة يطيب العيش فيها بناها الله تعالى من اللآلي واليواقيت الاحمر
والزبرجد الاخضر لا اذى فيها ولا تعب ولا نصب عن الحسن في جنات عدن اي في جنات اقامة وخلود وقيل هي بطنان الجنة اي وسطها
عن ابن مسعود وقيل هي مدينة الجنة وفيها الرسل والانبياء والشهداء وائمة الهدى والناس من حولهم والجنان حولها عن الضحاك وقيل
ان عدنا اعلى درجة في الجنة وفيها عين التسنيم والجنان حولها محفوفة بها وهي مغطاة من يوم خلقها الله عز وجل حتى ينزلها اهلها من الانبياء
والصديقون والشهداء والصالحين ومن شاء الله وفيها قصور الدر واليواقيت والذهب فتهب ريح من تحت العرش فتدخل عليهم
كثبان المسك الابيض عن مقاتل والكلبي وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر
لا يسكنها غير ثلثة النبيين والصديقين والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك ورضوان من الله اكبر رفع على الابتداء اي رضا الله
عنهم اكبر من ذلك كله قال الجبائي انما صار الرضوان اكبر من الثواب لانه لا يوجد شيء منه الا بالرضوان اذ هو الداعي اليه الموجب له وقال
الحسن لان ما يصل الى القلب من السرور برضوان الله اكبر من جميع ذلك وانما رفع رضوان لانه استأنف بالتعظيم كما يقول القائل

اعطيتك ووصلتك بتربتول وحسن راى فيك ورضاى عنك خير من جميع ذلك ذلك هو الفوز العظيم اي ذلك النعيم الذي وصفت
هو النجاح العظيم الذي لا شئ اعظم منه ثم امر سبحانه بالجهاد فقال يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والقتال والمنافقين اختلفوا في كيفية
جهاد المنافقين فقيل ان جهادهم باللسان والوعظ والتخويف عن الجباى وقيل جهادهم باقامة الحدود عليهم وكان ما يصيبهم من
الحدود اكثر وقيل هو بالانواع الثلثة بحسب الامكان يريد باليد فان لم يستطع فباللسان فان لم يستطع فبالقلب فان لم يقدر فليكفهم
في وجوههم عن ابن عباس ويدى في قراءة اهل البيت عليهم السلم جاهد الكفار بالمنافقين قالوا لان النبي صم لم يقاتل المنافقين وانما كان
يتالفهم ولان المنافقين لا يظهرون الكفر وعلم الله تعم بكفرهم قالوا لان النبي صلى الله عليه وآله لم يكن يقاتل المنافقين وانما كان يتالفهم
ولان المنافقين لا يظهرون الكفر وعلم الله تعم بكفرهم لا يبيح قتلهم اذا كانوا يظهرون الايمان واغلظ عليهم معناه واسمعهم الكلام الغليظ
الشديد ولا ترق عليهم وماويهم جهنم اى منزل مقامهم ومسكنهم جهنم يريد ماوى الفريقين وبئس المصير اى بئس المرجع
قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان
اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة
وما لهم في الارض من ولي ولا نصير اية اللغة الهم مقاربة الفعل بقلبه في النفس يقول هم بالشئ يهم هما وليس الهم من العزم
في الشئ الا انه يبلغ نهاية القوة في النفس والنيل لحوق الامر يقال نال ما اشتهى ويهوى اى ادركه ونقم منه شيئا اى انكر قال ما نقموا من
بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا والفضل الزيادة في الخير على مقدار ما واما التفضل فهو الزيادة من الخير الذي كان للقادر عليه ان
يفعله وان لا يفعله النزول اختلف فيمن نزل فيه هذه الاية فقيل ان رسول الله صم كان جالسا في ظل حجرة فقال انه سياتيكم
انسان فينظر اليكم بعيني شيطان فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال علام تشتمني انت واصحابك
فانطلق الرجل فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فانزل الله هذه الاية عن ابن عباس وقيل خرج المنافقون مع رسول الله صم الى تبوك فكانوا
اذا خلا بعضهم ببعض سبوا رسول الله صلى الله عليه وآله واصحابه وطعنوا في الدين فنقل ذلك حذيفة الى رسول الله صم فقال لهم عليه
ما هذا الذي بلغني عنكم فحلفوا بالله ما قالوا شيئا من ذلك عن الضحاك وقيل نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت وذلك ان رسول
الله صم خطب ذات يوم بتبوك وذكر المنافقين فسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس والله لئن كان محمد صادقا فيما يقول فنحن اشر من الحمير
فسمعه عامر بن القيس فقال اجل والله ان محمدا الصادق وانتم شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صم الى المدينة اتاه عامر بن قيس فاخبره
بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله فامرهما رسول الله صلى الله عليه وآله ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر فحلف
بالله ما قاله ثم قام عامر فحلف بالله لقد قاله ثم قال اللهم انزل على نبيك الصادق منا الصادق فقال رسول الله والمؤمنون آمين
فنزل جبرائيل ع قبل ان يتفرقا بهذه الاية حتى بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله اسمع الله قد عرض على
التوبة صدق عامر بن قيس فيما قال لقد قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله صم ذلك منه عن الكلبي ومحمد بن اسحق
ومجاهد وقيل نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول حين قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عن قتادة وقيل نزلت في
اهل العقبة فانهم اضمروا ان يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وآله في عقبة مرجعهم من تبوك واردوا ان يقطعوا انساع راحلته ثم
ثم يطعنوا به فاطلعه الله على ذلك وكان من جملة معجزاته لانه لا يمكن معرفة مثل ذلك الا بوحي من الله فسار رسول الله صم في
العقبة وحده وعمار وحذيفة معه احدهما يقود ناقته والآخر يسوقها وامر الناس كلهم بسلوك بطن الوادي وكان الذين هموا بقتله
اثني عشر رجلا او خمسة عشر رجلا على الخلاف فيه عرفهم رسول الله صم وسماهم باسمائهم واحدا واحدا عن الزجاج والواقدي والكلبي
والقصة مشروحة في كتاب الواقدي وقال الباقر ع كانوا ثمانية اربعة منهم من قريش واربعة من العرب المعنى ثم اظهر سبحانه اسرار
المنافقين فقال يحلفون بالله ما قالوا يعني انهم حلفوا كاذبين ما قالوا ما حكى عنهم ثم حقق عليهم ذلك واقسم سبحانه بانهم قالوا ذلك
لان اللام في لقد لام القسم وكلمة الكفر كل كلمة فيها جحد لنعم الله تعالى وكانوا يطعنون في الاسلام وكفروا بعد اسلامهم اى بعد اظهار
اسلامهم يعني ظهر كفرهم بعد ان كان باطنا وهموا بما لم ينالوا قيل فيه ثلثة اقوال احدها انهم هموا بقتل النبي صلى الله عليه وآله ليلة العقبة

والسفر بينا فيه عن الكلبي ومجاهد وغيرهما وثانيها انهم هموا باخراج الرسول من المدينة فلم يبلغوا ذلك عن قتادة والسدي وثالثها انهم هموا بالفساد والتضريب بين اصحابه ولم ينالوا ذلك عن الجبائي وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله معناه انهم عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر النعمة ان نقموها وبيانه انهم نقموا فيما ليس بموضع النقمة وانه لم يكن للمسلمين ذنب ينقمونه منهم بل الله تعالى اباح لهم الغنايم واغناهم بذلك فقابلوا النعمة بالكفران وكان من حقها ان يقابلوها بالشكر وقدم هذا المعنى عند قوله قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان في سورة المايدة وانما لم يقل من فضلهما لانه لا يجمع بين اسم الله واسم غيره في الكناية تعظيما لله تعالى ولذلك قال النبي صلى الله عليه واله لمن سمعه يقول من اطاع الله ورسوله فقد هدى ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت فقال كيف اقول يا رسول الله فقال قل ومن يعص الله ورسوله وهكذا القول في قوله سبحانه والله ورسوله احق ان يرضوه وقيل انما لم يقل من فضلهما لان فضل الله سبحانه منه وفضل رسول الله من فضل الله فان يتوبوا يك خيرا لهم اى فان يتب هؤلاء المنافقون ويرجعوا الى الحق يكن ذلك خيرا لهم في الدنيا والاخرة فانهم ينالون بذلك فضل الله ورسوله والجنة وان يتولوا اى يعرضوا عن الرجوع الى الحق بكون ذلك وسلوك الطريقة المستقيمة يعذبهم الله عذابا اليما موجعا في الدنيا والاخرة بما ينالهم من الحسرة والغم وسوء الذكر وفي الاخرة بعذاب النار وما لهم في الارض اى ليس لهم في الارض من ولي اى محب ولا نصير ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله قوله تعالى وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * اربع ايات. اللغة

المعاهدة هي ان يقول على عهد الله لافعلن كذا فانه يكون بذلك عقد على نفسه وجوب ما ذكره لانه تعالى حكم بذلك وقدر وجوبه عليه في الشرع والبخل منع المال لشدة الاعطاء ثم صار في الشرع اسم لمنع الواجب لان من منع الزكوة فهو بخيل قال الرماني لا يجوز ان يكون البخل منع الواجب لمشقة الاعطاء كما قال زهير ان البخيل ملوم حيث كان ولكن الجواد على علاته هرم قال لانه يلزم على ذلك ان يكون الجود هو بذل الواجب من غير مشقة الاعطاء فكان من قضى دينا عليه يكون جوادا لانه ادى الواجب من غير مشقة وانما قال زهير ما قاله لان البخل صفة نقص قال ومن منع ما لا يضر به بذله ولا ينفعه منعه بما تدعو اليه الحكمة فهو بخيل لانه لا يقع المنع على هذه الصفة الا لشدة في النفس وان لم يرجع الى تلك الشدة من غير معقول كما يصفون الجودة بانها لثيمة لاجل الشدة واعقبه واورثه واداه نظاير وقد يكون اعقبه بمعنى بازاه قال النابغة فمن اطاع فاعقبه بطاعته كما اطاعك وادلله على الرشد ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد والنجوى الكلام الخفي يقال ناجيته وتناجوا وانتجوا وفلان نجي فلان والجمع انجية قال اذا ما القوم كانوا انجية واصله من النجوة وهو البعد كان المتناجيين قد تباعدا من غيرهما وقيل هو من النجوة اى المكان المرتفع الذي لا يصل اليه السيل فكانهما رفعا حديثهما الى حيث لا يصل اليه غيرهما الاعراب معنى لما معنى اذ الا ان لما الغالب عليها الجزاء وهي اسم يقع في جواب متى كان كذا فيقول السامع لما كان كذا ولما وكذا لا يكونان لما مضى بخلاف ان واذا فانهما لما يستقبل الا ان لو لا على تقدير نفي وجوب الثاني لانتفاء الاول ولما تدل على وقوع الثاني لوقوع الاول فلما آتيهم الله من فضله المفعول الثاني محذوف تقديره فلما آتيهم ما تمنوه من فضله لنصدقن اصله لنتصدقن ادغمت التاء في الصاد النزول قيل نزلت في ثعلبة بن حاطب وكان من الانصار قال للنبي صلى الله عليه واله ادع الله ان يرزقني مالا فقال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه اما لك في رسول الله اسوة حسنة والذي نفسي بيده لو اردت ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم اتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فقال عليه السلام اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها ثم كثرت حتى تباعد عن المدينة فاشتغل بذلك عن الجمعة والجماعة فبعث رسول الله صلى الله عليه واله المصدق ليأخذ الصدقة فابى وبخل وقال ما هذه الا اخت الجزية فقال رسول الله صلى الله عليه واله يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة وانزل الله عز وجل الايات عن ابي امامة الباهلي وروي ذلك مرفوعا وقيل ان ثعلبة اتى مجلسا من الانصار فاشهدهم وقال لئن اتاني الله من فضله تصدقت منه وآتيت كل ذي حق حقه ووصلت منه القرابة فابتلاه الله فمات ابن عم له فورث مالا ولم يف بما قال فنزلت عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وقيل نزلت في ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف قالا لئن رزقنا

اسمه مالا لنصدقن فلما رزقهما الله المال بخلا به عن الحسن ومجاهد وقيل نزلت في رجال من المنافقين نبتل بن الحرث وجد بن قيس وثعلبة بن
حاطب ومعتب بن قشير عن الضحاك وقيل نزلت في حاطب بن ابي بلتعة كان له مال بالشام فابطا عليه وجهد لذلك جهدا شديدا فحلف لئن اتاه
الله ذلك المال ليصدقن فاتاه الله ذلك فلم يفعل عن الكلبي المعنى ثم اخبر سبحانه عنهم فقال ومنهم اى ومن جملة المنافقين الذين تقدم ذكرهم
من عاهد الله لئن اتانا من فضله اى لئن اعطانا من رزقه لنصدقن على الفقراء ولنكونن من الصالحين بانفاقه في طاعة الله وصلة الرحم
ومواساة اهل الحاجة فلما اتاهم من فضله اى اعطاهم ما اقترحوه ورزقهم ما تمنوه من الاموال بخلوا به اي شحت نفوسهم عن الوفاء بالعهد
ومنعوا حق الله منه وتولوا عن فعل ما امرهم الله وهم معرضون عن دين الله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اى فاورثهم بخلهم بما اوجبوا لله
تعالى على انفسهم النفاق في قلوبهم واداهم الى ذلك عن الحسن كانهم حصلوا على النفاق بسبب البخل وهذا كما يقول لابنه اعقبك صحبة
فلان ترك التعلم وقيل معناه اعقبهم الله ذلك بحرمان التوبة كما حرم ابليس واراد بذلك انه دلنا على انه لا يتوب كما دلنا من حال ابليس
على انه لا يتوب لا انه سلب عنه قدرة التوبة الى يوم يلقونه اى يلقون جزاء البخل فذكر البخل واراد به جزاءه كقوله سبحانه اعمالهم كرماد اشتدت
به الريح وعلى القول الثاني فمعناه الى يوم يلقون الله اى اليوم الذي لا يملك فيه الضر والنفع الا الله وهذا اخبار من الله تعالى عن هؤلاء المنافقين
انهم يموتون على النفاق وذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وآله لانه خرج مخرج على وفق خبره بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون بين سبحانه
ان هذا انما اصابهم بفعلهم وهو اخلافهم الوعد وكذبهم الم يعلموا اى الم يعلم هؤلاء المنافقون ان الله يعلم سرهم اى ما يخفون في انفسهم
ونجويهم اي ما يتناجون به بينهم وهذا استفهام يراد به التوبيخ والمعنى انه يجب عليهم ان يعلموا ذلك وان الله علام الغيوب جمع الغيب وهو
كل ما غاب عن الاحساس ومعناه يعلم كل ما غاب عن العباد وعن ادراكهم من موجود او معدوم من كل وجه يصح ان يعلم منه لان فعالا صفة
مبالغة وفي قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الآية على ان بعض المعاصي تدعو الى بعض لانهم لما لم يفوا باداء هذا الحق دعاهم ذلك الى الثبات
على النفاق الى الممات وكذلك يدعو بعض الطاعات الى بعض وعلى ذلك ترتيب الشرايع وفيه دلالة على ان الاخلاف والخيانة والكذب
اخلاق اهل النفاق وقد صح في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال للمنافق ثلث علامات اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان

قوله تعالى الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝ آيتان اللغة المطوع المتطوع ادغمت التاء في الطاء لانها من مخرجها والطاء افضل منها بالاستعلاء
والاطباق والتطوع كل فعل يستحق المدح بفعله ولا يستحق الذم بتركه ونظيره النافلة والفضيلة والجهد والجهد بمعنى وهو الحمل على النفس لما
يشق وقيل بينهما فرق فالجهد بالفتح في العمل وبالضم في القوة عن الشعبي وقيل الجهد بالفتح المشقة وبالضم الطاقة عن القتيبي الاعراب يجوز ان
يكون موضع الذين يلمزون جرا بان يكون بدلا من الهاء والميم في قوله ومنهم من عاهد الله ويحتمل ان يكون رفعا على الابتداء وخبره سخر الله منهم
وهذا اولى وقوله في الصدقات من صلة يلمزون ولا يكون من صلة المطوعين لانه فصل بينهما قوله من المؤمنين والذين لا يجدون العطف
على الذين يلمزون المعنى ثم وصفهم بصفة اخرى فقال الذين يلمزون اى يعيبون المطوعين اى المتطوعين بالصدقة من المؤمنين ويطعنون
عليهم في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم اى ويعيبون الذين لا يجدون الا طاقتهم فيتصدقون بالقليل قيل اتاه عبد الرحمن بن عوف
بصرة من الدراهم تملا الكف واتاه عتبة بن زيد الحارثي بصاع من تمر وقال يا رسول الله عملت في النخل بصاعين فصاعا تركته وصاعا اقرضته
ربي وجاء زيد بن اسلم بصدقة فقال معتب بن قشير وعبد الله بن نبتل ان عبد الرحمن رجل يحب الريا ويبتغي الذكر بذلك وان الله غني عن
الصاع من التمر فعابوا المكثر بالريا والمقل بالاقلال فيسخرون منهم سخر الله منهم اى جازاهم جزاء سخريتهم حيث صاروا الى النار ولهم عذاب اليم
اى موجع مؤلم وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه سئل فقيل يا رسول الله اي الصدقة افضل قال جهد المقل استغفر لهم او لا تستغفر لهم
صيغته الامر والمراد به المبالغة في الاياس من المغفرة فانه لو طلبها طلب المامور بها او تركها ترك المنهي عنها لكان ذلك سواء في ان الله تعالى
لا يفعلها كما قال سبحانه في موضع آخر سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم
الوجه في تعليق الاستغفار بسبعين مرة المبالغة لا العدد المخصوص ويجري ذلك مجرى قول القايل لو قلت لي الف مرة ما قبلت والمراد اني لا اقبل

استغفر لهم

منك

منك فكذلك الآية المراد فيها نفي الغفران جملة وقيل ان العرب تبالغ في السبعة والسبعين ولهذا قيل للاسد سبع لانه تاولوا فيه القوة
انها تضاعفت سبع مرات واما ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال والله لازيدن على السبعين فانه خبر واحد لا يعول عليه ولا يتضمن
ان النبي صلى الله عليه وآله يستغفر للكفار وذلك غير جائز بالاجماع وقد روي انه قال لو علمت انه لو زدت على السبعين مرة غفر لهم لفعلت
ويحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وآله يرجو ان يكون لهم لطف يصلحون به فعزم على الاستغفار لهم فلما بين الله عز وجل انه ليس لهم
لطف ترك ذلك ويحتمل ان يكون استغفر لهم قبل ان يخبر بان الكافر لا يغفر له وقبل ان يمنع ويجوز ان يكون استغفاره لهم واقعا بشرط
التوبة من الكفر فمنعه الله منه واخبره بانهم لا يؤمنون ابدا فلا فايدة في الاستغفار لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اي لكفرهم بالله ورسوله
والله لا يهدي القوم الفاسقين مر معناه قوله تعالى فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا
وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ * ثلث آيات اللغة
المخلف المتروك خلف من مضى ومثله المؤخر عمن مضى والفرح ضد الغم وهو لذة في القلب بنيل المشتهى ومثله السرور قال البصريون
من المعتزلة ان السرور والغم يرجعان الى الاعتقاد فالسرور اعتقاد وصول منفعة اليه في المستقبل او دفع ضرر مظنون عنه او معلوم والغم
اعتقاد وصول ضرر اليه في المستقبل او فوت منفعة عنه واليه ذهب المرتضى قدس سره والخلاف مصدر خالفته مخالفة وخلافا وزعم
ابو عبيدة ان معناه بعد وانشد عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا والشواطب النساء يعددن الادم بعدما
يقدر به والخالف كل من تأخر عن الشاخص والمتخلف والضحك حال تفتح وانبساط يظهر في وجه الانسان عن تعجب مع فرح والبكاء
حال تقبض يظهر عن غم في الوجه مع جري الدموع على الخد الاعراب خلاف نصب على المصدر بمعنى المفعول له اذا جعلته بمعنى المخالفة
واذا جعلته بمعنى خلف فهو نصب على الظرف فليضحكوا انما سكنت لام الامر ولم تسكن لام الاضافة لانها تؤذن بعملها الجزم المناسب
لها فلذلك لزمت الحركة مع ان العوامل في الاسماء اقوى من العوامل في الافعال جزاء نصب على المصدر اي يجزون جزاء على افعالهم
المعنى ثم اخبر سبحانه ان جماعة من المنافقين الذين تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وآله ولم يخرجوا معه الى تبوك لما استاذنوه في التأخر
فاذن لهم فرحوا بقعودهم فقال فرح المخلفون بمقعدهم اي بقعودهم عن الجهاد خلاف رسول الله اي بعده وقيل معناه بمخالفتهم النبي
صلى الله عليه وآله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ظاهر المعنى وقالوا اي وقالوا للمسلمين ليصدوهم عن الغزو لا تنفروا
في الحر اي لا تخرجوا الى الغزو سراعا في هذا الحر وقيل بل معناه قال بعضهم لبعض ذلك طلبا للراحة والدعة وعدولا عن تحمل المشاق في مرضات
الله تعالى قل يا محمد لهم نار جهنم التي وجبت لهم بالتخلف عن امر الله اشد حرا من هذا الحر فهي اولى بالاحتراز والحذر عنها اذ لا يعتد بهذا الحر
في جنب ذلك الحر لو كانوا يفقهون اوامر الله تعالى ووعده ووعيده فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا تهديد لهم في صورة الامر اي فليضحك هؤلاء
المنافقين في الدنيا قليلا لان ذلك يفنى وان دام الى الموت ولان الضحك في الدنيا قليل لكثرة احزانها وهمومها وليبكوا كثيرا في الآخرة
لان ذلك يوم مقداره خمسون الف سنة وهم فيه يبكون فصار بكاؤهم كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون من الكفر والنفاق والتخلف
بغير عذر عن الجهاد قال ابن عباس ان اهل النفاق ليبكون في النار مدة عمر الدنيا فلا ترقا لهم دمعة ولا يكتحلون بنوم وروى انس بن
مالك عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فان رجعك الله يا محمد اي فان ردك الله عن غزوتك
هذه الى طائفة منهم اي من المنافقين الذين تخلفوا عنك وعن الخروج معك فاستاذنوك للخروج معك الى غزوة اخرى فقل لهم لن تخرجوا
معي ابدا الى غزوة ولن تقاتلوا معي عدوا ثم بين سبحانه سبب ذلك قال انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين في كل غزوة
واختلف في المراد بالخالفين فقيل معناه مع النساء والصبيان عن الحسن والضحاك وقيل مع الرجال الذين تخلفوا من غير عذر عن ابن عباس
وقيل مع الخساس والادنياء يقال فلان خالفة اهله اذا كان ادونهم وقيل مع اهل الفساد من قولهم خلف الرجل على اهله يخلف
خلوفا اذا فسد ونبيذ خالف اي فاسد ومنه خلوف فم الصائم اذا تغيرت ريحه وقيل مع المرضى والزمنى وكل من تأخر لنقص عن الجبائي

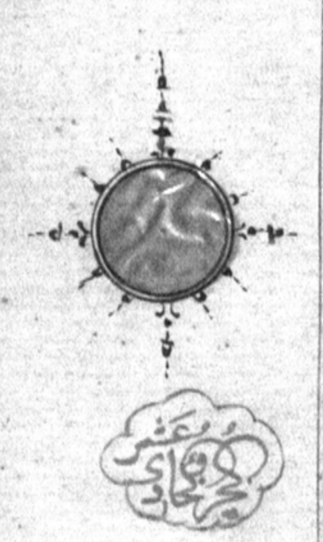
قوله تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون آيتان الاعراب

مات جمله فى موضع جر صفه لاحد وتقديره على احد ميت منهم وابدا منصوب لانه ظرف لقوله تصل وانما كسران من قوله انهم كفروا وان كان فى موضع التعليل لتحقيق الاخبار بانهم على الصفة التى ذكرها المعنى ثم نهى سبحانه نبيه عليه السلم عن الصلوة عليهم فقال ولا تصل يا محمد على احد منهم اى من المنافقين مات ابدا اي بعد موته فانه عم كان يصلى عليهم ويجريهم على احكام المسلمين ولا تقم على قبره اى لا تقف على قبره للدعاء فانه عم كان اذا صلى على ميت يقف على قبره ويدعوله فنهى الله تعالى عن الصلوة على المنافقين والوقوف على قبورهم والدعاء لهم ثم بين سبب الامرين فقال انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون فما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك على منافق حتى قبض وفى هذه دلالة على ان القيام على القبر للدعاء عبادة مشروعه ولولا ذلك لم يخص سبحانه بالنهى عن الكافر وروي انه صلى الله عليه وآله صلى على عبد الله بن ابي والبسه قميصه قبل ان ينهى عن الصلوة على المنافقين عن ابن عباس وجابر وقتادة وقيل انه عليه السلم اراد ان يصلى عليه فاخذ جبرائيل بثوبه وتلى عليه ولا تصل على احد منهم الاية عن انس والحسن وروى انه قيل لرسول الله لم وجهت بقميصك اليه يكفن فيه وهو كافر فقال ان قميصى لن يغنى عنه من الله شيئا وانى اؤمل من الله ان يدخل بهذا السبب فى الاسلام خلق كثير فروي انه اسلم الف من الخزرج لما راوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وآله ذكره الزجاج قال والاكثر فى الرواية انه لم يصل عليه ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم خطاب للنبى صلى الله عليه وآله والمراد به امته انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا بما يلحقهم فيها من المصايب والغموم لما ياخذها منهم المسلمون على وجه الغنيمة وبما يشق عليهم من اخراجها فى الزكوات والانفاق فى سبيل الله مع اعتقادهم بطلان الاسلام فيشتد عليهم فيكون عقابا لهم وتزهق انفسهم اى تهلك بالموت وهم كافرون اى فى حال كفرهم وقد مضى تفسير مثل هذه الآية وانما كرر للتذكر فى موطنين مع بعد احدهما عن الآخر ويجوز ان يكون الآيتان فى فريقين من المنافقين فيكون كما يقول القايل لا يعجبك حال زيد لا يعجبك حال عمرو عن الجبائي قوله تعالى واذا انزلت سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم اربع ايات اللغة

قال الزجاج الخوالف النساء لتخلفهن عن الجهاد ويجوز ان يكون جمع خالفه فى الرجال والخالف الخالفة الذي هو غير نجيب ولم يأت فى فاعل فواعل صفه الا فى الحرفين قالوا فارس وفوارس وهالك وهوالك والطبع والختم بمعنى واحد والخيرات المنافع التى تسكن النفس اليها وترتاح لها من النساء الحسان وغيرهن من نعيم الجنان واحدها خيرة قال الشاعر ولقد طعنت مجامع الربلات ربلات هند خيرة الملكات وقال المبرد الخيرات الجواري الفاضلات جمع خيرة وقيل يجوز ان يكون خيرة بالتشديد فخففت هو هين وهين والاعداد جعل الشئ مهيأ لغيره واصله من العدد لانه قد عد الله جميع ما يحتاج الى تقديمه من الامور ومثله الاعتاد الاعراب ان آمنوا فى موضع نصب بحذف حرف الجر على تقدير بان آمنوا اى بالايمان ولا يجوز الحذف مع صريح المصدر المعنى ثم بين سبحانه تمام اخبار المنافقين بقوله واذا انزلت سورة من القران على محمد ان آمنوا بالله اى بان آمنوا فهو خطاب للمؤمنين وامرهم بان يدوموا على الايمان وترك النفاق وجاهدوا مع رسوله اى اخرجوا الى الجهاد معه فكانه قال آمنوا انتم وادعوا الى الايمان غيركم استاذنك اى طلب الاذن منك فى القعود اولوا الطول اي اولوا المال والقدرة والغنى عن ابن عباس وغيره منهم اى من المنافقين وقالوا ذرنا اى دعنا نكن مع القاعدين اى المتخلفين عن الجهاد من النساء والصبيان وانما لحق هؤلاء الذم لانهم اقوى على الجهاد رضوا بان يكونوا مع الخوالف اى رضوا لنفوسهم ان يقعدوا مع النساء والصبيان والمرضى والمقعدين وطبع على قلوبهم ذكرنا معنى الطبع فيما تقدم قال الحسن هؤلاء قوم قد بلغوا الحد الذي من بلغه مات قلبه فهم لا يفقهون اوامر الله ونواهيه ولا يتدبرون الادلة ثم مدح النبى صلى الله عليه وآله والمؤمنين فقال جل اسمه لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم ينفقونها فى سبيل الله ومرضاته وانفسهم يقاتلون الكفار ثم اخبر سبحانه بما اعد لهم

من الجزاء على انقيادهم لله ورسوله فقال اولئك لهم الخيرات من الجنة ونعيمها وقيل الخيرات المنافع والمدح والتعظيم في الدنيا والثواب
والجنة في الاخرة واولئك هم المفلحون اي الظافرون بالوصول الى البغية اعد الله لهم اي هيأ وخلق لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها مضى تفسيره ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره الفوز العظيم الفوز النجاة من الهلكة الى حال النعمة وسميت المهلكة مفازة تفاؤلا
بها بالنجاة وانما وصفه بالعظيم لانه حاصل على وجه الدوام قوله تعالى وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ
كَذَبُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٩٠ آية القراءة قرا يعقوب
وقتيبه المعذرون بسكون العين وتخفيف الذال وهي قراءة ابن عباس والضحاك ومجاهد والباقون بفتح العين وتشديد الذال
الحجة من قرا بالتخفيف اراد الذين ياتون بالعذر ومن قرا بالتشديد احتمل امرين احدهما ان يكون اراد المعتذرون كان لهم عذر او لم يكن
وانما ادغم التاء في الذال لقرب مخرجهما والثاني انه اراد المقصرون من التعذير والمعذر المقصر الذي يريك انه معذور ولا عذر له والمعذر
البالغ الذي له عذر والمعتذر يقال لمن له عذر ولمن لا عذر له قال لبيد ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر اي اتى بعذر المعنى لما تقدم
حديث المخلفين صنف الله تعالى الاعراب منهم صنفين فقال سبحانه وجاء المعذرون من الاعراب اي المقصرون الذين يعتذرون و
ليس لهم عذر عن اكثر المفسرين وقيل هم المعتذرون لهم عذر وهم نفر من بني غفار عن ابن عباس قال ويدل عليه قوله وقعد الذين كذبوا الله
ورسوله فعطف الكاذبين عليهم فدل ذلك على ان الاولين في اعتذارهم صادقون وقيل معناه الذين يتصورون بصورة اهل العذر ليسوا
كذلك ليؤذن لهم في التخلف عن الجهاد وقعد الذين كذبوا الله ورسوله اي وقعدت طائفة من المنافقين من غير ان يعتذروا وهم الذين
كذبوا فيما كانوا يظهرونه من الايمان سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم قال ابو عمرو بن العلاء في هذه الاية كلا الفريقين كان مسيئا جاء
قوم فعذروا وضح آخرون فقعدوا ابن يدان قوما تكلفوا عذرا بالباطل وتخلف آخرون من غير تكلف عذر واظهارا لعلة جراءة على
الله ورسوله قوله تعالى لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ
مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٩١ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ
تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ٩٢ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ
رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٩٣ ثلث آيات اللغة النصح اخلاص العمل من الغش
والحمل اعطاء المركوب وهو فرس او بعير او غير ذلك والقول حمله يحمله حملا اذا اعطاه ما يحمل عليه قال الافتى عنده خفان يحملني عليهما انني
شيخ على سفر والفيض الجري عن امتلاء من قولهم فاض الاناء بما فيه والحزن المر في القلب بفوت امر ماخوذ من حزن الارض وهي الارض
الغليظة المسلك الاعراب حزنا نصب لانه مفعول له اي يبكون الحزن ولا يجدوا منصوب بان وموضع ان لا يجدوا نصب تقديره لان
لا يجدوا وحذف الجار فوصف الفعل النزول قيل ان الاية الاولى نزلت في عبد الله بن زايدة وهو ابن ام مكتوم وكان ضرير البصر جاء الى
رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله اني رجل ضرير خفيف الحال نحيف الجسم وليس لي قايد فهل لي رخصة في التخلف عن الجهاد فسكت
النبي صلى الله عليه وآله فانزل الله هذه الاية عن الضحاك وقيل نزلت في عايذ بن عمرو واصحابه عن قتادة والاية الثانية نزلت في البكائين
وهم سبعة نفر منهم عبد الله بن كعب وعلية بن زيد وعمرو بن غنمة وهؤلاء من بني النجار وسالم بن عمير وهرم بن عبد الله بن عمرو بن عوف
وعبد الله بن مغفل من مزينة جاؤا الى رسول الله صم فقالوا يا رسول الله احملنا فانه ليس لنا ما نخرج فقال ما احد ما احملكم عليه عن ابي حمزة
الثمالي وقيل نزلت في سبعة نفر من قبايل شتى اتوا النبي فقالوا احملنا على الخفاف والبغال عن محمد بن كعب وابن اسحق وقيل كانوا جماعة من
مزينة عن مجاهد وقيل كانوا سبعة من فقراء الانصار فلما بكوا حمل عثمان منهم رجلين والعباس بن عبد المطلب رجلين ويامين بن كعب النضري
من بني النضير ثلثة عن الواقدي قال وكان الناس بتبوك مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثلثين الفا منهم عشرة الاف فارس المعنى
ثم ذكر سبحانه اهل العذر فقال ليس على الضعفاء وهم الذين قوتهم ناقصة بالزمانة والعجز عن ابن عباس وقيل هم الذين لا يقدرون على
الخروج ولا على المرضى وهم اصحاب العلل المانعة من الخروج ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون يعني من ليست معه نفقة الخروج وآلة السفر
حرج اي ضيق وجناح في التخلف وترك الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وآله اذا نصحوا الله ورسوله بان يخلصوا العمل من الغش ثم قال

سبحانه ما على المحسنين من سبيل اى ليس على من فعل بحسن الجميل فى التخلف عن الجهاد وطريق التقريع فى الدنيا والعذاب فى الاخرة وقيل هو
عام فى كل محسن والاحسان هو ايصال النفع الى الغير لينتفع به مع تعريه من وجوه القبح ويصح ان يحسن الانسان الى نفسه ويحمد
على ذلك وهو اذا فعل الافعال الجميلة التى يستحق بها المدح والثواب والله غفور اى ساتر على ذوى الاعذار بقبول العذر منهم رحيم بهم
لا يلزمهم ما فوق طاقتهم ثم عطف عليه فقال ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم اي ولا على الذين اذا جاؤك يسالونك مركبا يركبونه فيخرجون
معك الى الجهاد اذ ليس معهم من الاموال والظهر ما يمكنهم الخروج به فى سبيل الله قلت لا اجد ما احملكم عليه اي لا اجد مركبا تركبونه ولا
ما اسوى به امركم تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون اى رجعوا عنك واعينهم تسيل بالدمع لحزنهم على ان لا يجدوا ما
ما يركبونه من الدواب وينفقونه فى الطريق ليخرجوا معكم ولحرصهم على الخروج المعنى وليس على هؤلاء ايضا حرج فى التخلف عن الجهاد وليس
عليهم سبيل للذم والعقاب انما السبيل والطريق بالعقاب والحرج على الذين يستاذنونك وهم اغنياء اى يطلبون الاذن منك يا محمد فى
المقام وهم مع ذلك اغنياء متمكنون من الجهاد فى سبيل الله رضوا بان يكونوا مع الخوالف من النساء والصبيان ومن لا حراك به وطبع الله
على قلوبهم فهم لا يعلمون قد تقدم بيانه قوله تعالى يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ
قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ سَيَحْلِفُونَ
بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞
يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۞ ثلث آيات النزول قيل نزلت الايات فى جد بن قيس
ومعتب بن قشير واصحابهما من المنافقين وكانوا ثمانين رجلا لما قدم النبى صلى الله عليه وآله المدينة راجعا من تبوك قال فلا تجالسوهم
ولا تكلموهم عن ابن عباس وقيل نزلت فى عبد الله بن ابى حلف للنبى صلى الله عليه وآله لن يتخلف عنه بعدها وطلب الى النبى صلى الله عليه وآله
ان يرضى عنه عن مقاتل المعنى ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء القوم الذين تاخروا عن الخروج مع النبى ص فقال يعتذرون اليكم من
تاخرهم عنكم بالاباطيل والكذب اذا رجعتم اليهم اى اذا انصرفتم من غزوة تبوك قل يا محمد لا تعتذروا لن نؤمن لكم اى لسنا نصدقكم على ما
تقولون قد نبأنا الله من اخباركم اى قد اخبرنا الله واعلمنا من اخباركم وحقيقة امركم ما علمنا به كذبكم وقيل انه اراد به قوله سبحانه لو خرجوا
فيكم ما زادوكم الا خبالا الاية وسيرى الله عملكم ورسوله اى سيعلم الله فيما بعد ورسوله عملكم هل تتوبون من نفاقكم ام تقيمون عليه وقيل
معناه سيعلم الله اعمالكم وعن ايمانكم فى المستقبل ويظهر به ذلك لرسوله فيعلم الرسول باعلامه اياه فيصير كالشئ المرئى لان الظهر ما يكون
الشئ ان يكون مرئيا كما علم ذلك فى الماضى فاعلم به الرسول ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اى ثم ترجعون من بعد الموت الى الله
سبحانه الذي يعلم ما غاب وما حضر ولا يخفى عليه السر والعلانية فينبئكم بما كنتم تعملون اى يخبركم باعمالكم كلها حسنها وقبيحها فيجازيكم
عليها اجمع سيحلفون بالله لكم اى سيقسم هؤلاء المنافقون المتخلفون فيما يعتذرون به اليكم ايها المؤمنون اذا انقلبتم اليهم ان تخلفوا
العذر لتعرضوا عنهم اي لتصفحوا عن جرمهم ولا توبخوهم فلا تعنفوا ثم امر سبحانه نبيه ص والمؤمنين فقال فاعرضوا عنهم اعراض رد
وتكذيب ومقت ثم بين عن سبب الاعراض فقال انهم رجس اى نجس ومعناه انهم كالشئ المنتن الذي يجب الاجتناب
عنه فاجتنبوهم كما يجتنب الانجاس ومأويهم جهنم اي مصيرهم ومآلهم ومستقرهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون اى مكافاة على ما
كانوا يكسبون من المعاصي يحلفون لكم لترضوا عنهم اى طلبا لمرضاتكم عنهم ايها المؤمنون فان ترضوا عنهم لجهلكم بحالهم فان الله لا يرضى
عن القوم الفاسقين اي الخارجين عن طاعته الى معصيته لعلمه بحالهم ومعناه انه لا ينفعهم رضاكم عنهم مع سخط الله عليهم وارتفاع
رضاه عنهم وانما قال سبحانه ذلك لئلا يتوهم انه اذا رضى المؤمنون فقد رضى الله والمراد بذلك انه اذا كان الله لا يرضى عنهم فينبغى لكم ايضا
ان لا ترضوا عنهم وفى هذا دلالة على ان من طلب بفعله رضا الناس ولم يطلب رضا الله سبحانه فان الله يسخط الناس عليه كما جاء فى
الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال من التمس رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه وارضى عنه الناس ومن التمس رضا الناس
بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس قوله تعالى الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى
رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ۞



خمس

عليم . ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة
لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم ثلث آيات القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو دايرة السوء بضم السين وفي سورة
الفتح مثله والباقون بفتح السين وقرا ورش واسمعيل عن نافع قربة بضم الراء والباقون قربة بسكون الراء الحجة قال ابو علي الدائرة لا تخلوا
اما ان تكون صفة او بمنزلة العاقبة والعافية والصفة اكثر في الكلام فينبغي ان يحمل عليها انها خلة تحيط بالانسان حتى لا يكون له منها
مخلص واضيف الى السوء او الى السوء على وجه التاكيد والزيادة في التبيين ولو لم يضف لعلم هذا المعنى منها كما ان نحو قوله شمس النهار كذلك
والسوء الرداءة والفساد وهو خلاف الصدق وليس الصدق صدق اللسان كما ان السوء ليس من سوته في المعنى وان كان اللفظ واحدا
يدلك على ذلك اذا اضفته الى ما لا يجوز عليه الصدق والكذب في الاخبار فاما دائرة السوء بالضم فكقولك دايرة الهزيمة ودائرة البلاء
فاجتمعا في جواز اضافة الدايرة اليهما من حيث اريد بكل واحدة منها الرداءة والفساد فمن قرا دائرة السوء فتقديره الاضافة الى الرداءة و
الفساد ومن قال دايرة السوء فتقديره دايرة الضرر والمكروه من قولهم سوته مساءة ومسائية والمعنيان متقاربان قال ابو الحسن دايرة
السوء كما تقول رجل السوء وانشد وكيف كذبت السوء لما رأى دما بصاحبه قوما احال على الدم فاما قوله قربة فالاصل حركة الراء والاسكان
للتخفيف كما في الرسل والكتب والاذن والطيب فاما قربات فينبغي ان تثقل لانه اذا ثقل ما اصله التخفيف نحو الظلمات والعرفات فان
يقر الحركة الثانية في الكلمة اجدر ومثل قولهم قربة وقربه وبسرة وبسرة وهديرة وهديرة حكاه محمد بن يزيد اللغة رجل عربي اذا كان من
العرب وان سكن البلاد ورجل اعرابي اذا كان في البادية والعرب صنفان عدنانية وقحطانية والفضل للعدنانية برسول الله صلى الله
عليه وآله واجدر ماخوذ من جدر الحائط وبسكون الدال وهو اصله واساسه والمغرم الغرم وهو نزول نائبة بالمال من غير جناية واصله
لزوم الامر ومنه قوله ان عذابها كان غراما اي لازما ما وجب غرام اي لازم والغريم يقال لكل واحد من المتداينين للزوم احدهما الآخر
وغرمته كذا اي الزمته اياه في ماله والتربص الانتظار ومنه التربص بالطعام لزيادة الاستعار واصله التمسك بالشيء لحاجته والدوائر
جمع دائرة وهي الحادثة من حوادث الدهر وقيل الحال المنقلبة عن النعمة الى البلية والدائرة الدولة والقربة هي طلب الحوادث والكرامة من
الله تعالى بحسن الطاعة الاعراب اجدر ان لا يعلموا ان في موضع نصب لان الباء محذوف والمعنى اجدر بترك العلم تقول انت جدير
ان تفعل وجدير بان تفعل اي هذا الفعل ميسر لك فاذا حذفت الباء لم يصلح الا بان وان اثبت الباء صلح بان وغيرها تقول انت جدير بان
تقوم وجدير بالقيام وانما صلح مع ان الحذف لان ان يدل على الاستقبال لكانها عوض عن المحذوف وصلوات الرسول عطف على قوله ما
ينفق وموضعه النصب وتقديره ويتخذ النفقة وصلوات الرسول قربات وقيل صلوات معطوف على قربات على معنى يطلبون بالانفاق
قربة الله وصلوات الرسول عن الجبائي المعنى لما تقدم ذكر المنافقين بين سبحانه ان الاعراب منهم اشد في ذلك واكثر جهلا فقال الاعراب
اشد كفرا ونفاقا يريد ان الاعراب الذين كانوا حول المدينة وانما كان كفرهم اشد لانهم اقسى واجفى من اهل المدينة وهم ايضا ابعد من سماع
التنزيل وانذار الرسول عن الزجاج ومعناه ان سكان البوادي اذا كانوا كفارا ومنافقين فهم اشد كفرا من اهل الحضر لبعدهم عن مواضع العلم
وعن استماع الحجج ومشاهدة المعجزات وبركات الوحي واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله اي وهم احرى واولى بان لا يعلموا
حدود الله في الفرايض والسنن والحلال والحرام والله عليم باحوالهم حكيم فيما يحكم به عليهم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما اي ومن
منافقي الاعراب من يعد ما ينفق في الجهاد وسبيل الخير مغرما لحقه لانه لا يرجو به ثوابا ويتربص بكم الدوائر اي صروف الزمان وحوادث الايام
والعواقب المذمومة قال الزجاج والفراء كانوا يتربصون بهم الموت او القتل فكانوا ينتظرون موت النبي صلى الله عليه وآله فيرجعون الى
دين المشركين واكثر ما تستعمل الدائرة في زوال النعمة الشديدة والعافية الى البلاء ويقولون كانت الدائرة عليهم وكانت الدائرة لهم ثم رد
سبحانه ذلك عليهم فقال عليهم دائرة السوء اي تحل هؤلاء الكفار دائرة البلاء يعني ان ما ينتظرون بكم هو لاحق بهم وهم المغلوبون ابدا والله
سميع لمقالاتهم عليم بنياتهم لا يخفى عليه شيء من حالاتهم ثم بين سبحانه الاعراب المخلصين المؤمنين فقال ومن الاعراب من يؤمن
بالله واليوم الآخر اي ومنهم من يرجع الى سلامة الاعتقاد في التصديق بالله وبالقيمة وبالجنة والنار ويتخذ ما ينفق قربات عند الله اي ويريد
بنفقته في الجهاد وغير ذلك من اعمال البر قربات جمع قربة وهي الطاعة اي طاعات عند الله وتعظيم امره ورعاية حقه وقيل معناه يتقرب

الى الله بانفاقه ويطلب بذلك ثوابه ورضاه وصلوات الرسول اى دعاءه بالخير والبركة عن قتادة وقيل استغفاره عن ابن عباس والحسن
ومعناه انه يرغب فى دعاء النبى صلى الله عليه وآله الا انها قربة لهم معناه الا ان صلوات الرسول قربة لهم تقربهم الى ثواب الله ويجوز ان يكون
المعنى نفقتهم قربة لهم الى الله سيدخلهم الله فى رحمته هذا وعد منه سبحانه بان يرحمهم ويدخلهم الجنة وفيه مبالغة بان الرحمة تغمرهم وتسعهم
ان الله غفور لذنوبهم رحيم باهل طاعته ومن محاسن الالفاظ البالغة فى الوصف بالمغفرة والرحمة قوله تعالى والسابقون الاولون من
المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجرى من تحتها الانهار الفوز العظيم آية
القراءة قرا يعقوب والانصار بالرفع وهى قراءة عمر بن الخطاب والحسن وقتادة والقراءة المشهورة والانصار بالجر وقراءة ابن كثير وحده من
تحتها بزيادة من وكذلك هى فى مصاحف مكة وقرا الباقون تحتها بغير من وعليه ساير المصاحف والمعنى واحد الحجة من قرا بالرفع عطف على
قوله السابقون ومن قرا بالجر عطف على المهاجرين واما قوله والذين اتبعوهم باحسان فيجوز ان يكون معطوفا على الانصار فى رفعه وجره ويجوز
ان يكون معطوفا على السابقون وان يكون معطوفا على الانصار اولى لقربه الاعراب السابقون مبتداء والاولون صفته من المهاجرين تبيين
لهم والذين اتبعوهم ان حملته على السابقون كان مرفوعا وان حملته على الانصار كان مجرورا وخبر الاسماء كلها رضى الله عنهم ورضوا عنه واعد
لهم عطف على رضى الله فالوقف قوله خالدين فيها ابدا النزول قيل نزلت هذه الآية فيمن صلى الى القبلتين عن سعيد بن المسيب والحسن
وابن سيرين وقتادة وقيل نزلت فيمن بايع بيعة الرضوان وهى بيعة الحديبية عن الشعبى قال من اسلم بعد ذلك وهاجر فليس من المهاجرين
الاولين وقيل هم اهل بدر عن عطاء بن ابي رباح وقيل هم الذين اسلموا قبل الهجرة عن الجبائى المعنى لما تقدم ذكر المنافقين والكفار عقبه
سبحانه بذكر السابقين الى الايمان فقال والسابقون الاولون اي السابقون الى الايمان والى الطاعات وانما مدحهم بالسبق لان السابق
الى الشئ يتبعه غيره فيكون متبوعا وغيره تابعا له فهو امام فيه وداع له الى الخير لسبقه اليه وكذلك من سبق الى الشر يكون اسوء حالا من
المهاجرين الذين هاجروا من مكة الى المدينة والى الحبشة والانصار بالرفع لم يجعلهم من السابقين وجعل السبق للمهاجرين خاصة
والذين اتبعوهم باحسان اى بافعال الخير والدخول فى الاسلام بعدهم وسلوك منهاجهم ويدخل فى ذلك من يجئ بعدهم الى يوم القيمة
رضى الله عنهم ورضوا عنه اخبر سبحانه انه رضى عنهم ورضى افعالهم ورضوا عن الله سبحانه لما اجزل لهم من الثواب على طاعاتهم وايمانهم
واعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا يبقون فيها ببقاء الله منعمين ذلك الفوز العظيم اي الفلاح العظيم الذى يصغر
فى جنبه كل نعيم وفى هذه الآية دلالة على فضل السابقين ومزيتهم على غيرهم لما لحقهم من انواع المشقة فى نصرة الدين فمنها مفارقة العشاير
والاقربين ومنها مباينة المالوف من الدين ومنها نصرة الاسلام مع قلة العدد وكثرة العدو ومنها السبق الى الايمان والدعاء اليه
واختلف فى اول من اسلم فقال ان اول من آمن خديجة بنت خويلد ثم على بن ابى طالب وهو قول ابن عباس وجابر بن عبد الله وانس وزيد
بن ارقم ومجاهد وقتادة وابن اسحق وغيرهم قال انس بعث النبى صلى الله عليه وآله يوم الاثنين وصلى علي واسلم يوم الثلثا وقال مجاهد
وابن اسحق انه اسلم وهو ابن عشر سنين وكان مع رسول الله صلى الله عليه وآله اخذه من ابي طالب وضمه الى نفسه يربيه فى حجره وكان
معه حتى بعث نبيا وقال الكلبي انه اسلم وله سبع سنين وقيل اثنى عشر سنة عن ابى الاسود قال السيد ابو طالب الهروي وهو الصحيح
وفى تفسير الثعلبي روى اسمعيل بن اياس بن عفيف عن ابيه عن جده عفيف قال كنت امرءا تاجرا فقدمت مكة ايام الحج فنزلت على العباس
بن عبد المطلب وكان العباس لى صديقا وكان يختلف الى اليمن يشترى العطر فيبيعه ايام الموسم فبينا انا والعباس بمنى اذ جاء رجل
شاب حين حلقت الشمس فى السماء فرمى ببصره الى السماء ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلها فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه فلم يلبث
ان جاءت امراة فقامت خلفهما فركع الشاب فركع الغلام والمراة فخر الشاب ساجدا فسجدا معه فرفع الشاب ورفع الغلام والمراة
فقلت يا عباس امر عظيم فقال امر عظيم قلت ويحك ما هذا قال هذا ابن اخى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يزعم ان الله بعثه رسولا وان
كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه وهذا الغلام على بن ابى طالب وهذه المراة خديجة بنت خويلد زوجة محمد تابعاه على دينه وايم الله ما
على ظهر الارض كلها احد على هذا الدين غير هؤلاء قال عفيف السدى بعد ما اسلم ورسخ الاسلام فى قلبه يا ليتنى كنت رابعا وروى ان
ابا طالب قال لعلي اي بني ما هذا الدين الذي انت عليه فقال يا ابت امنت بالله ورسوله وصدقته فيما جاء به وصليت معه لله فقال

له

لما الا ان محمدا لا يدعوا الا الى خير فالزمه وروى عبد الله بن موسى عن العلا بن صالح عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله قال سمعت عليا
يقول انا عبد الله واخو رسوله وانا الصديق الاكبر لا يقولها بعدي الا كذاب مفتر صليت قبل الناس بسبع سنين وفي مسند السيد ابي طالب
الهروي مرفوعا الى ابي ايوب عن النبي صلى الله عليه وآله قال صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين وذلك انه لم يصل فيها احد غيري
وغيره وقيل ان اول من اسلم بعد خديجة ابو بكر عن ابرهيم النخعي وقيل ان اول من اسلم بعدها زيد بن حارثة عن الزهري وسليمان بن
يسار وعروة بن الزبير وروى الحاكم ابو القسم الحسكاني باسناده مرفوعا الى عبد الرحمن بن عوف في قوله والسابقون الاولون قال هم عشرة
من قريش اولهم اسلاما علي بن ابي طالب عليه السلم **قوله تعالى** وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى
النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ • وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا
صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ • آيتان **اللغة** حول الشيء المحيط به من حال
يحول اذا دار بالانقلاب ومنه الحول للسنة والحالة لانها تدور والمحور والمرود اصله الملاسة ومنه صرح ممرد اي مملس والامرد الذي لا شعر
على وجهه والمرد الرملة التي لا تنبت شيئا ذكره علي بن عيسى وقيل اصله الظهور والمارد الذي ظهر شره وشجر مرد اذا تساقط ورقها فظهرت
عيدانها ورجل امرد لظهور مكان الشعر منه عن ابن عرفه ومرد الرجل يمرد مرودا اذا عتا وخرج من الطاعة داعيا خبثا ومنه شيطان مارد
ومريد وفي المثل تمرد مارد وعز الابلق وهما حصنان **الاعراب** ومن اهل المدينة مردوا اي قوم مردوا فحذف الموصوف ويجوز ان يكون ومن
اهل المدينة منافقون مردوا على النفاق ففصل بين الصفة والموصوف بالظرف وآخرون اعترفوا معطوف على قوله من الاعراب منافقون
وكذا وآخرون مرجون وان شئت قدرت ومنهم آخرون **المعنى** ثم عاد الكلام الى ذكر المنافقين فقال سبحانه وممن حولكم اي ومن
جملة من حولكم يعني حول مدينتكم من الاعراب وهم الذين يسكنون البدو اذا كانوا مطوعين على العرب منافقون يظهرون الايمان و
يبطنون الكفر وقيل انهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار وكان منازلهم حول المدينة ومن اهل المدينة ايضا منافقون والحذف
لدلالة الاول عليه مردوا على النفاق اي مردوا على النفاق وتجرءوا عليه عن الفراء وقيل معناه اقاموا اي اقاموا عليه لم يتوبوا منه كما تاب غيرهم
عن ابن زيد وابان بن تغلب وقيل معناه لجوا فيه وابوا غيره عن ابن اسحق وقيل فيه تقديم وتاخير وتقديره ومن حولكم من الاعراب
منافقون مردوا على النفاق ومن اهل المدينة ايضا مثل ذلك عن الزجاج لا تعلمهم يا محمد اي لا تعرفهم نحن نعلمهم اي نعرفهم سنعذبهم
مرتين فيه اقوال احدها ان معناه نعذبهم في الدنيا بالفضيحة فان النبي صلى الله عليه وآله ذكر رجالا منهم واخرجهم من المسجد يوم الجمعة
في خطبته وقال اخرجوا فانكم منافقون ونعذبهم في القبر عن ابن عباس والسدي والكلبي وقيل مرة في الدنيا بالقتل والسبي ومرة بعذاب
القبر عن مجاهد وروي حصيف عنه عذبوا بالجوع مرتين وقيل احدهما اخذ الزكوة منهم والاخرى عذاب القبر عن الحسن وقيل احديهما
غيظهم من اهل الاسلام والاخرى عذاب القبر عن ابن اسحق وقيل ان الاولى ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم
والاخرى عذاب القبر وقيل ان الاولى اقامة الحدود عليهم والاخرى عذاب القبر عن ابن عباس وكل ذلك يحتمل غير انا نعلم ان المرتين
معا قبل ان يردوا الى عذاب النار ثم يردون الى عذاب عظيم اي يرجعون يوم القيمة الى عذاب مؤبد في النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم
يعني ومن اهل المدينة او من الاعراب آخرون اقروا بذنوبهم وليس براجع الى المنافقين والاعتراف الاقرار بالشيء عن معرفة خلطوا
عملا صالحا وآخر سيئا يعني انهم يفعلون من الافعال افعالا جميلة ويفعلون افعالا قبيحة والتقدير وعملا آخر سيئا عسى الله ان يتوب
عليهم قال المفسرون عسى من الله واجبة وانما قال عسى حتى يكونوا بين طمع واشفاق فيكون ذلك ابعد من الاتكال على العفو واهمال التوبة
وفي هذا دلالة على بطلان القول بالاحباط لانه لو صح الاحباط لكان احد العملين اذا طرا على الآخر احبطه وابطله فلم يجتمعا فلا يكون
لقوله خلطوا معنى وقال بعض التابعين ما في القرآن آية ارجى لهذه الامة من هذه الآية وقد يستعمل لفظ الخلط في الجمع من غير امتزاج يقال
يقال خلطت الدراهم والدنانير وقيل انه يجري مجرى قولهم استوى الماء والخشبة اي مع الخشبة وقيل ان خلط بالتخفيف في الخير وخلط
بالتشديد في الشر ان الله غفور رحيم هذا تعليل لقبول التوبة من العصاة اي لانه غفور رحيم **القصة** قال ابو حمزة الثمالي بلغنا انهم
• ثلثة نفر من الانصار ابو لبابة بن عبد المنذر وثعلبة بن وديعة واوس بن حذام تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله في مخرجه الى تبوك

فلما بلغهم ما انزل الله فيمن تخلف عنه ايقنوا بالهلاك واوثقوا انفسهم بسوارى المسجد فلم يزالوا كذلك حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وآله
فذكر له انهم لا يحلون انفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وآله يحلهم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وانا اقسم ان لا اكون اول من حلهم الا ان
اومر فيهم بامر فلما نزل عسى الله ان يتوب عليهم عمد رسول الله صلى الله عليه وآله اليهم فحلهم فانطلقوا فجاؤا باموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا
هذه اموالنا التى خلفتنا عنك فخذها وتصدق بها عنا قال عم ما امرت فيها بامر فنزل خذ من اموالهم صدقة الايات وقيل انهم كانوا
عشرة رهط منهم ابو لبابة عن على بن ابى طلحة عن ابن عباس وقيل كانوا ثمانية منهم ابو لبابة وهلال وكردم وابو قيس عن سعيد بن جبير
وزيد بن اسلم وقيل كانوا سبعة عن قتادة وقيل كانوا خمسة وروى عن ابى جعفر الباقر ع انها نزلت فى ابى لبابة ولم يذكر معه غيره
وسبب نزولها فيه ما جرى منه فى بنى قريظة حين قال ان نزلتم على حكمه فهو الذبح وبه قال مجاهد وقيل نزلت فيه خاصة حين تأخر
عن النبى صلى الله عليه وآله فى غزوة تبوك فربط نفسه بسارية على ما تقدم ذكره عن الزهرى قال ثم قال ابو لبابة ان من توبتى ان اهجر دار
قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى كله فقال يجزيك يا ابا لبابة الثلث وفى جميع الاقوال اخذ رسول الله صلى الله عليه
وآله ثلث اموالهم وترك الثلثين لان الله تعالى قال خذ من اموالهم ولم يقل خذ اموالهم قوله تعالى خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ
وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ
الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ
إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ ثلث ايات القراءة قرا اهل الكوفة غير ابى بكر ان صلوتك وفى هود ا
صلوتك على التوحيد وقرا الباقون ان صلواتك واصلواتك على الجمع الحجة قال ابو على الصلوة فى اللغة الدعاء قال الاعشى فى الخمر فقابلها
الريح فى دنها وصلى على دنها وارتسم فكان معنى صل عليهم ادع لهم فان دعائك لهم تسكن اليه نفوسهم وتطيب به قلوبهم فاما قوله هو
صلى الله على رسوله وملائكته فلا يقال فيه دعاء له من الله تعالى كما لا يقال فى ويل للمطففين ونحوه انه دعاء عليهم ولكن المعنى فيه ان هؤلاء
ممن يستحق عندكم ان يقال فيهم هذا النحو من الكلام وكذلك قوله بل عجبت ويسخرون فيمن ضم التاء وهذا مذهب سيبويه فاذا كانت الصلوة
مصدرا وقع على الجمع والمفرد على لفظ واحد كصوت الحمير فاذا اختلف جاز ان يجمع لاختلاف ضروبه كما قال ان انكر الاصوات فاما
من زعم ان الصلوة اولى لان الصلوة للكثرة والصلوات للقليل فلم يكن قوله متجها لان الجمع بالتاء قد يقع على الكثير كما يقع على القليل
كقوله وهم فى الغرفات امنون وقوله ان المسلمين والمسلمات وقوله ان المصدقين قد يقع هذا الجمع على الكثير كما يقع على القليل
الاعراب قوله تطهرهم انما ارتفع لاحد امرين اما ان يكون صفة لصدقة ويكون التاء للتانيث ويكون قوله بها للتبيين ويكون التقدير
صدقة مطهرة واما ان يكون التاء خطابا للنبى صلى الله عليه وآله والتقدير فانك تطهرهم بها فيكون صفة لصدقة ايضا ويكون الضمير فى بها
للصدقة الموصوفة واما تزكيهم فلا يكون الا للخطاب وقيل ان تطهرهم يجوز ان يكون على الاستيناف وحمله على الاتصال اولى المعنى
ثم خاطب النبى صلى الله عليه وآله وامره باخذ الصدقة من اموالهم تطهيرا لهم وتكفيرا لسيئاتهم فقال خذ يا محمد من اموالهم ادخل من
للتبعيض لانه لم يجب ان يتصدق بالجميع وانما قال من اموالهم ولم يقل من مالهم حتى يشتمل على اجناس المال كلها وهذا يدل على وجوب
الاخذ من ساير اموال المسلمين لاستوائهم فى احكام الدين الا ما خصه الدليل صدقة قيل اراد بها الامر بان يأخذ الصدقة من اموال
هؤلاء تشديدا للتكليف وليست بالصدقة المفروضة بل على طريق الكفارة للذنوب التى اصابوها عن الحسن وغيره وقيل اراد بها الزكوة
المفروضة عن الجبائى واكثر اهل التفسير وهو الظاهر لان حمله على الخصوص بغير دليل لا وجه له فيكون امرا بان يأخذ من المالكين
النصاب الزكوة من الورق اذا بلغ مائتى درهم ومن الذهب اذا بلغ عشرين مثقالا ومن الابل اذا بلغت خمسا ومن البقر اذا بلغت
ثلثين ومن الغنم اذا بلغت اربعين ومن الغلات والثمار اذا بلغت خمسة اوسق تطهرهم وتزكيهم بها معناه تطهرهم تلك الصدقة
عن دنس الذنوب وتزكيهم انت بها اى تنميهم الى الزكوة اى تدعوا لهم بما يصيرون به ازكياء وقيل معناه تطهرهم انت وتزكيهم انت بها
فيكون كلا الفعلين مضافا الى النبى صلى الله عليه وآله وصل عليهم هذا امر من الله تعالى للنبى صلى الله عليه وآله ان يدعو لمن يأخذ منه
الصدقة ومعناه ادع لهم بقبول صدقاتهم كما يقول الداعى آجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما بقيت وروى عن النبى صلى الله .

الله عليه وآله انه كان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم قال عبد الله بن ابي اوفى وكان من اصحاب الشجرة فاتاه ابن ابي اوفى
بصدقته فقال اللهم صل على آل ابي اوفى اورده البخاري ومسلم في الصحيح ان صلوتك سكن لهم اي ان دعواتك مما تسكن نفوسهم
اليه وقيل رحمة لهم عن ابن عباس وقيل وقار وطمانينة لهم ان الله قد قبل منهم عن قتادة والكلبي وقيل تثبيت لهم عن ابي عبيدة
والله سميع عليم يسمع دعاءك لهم ويعلم ما يكون منهم في الصدقات الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده استفهام يراد به
التنبيه على ما يجب ان يعلم فالمخاطب اذا رجع الى نفسه وفكر فيما نبه عليه علم وجوبه وانما وجب ان الله يقبل التوبة لانه اذا علم
التوبة كان ذلك باعثا له على فعل التوبة والتمسك بها والمسارعة اليها وما هذه صورته يجب العلم به ليحصل به الفوز بالثواب والخلاص
عن العقاب والسبب فيه انهم لما سألوا النبي صلى الله عليه وآله بان ياخذ من اموالهم ما يكون كفارة لذنوبهم امتنع من ذلك وانتظر
الاذن من الله سبحانه فيه فبين الله انه ليس قبول التوبة الى النبي صلى الله عليه وآله وان ذلك الى الله تعالى فانه الذي يقبلها ويأخذ
الصدقات اي يقبلها ويضمن الجزاء عليها قال الجبائي جعل الله اخذ النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين للصدقات اخذا من الله على
وجه التشبيه والمجاز من حيث كان بامره وقد ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تصل
الى يد السائل والمراد بذلك انما نزل هذا التنزيل ترغيبا للعباد في فعلها وذلك يرجع الى تضمن الجزاء عليها وان الله هو التواب الرحيم
عطف على ما قبله ولذلك فتح ان وقد مر تفسيره وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون هذا امر من الله سبحانه لنبيه ص ان يقول
للمكلفين اعملوا ما امركم الله به عمل من يعلم انه مجازى على فعله فان الله سيرى عملكم وانما دخل سين الاستقبال لان ما لم يحدث لا تعلق
به الرؤية فكانه قال كل ما تعملونه يراه الله تعالى وقيل اراد بالرؤية ههنا العلم الذي هو المعرفة ولذلك عداه الى مفعول واحد اي يعلم
الله تعالى ذلك فيجازيكم عليه ويراه رسوله او يعلمه فيشهد لكم بذلك عند الله تعالى ويراه المؤمنون قيل اراد بالمؤمنين الشهداء وقيل
اراد بهم الملائكة الذين هم الحفظة الذين يكتبون الاعمال وروى اصحابنا ان اعمال الامة تعرض على النبي صلى الله عليه وآله في كل اثنين
وخميس فيعرفها وكذلك تعرض على ائمة الهدى عليهم السلم فيعرفونها وهم المعنيون بقوله والمؤمنون وانما قال سيرى الله مع انه سبحانه
عالم بالاشياء قبل وجودها لان المراد انه سيعلمها موجودة بعد ان علمها معدومة وكونه عالما بوجودها اذا وجدت لا يتجدد له حال
بذلك وستردون الى عالم الغيب والشهادة اي سترجعون الى الله الذي يعلم السر والعلانية فينبئكم اي يخبركم بما كنتم تعملون ويجازيكم عليه

قوله تعالى وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم ● اية القراءة قرا اهل
المدينة والكوفة غير ابي بكر مرجون بغير همز والباقون مرجؤن بالهمز الحجة قال الازهري الارجاء همز ولا همز ارجات الامر
وارجيته اخرته وارجات الحامل دنت لان يخرج ولدها فهي مرجي ومرجية وارجت بغير همز ايضا النزول قال مجاهد وقتادة
نزلت الآية في هلال بن امية الواقفي ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهم من الاوس والخزرج وكان كعب بن مالك رجل
صدق غير مطعون عليه وانما تخلف توانيا عن الاستعداد حتى فاته المسير وانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله فقال مالي عذر
ولم يعتذر اليه بالكذب فقال عم صدقت قم حتى يقضي الله فيك وجاء الآخران فقالا مثل ذلك وصدقا فنهى رسول الله صم
عن مكالمتهم وامر نساءهم باعتزالهم حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت فاقاموا على ذلك خمسين ليلة وبنى كعب خيمة على سلع
يكون فيها وحده وقال في ذلك ابعد دور بني القين الكرام وما شادوا على بنيت البيت من سعف ثم نزلت التوبة عليهم بعد
الخمسين في الليل وهي قوله وعلى الثلثة الذين خلفوا الاية فاصبح المسلمين يبتدرونهم ويبشرونهم قال كعب جئت الى رسول
الله صلى الله عليه وآله في المسجد وكان اذا سر يستبشر كان وجهه فلقة قمر فقال لي ووجهه يبرق من السرور ابشر بخير يوم طلع
عليك شرفه منذ ولدتك امك قال كعب فقلت امن عند الله او من عندك يا رسول الله فقال بل من عند الله وتصدق كعب
بثلث ماله شكرا لله على توبته المعنى ثم عطف على ما قبله من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم فقال وآخرون مرجون لامر الله
اي مؤخرون موقوفون لما يرد من الله تعالى فيهم اما يعذبهم واما يتوب عليهم لفظة اما لوقوع احد الشيئين والله سبحانه عالم
بما يصير اليه امرهم ولكنه سبحانه خاطب العباد بما عندهم ومعناه لكن امرهم عندكم على هذا اي على الخوف والرجا وهذا يدل على

صحة مذهبنا في جواز العفو عن العصاة لانه سبحانه بين ان قوما من العصاة يكون امرهم الى الله تعالى ان شاء عذبهم وان شاء
قبل توبتهم فعفا عنهم ويدل على ان قبول التوبة تفضل من الله سبحانه لانه لو كان واجبا لما جاز تعليقه بالمشية والله عليم بما يؤل
اليه حالهم حكيم بما يفعله بهم قوله تعالى وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ
يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ۝ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ
خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ
الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ اربع ايات القراءة قرا اهل المدينة
وابن عامر الذين اتخذوا بغير واو والباقون بالواو وقرا نافع وابن عامر اسس بضم الالف بنيانه بالرفع في الموضعين وقرا الباقون
اسس بنيانه فيهما وفي الشواذ قراءة نصر بن عاصم أُسُس بنيانه على وزن فُعُل وقراءة نصر بن علي اساس بنيانه وآسّ بنيانه وقراءة
ابن عامر وحمزة وحماد ويحيى عن ابي بكر وخلف جرف بالتخفيف والباقون بالتثقيل وقراءة يعقوب وسهل الى ان على حرف الجر وهو
قراءة الحسن وقتادة والجحدري وجماعة ورواه البرقي عن ابي عبد الله عليه السلم والباقون الا ان مشددة اللام وقرا ابو جعفر وابن
عامر وحمزة تقطع بضم التاء مشددة الحجة من اثبت الواو في الذين عطفه على ما تقدم والتقدير ومنهم الذين اتخذوا مسجدا ومن
حذف الواو ابتداء الكلام واضمر الخبر بعده كما اضمر في قوله الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الى قوله والباد ومن
فيهم نعم منهم او يعذبون ونحو ذلك وحسن الحذف في الموضعين لطول الكلام بالمبتدا وصلته ويجوز ان يكون على ان يضمر ومنهم
فيكون تقديره ومنهم الذين اتخذوا كما اضمرت الحرف مع الفعل في قوله واما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم اي فيقال لهم
اكفرتم ولا يجوز ان يكون الذين بدلا من قوله وآخرون مرجون لان المرجين لامر الله غير الذين اتخذوا مسجدا ضرارا فلا يجوز ان يبدلوا عنهم
ومن قرا اسس بنيانه بنى الفعل للفاعل كما اضيف البنيان اليه في قوله بنيانه فالمصدر مضاف الى الفاعل والثاني والمؤسس واحد ومن
بنى الفعل للمفعول به لم يبعد ان يكون في المعنى كالاول لانه اذا اسس بنيانه وتولى ذلك غيره بامره كان كبنائه هو له فاما من
قرا اس بنيانه في الموضعين واساس بنيانه بالاضافة فانهما بمعنى واحد وجمع الاساس اساس كقفل واقفال وجمع الاساس
اساس واسس واما الحرف فالاصل فيه ضم العين والاسكان تخفيف ومثله الثقل والثقل والطنب والطنب ومن قرا الا ان تقطع
قلوبهم فمعناه تبلى وتقطع بالبلى اي لا تثلج قلوبهم بالايمان ابدا ومن قرا تقطع بضم التاء فهو في المعنى مثل الاول الا ان الفعل
اضيف الى المقطع المبلي للقلوب بالموت وفي الاول اسند الى القلوب لما كانت هي البالية وهذا مثل مات زيد وسقط الحايط ونحو
ذلك مما اسند فيه الفعل الى من حدث فيه وان يكن منه وتقطع سنده والفعل فيه الى المقطع المبلي وان لم يذكر في اللفظ فاسند
الفعل الذي هو لغير القلوب في الحقيقة الى القلوب ومن قرا الى ان تقطع فانه جعله على الغاية ونعوا ان فحرف الجر الحق المات
وهذا يدل على انهم يموتون على نفاقهم فاذا ما توا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الايمان واعتقدوا به من الكفر اللغة الضرار هو
طلب الضرر ومحاولته كما ان الشقاق محاولة ما يشق يقال ضاره مضارة وضرارا والارصاد الارتقاب تقول رصده يرصده رصدا
وارصد له ارصادا اي قال الكسائي رصدته ترقبته وارصدته اعددته والبنيان مصدر قال ابو علي وهو جمع على واحد شعيرة وشعير
لانهم قالوا بنيانه في الواحد قال اوس كبنيانة القرئ موضع رحلها واثار نسعيها من الدف ابلق وجاء بنا المصادر على هذا المثال
في غير هذا الحرف نحو الغفران وليس بنيان جمع بناء لان فعلانا اذا كان جمعا نحو كثبان وقضبان لم يلحقه تاء التانيث وقال ابو زيد
بنيت ابني بنيا وبنيانا وبناء وبنيه وجماعها البناء قال بنى السماء فسويها بنيتها ولم تمد باطناب ولا عمد فالبناء والبنية مصدران
ومن ثم قوبل به الفراش في قوله جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء فالبناء لما كان رفعا للمبنى قوبل به الفراش الذي هو خلاف
البناء والتقوى خصلة من الطاعة يحترز بها من العقوبة والمتقي صفة مدح لا يطلق الا على مستحق الثواب وواو تقوى مبدلة من
الياء لانها من تقيت وانما ابدلت للفرق بين الاسم والصفة في الابنية والصفة مثل جرفا والشفا جرف الشيء وشفيره وحرفه نهايته

نحرب

في المساحة وشيء سفوان جرف الوادي جانبه الذي يحفر بالماء اصله وهو من الجرف والاجتراف وهو اقتلاع الشيء من اصله وهار الجرف
يهور هورا فهو هاير ويهور وانهار ويقال ايضا هار يهار وهار اصله هاير وهو من المقلوب كما يقال لاث الشيء به اذا دار فهو لاث
والاصل لايث وكما قالوا شاكي السلاح اي شايك قال فتعرفوني انني انا ذاكم شاك سلاحي في الحوادث معلم وكما قال العجاج لاث به
الاشاء والعبري الاشاء النخل والعبري السدر الذي على شاطي الانهار اي مطيف به قال ابو علي والهمزة من هاير منقلبة عن الواو لانهم
قالوا تهور البناء اذا تساقط وتداعى وفي الحديث سار ليلة حتى اهار الليل اي سار حتى تهور فهذا في الليل كالمثل والتشبيه بالبناء
والانهيار يتقاربان في المعنى كما يتقاربان في اللفظ الاعراب قد ذكرنا اعراب قوله والذين اتخذوا في الحجة ويجوز ان يكون مبتدأ
وخبره لا تقم فيه ابدا كما تقول والذي يدعوك الى الغي فلا يسمع الدعاء وتقديره فلا تسمع دعاءه وكذلك التقدير في الآية لا تقم في مسجدهم
ابدا فحذف للاختصار ويجوز ان يكون خبر الذين قوله افمن اسس بنيانه من هؤلاء امن اسس من الذين اتخذوا ضرارا منصوب على
انه مفعول له وكذلك ما بعده من المعنى اتخذوه للضرار وللكفر وللتفريق وللارصاد فلما حذف اللام افضى الفعل فنصب ويجوز
ان يكون مصدرا محمولا على المعنى لان اتخاذهم المسجد على غير التقوى معناه ضاروا به ضرارا من اول يوم دخلت من في الزمان والاصل
منذ ومذ هذا الاكثر استعمالا في الزمان ومن جائز دخولها ايضا لانها الاصل في ابتداء الغاية والتبعيض ومنه قول زهير لمن الديار
بقنة الحجر اقوين من حجج ومن شهر ويروى ومن دهر وقد قيل ان المعنى من مر حجج ومن مر شهر ان تقوم في موضع نصب اي احق بان
تقوم فيه وفيه منصوب الموضع بقوله تقوم وفيه من قوله فيه رجال في موضع رفع لانه خبر مبتدأ مقدم عليه والمبتدأ رجال ولا يجوز
ان يكون مرفوع الموضع بكونه وصفا للمسجد بل هو على الاستيناف وعلى الوقف التام على قوله احق ان تقوم فيه ثم استونف الكلام
فقال فيه رجال وانما قلنا ذلك لانك لو جعلت الطريق الذي هو فيه وصفا للمسجد لكنت فصلت بين النكرة وصفتها بالخبر الذي هو
احق وقوله افمن اسس بنيانه على تقوى من الله قال ابو علي القول فيه انه يجوز ان يكون المعادلة وقعت بين البانيين ويجوز ان يكون
البنائين فاذا عادلت بين البانيين كان المعنى المؤسس بنيانه متقيا خير ام المؤسس بنيانه غير متق لان قوله شفا جرف يدل على ان
بانيه غير متق لله تعالى ولا خاش له ويجوز ان يقدر حذف المضاف كانه ابناء من اسس بنيانه متقيا خير ام بناء من اسس بنيانه على
شفا جرف والبنيان مصدر وقع على المبني مثل الخلق اذا عنيت به المخلوق وضرب الامير اذا عنيت به المضروب وكذلك نسج اليمن
يدلك على ان ذلك لا يخلو من ان يراد به اسم الحدث او الحدث فلا يكون الحدث لانه انما يؤسس المبني الذي هو عين ويبين ذلك ايضا قوله
على شفا جرف والحدث لا يحل شفا جرف والجار في قوله على تقوى من الله وقوله على شفا جرف هار في موضع نصب على الحال تقديره افمن
اسس بنيانه متقيا خير ام من اسس بنيانه غير متق اي معاقب على بنائه وفاعل انهار البنيان بالياء في نار جهنم لانه معصية وفعل لما
كرهه الله تعالى من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين ومن امال هار فقد احسن لما في الراء من التكرير فكانك لفظت براءين
مكسورتين فحسب لكثرة الكسرات حسنت الامالة ومن لم يمل فلان ترك الامالة هو الاصل وقوله الا ان تقطع قلوبهم موضع ان تقطع
نصب تقديره الا على تقطع قلوبهم غير ان حرف الاضافة يحذف مع ان ولا يحذف مع المصدر ومعنى الا ههنا حتى لانه استثناء من
الزمان المستقبل والاستثناء فيه منتهى اليه فاجتمعت مع حتى في هذا الموضع على هذا المعنى النزول قال المفسرون ان بني عمرو بن عوف
اتخذوا مسجد قبا وبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدهم جماعة من المنافقين من بني غنم بن عوف
فقالوا نبني مسجدا نصلي فيه ولا نحضر جماعة محمد وكانوا اثني عشر رجلا وقيل خمسة عشر رجلا منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير ونبتل
بن الحرث فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا فلما فرغوا منه اتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا
قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة وانا نحب ان تاتينا فتصلي فيه وتدعو لنا بالبركة فقال ع اني على جناح سفر ولو قدمنا
اتيناكم ان شاء الله وصلينا لكم فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله من تبوك نزلت عليه الآية في شان المسجد المعنى
ثم ذكر سبحانه جماعة اخرى بنوا للتفريق بين المسلمين وطلب الغوائل للمؤمنين فقال والذين اتخذوا مسجدا والمسجد موضع السجود
في الاصل وصار في العرف اسما لبقعة مخصوصة مبنية للصلوة فالاسم عرفي فيه معنى اللغة ضرارا اي مضارة يعني للضرر باهل

مسجد قبا او مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله لتصلي الجمع فيه وكفرا اى ولاقامة الكفر فيه وقيل اراد انه كان اعتقادهم ذلك كفرا بالله وقيل ليكفروا
فيه بالطعن على رسول الله والاسلام وتفريقا بين المؤمنين اى لاختلاف الكلمة وابطال الالفة وتفريق الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل اى ارصدوا ذلك المسجد واتخذوه واعدوه لابي عامر الراهب وهو الذي حارب الله ورسوله
من قبل وكان من قصته انه كان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة حسده وحزب
عليه الاحزاب ثم هرب بعد فتح مكة الى الطايف فلما اسلم اهل الطايف لحق بالشام وخرج الى الروم وتنصر وهو ابو حنظلة غسيل
الملائكة الذي قتل مع النبي صلى الله عليه وآله يوم احد وكان جنبا فغسلته الملائكة وسمى رسول الله صلى الله عليه وآله ابا عامر الفاسق
وكان قد ارسل الى المنافقين بني عمرو ان يجيئهم ابو عامر فمات قبل ان يبلغ ملك الروم وليحلفن ان اردنا الا الحسنى معناه ان
هؤلاء يحلفون كاذبين ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الفعلة الحسنى من التوسعة على اهل الضعف والعلة من المسلمين فاطلع الله
نبيه على فساد طويتهم وخبث سريرتهم فقال والله يشهد انهم لكاذبون وكفى بمن شهد الله سبحانه بكذبه خزيا فوجه رسول الله صلعم
عند قدومه من تبوك عاصم بن عوف العجلاني ومالك بن الدخشم وكان مالك من بني عمرو بن عوف فقال لهما انطلقا الى هذا المسجد
الظالم اهله فاهدماه وحرقاه وروى انه بعث عمار بن ياسر ووحشيا فحرقاه وامر بان يتخذ كناسة يلقى فيها الزبل والجيف ثم نهى الله
سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله ان يقوم في هذا المسجد فقال لا تقم فيه ابدا اى لا تصل فيه ابدا يقال فلان يقوم بالليل اى يصلي ثم اقسم
فقال لمسجد اى والله لمسجد اسس على التقوى اى بني اصله على تقوى الله وطاعته من اول يوم اى منذ اول يوم وضع اساسه عن المبرد
احق ان تقوم فيه اي اولى بان يصلي فيه واختلف في هذا المسجد فقيل هو مسجد قبا عن ابن عباس والحسن وعروة بن الزبير وقيل هو مسجد
رسول الله صلى الله عليه وآله عن زيد بن ثابت وابي عمر وابي سعيد الخدري وروي هو عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال هو مسجدي هذا
وقيل هو كل مسجد بني للاسلام واريد به وجه الله عن ابي مسلم ثم وصف المسجد واهله فقال فيه اى في هذا المسجد الذي اسس على التقوى
رجال يحبون ان يتطهروا اى يحبون ان يصلوا لله تعالى متطهرين بابلغ الطهارة وقيل يحبون ان يتطهروا من الذنوب عن الحسن وقيل
يحبون ان يتطهروا بالماء عن الغايط والبول وهو المروي عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلم وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه
قال لاهل قبا ماذا تفعلون في طهركم فان الله قد احسن عليكم الثناء قالوا نغسل اثر الغايط فقال انزل الله فيكم والله يحب المطهرين

المطهرين اي م

ثم فرق سبحانه الفرق بين المسجدين فقال افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار وقد
مضى بيانه والمراد ان الله تعالى شبه بنيانهم على نار جهنم بالبناء على جانب نهر هذا صفته فكما ان من بنى على جانب هذا النهر فانه
ينهار بناؤه ولا يثبت فكذلك بناء هؤلاء ينهار ويسقط في نار جهنم يعني انه لا يستوي عمل التقي وعمل المنافق فان عمل التقي من المتقي
ثابت مستقيم مبني على اصل صحيح ثابت وعمل المنافق ليس بثابت وهو واه ساقط والالف في قوله افمن الف استفهام يراد به الانكار
ههنا وليس معنى خير في الاية افضل كما يقال هذا خير وهذا شر قال الشاعر والخير والشر مقرونان في قرن فالخير متبع والشر محذور واما
قوله فافعلوا الخير فان معناه وافعلوا الافضل وقوله فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين مر بيانه وروي عن جابر بن
عبد الله انه قال رايت المسجد الذي بني ضرارا يخرج منه الدخان لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم اى لا يزال بناء الشيء الذي
بنوه شكا في قلوبهم فيما كان من اظهار اسلامهم وثباتا على النفاق وقيل معناه حرارة في قلوبهم وقيل حسرة في قلوبهم يترددون فيها
الا ان تقطع قلوبهم معناه الا ان يموتوا والمراد بالآية انهم لا ينزعون عن الخطيئة ولا يتوبون حتى يموتوا على نفاقهم وكفرهم فاذا ماتوا
عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الايمان واخذوا به من الكفر وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم
والله عليم حكيم اى عليم بنيتهم في بناء مسجد الضرار حكيم في امره بنقضه والمنع من الصلوة فيه **قوله تعالى** إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَمَنْ
أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ
السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ

آية

آيتان القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم فيقتلون بضم الياء والباقون فيقتلون بفتح الياء ويقتلون بضمها وفي قراءة ابي وعبد الله بن
مسعود والاعمش التائبين العابدين بالياء الى آخرها وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم الحجة قال ابو علي من قرأ فيقتلون ويقتلون
فقدم الفعل المسند الى الفاعل فلانهم يقتلون اولا في سبيل الله ويقتلون ولا يقتلون اذا قتلوا ومن قدم الفعل المسند الى المفعول به جاز ان
يكون في المعنى مثل الاول لان المعطوف بالواو يجوز ان يراد به التقديم فان لم يقدر فيه التقديم كان المعنى في قوله فيقتلون يقتل من بقي منهم بعد
قتل من قتل واما الرفع في قوله التائبون العابدون فعلى القطع والاستيناف اي هم التائبون ويكون على المدح وقيل انه رفع على الابتداء
وخبره محذوف بعد قوله والحافظون لحدود الله اي هم اهل الجنة ايضا عن الزجاج وقيل انه رفع على البدل من الضمير في يقاتلون اي يقاتل
التائبون واما التائبين العابدين فيحتمل ان يكون جرا وان يكون نصبا واما الجر فعلى ان يكون وصفا للمؤمنين اي من المؤمنين التائبين واما
النصب فعلى اضمار فعل بمعنى المدح كانه قال اعني وامدح التائبين اللغة السائح من ساح في الارض يسيح سيحا اذا استمر في الذهاب
ومنه السيح للماء الجاري ومنه سمي الصائم سائحا لاستمراره على الطاعة وترك المشتهى الاعراب وعدا نصب على المصدر لان قوله اشترى
يدل على انه وعد ومثله صنع الله الذي اتقن كل شيء وفطرة الله التي فطر الناس عليها المعنى لما تقدم ذكر المؤمنين والمنافقين عقبه
سبحانه بالترغيب في الجهاد فقال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة صفة لاشتراء لا يجوز على الله لان المشتري انما
يشتري ما لا يملك وهو عز اسمه مالك الاشياء كلها لكنه مثل قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا في انه ذكر لفظ الشراء والقرض
تلطفا للتاكيد الجزاء ولما كان سبحانه ضمن الثواب من نفسه عبر عن ذلك بالاشتراء وجعل الثواب ثمنا والطاعات مثمنا على ضرب من
المجاز واخبر انه انما اشترى من المؤمنين انفسهم يبذلونها بالجهاد في سبيل الله واموالهم ايضا ينفقونها ابتغاء مرضات الله على ان
يكون في مقابلة ذلك الجنة وروي عن الاعمش انه قرأ بالجنة وهي قراءة عمر بن الخطاب والجهاد قد يكون بالسيف وقد يكون باللسان
وربما كان جهاد اللسان ابلغ لان سبيل الله دينه والدعاء الى الدين يكون اولا باللسان وقد قال النبي صلى الله عليه وآله لان يهدي
الله على يديك نسمة خير مما طلعت عليه الشمس وانما ذكر سبحانه شراء النفس والمال لان العبادات على ضربين بدنية ومالية ولا ثالث
لهما ويروى ان الله سبحانه تاجر المسلمين فاغلى لهم الثمن فجعل ثمنهم الجنة وكان الصادق ع يقول ايا من ليست لهم همة انه ليس لابدانكم
ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها وانشد الاصمعي للصادق ع اثامن بالنفس النفيسة ربها فليس لها في الخلق كلهم ثمن بها تشترى الجنات
ان انا بعتها بشيء سواها ان ذلكم غبن اذا ذهبت نفسي بدنيا اصبتها فقد ذهب الدنيا وقد ذهب الثمن يقاتلون في سبيل الله هذا بيان
للغرض الذي لاجله اشتراهم فيقتلون المشركين ويقتلون اي يقتلهم المشركون يعني ان الجنة عوض عن جهادهم سواء قتلوا او قتلوا ومن قرأ
فيقتلون ويقتلون فهو المختار عن الحسن لانه يكون تسليم النفس الى المشتري اقرب والبايع انما يستحق الثمن بتسليم المبيع وعدا عليه
حقا معناه ان ايجاب الجنة لهم وعد على الله حق لا شك فيه وتقديره وعدهم الله الجنة نفسه وعدا صدقا واجبا لا خلف فيه في التورية
والانجيل والقرآن وهذا يدل على ان اهل مكة امروا بالقتال ووعدوا عليه الجنة عن الزجاج ومن اوفى بعهده من الله معناه ولا احد
اوفى بعهده من الله لانه يفي ولا يخلف بحال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به اي فافرحوا بهذه المبايعة حتى يرى آثار السرور في وجوهكم
بسبب هذه المبايعة لانكم بعتم الشيء من ملكه واخذتم ثمنه ولانكم بعتم فانيا بباق وزائلا بدائم وذلك هو الفوز العظيم اي ذلك الشراء
والبيع الظفر الكبير الذي لا يقاربه شيء ثم وصف الله سبحانه المؤمنين الذين اشترى منهم الانفس والاموال باوصاف فقال التائبون
اي الراجعون الى طاعة الله والمنقطعون اليه النادمون على ما فعلوه من القبائح العابدون اي الذين يعبدون الله وحده ويذلون
له طاعته في اوامره ونواهيه وقيل هم الذين اخذوا من ابدانهم في ليلهم ونهارهم يعبدوا الله في السراء والضراء عن الحسن وقتادة الحامدون
الذين يحمدون الله على كل حال عن الحسن وقيل هم الشاكرون لنعم الله عليهم على وجه الاخلاص لهم السائحون اي الصائمون عن ابن عباس
وابن مسعود والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وروي مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وآله قال سياحة امتي الصيام وقيل هم الذين
يسيحون في الارض يعتبرون بعجايب الله تعالى وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض بطلبه عن عكرمة الراكعون الساجدون اي المؤدون
الصلوات المفروضة التي فيها الركوع والسجود الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر دخل الواو هنا لان الامر بالمعروف يتضمن النهي

عن المنكر فكانهما شيء واحد ولانه قرن النهي عن المنكر بالامر بالمعروف في اكثر المواضع فادخل الواو ليدخل على المقاربة والحافظون

لحدود الله اي والقايمون بطاعة الله عن ابن عباس يعني الذين يؤدون فرايض الله واوامره ويجتنبون نواهيه لان حدود الله اوامره

ونواهيه وانما ادخل الواو لانه جاء وهو اقرب الى المعطوف وبشر المؤمنين هذا امر للنبي صلى الله عليه وآله ان يبشر المصدقين بالله

المعترفين بنبوته بالثواب الجزيل والمنزلة الرفيعة خاصة اذا جمعوا هذه الاوصاف وقد روى اصحابنا ان هذه صفات الائمة المعصومين

عليهم السلم لانه لا يكاد يجمع هذه الاوصاف على تمامها وكمالها غيرهم ولقي الزهري علي بن الحسين ع في طريق الحج فقال له تركت الجهاد

وصعوبته واقبلت على الحج والله سبحانه يقول ان الله اشترى من المؤمنين الآية فقال عليه السلم اتم الآية الاخرى التائبون العابدون

الى آخرها ثم قال اذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم افضل من الحج قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا

للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن

موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابرهيم لاواه حليم آيتان اللغة

اصل الاواه من التأوه وهو التوجع والتحزن يقال تأوه تأوها واوه تأويها قال المثقب العبدي اذا ما قمت ارحلها بليل تأوه آهة

الرجل الحزين ولو جاء منه فعل من حروفه لكان آه يؤه اوها مثل قال يقول قولا والعرب تقول اوه من كذا بكسر الواو وتسكين الهاء قال فاوه

بذكراها اذا ما ذكرتها ومن بعد ارض دوننا وسماء والعرب تقول اوه وفيه خمس لغات اوه بكسر الواو وكسر الهاء واوه واوه بالتنوين

وآه واوه المعنى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين معناه وليس للنبي والمؤمنين ان يطلبوا المغفرة للمشركين الذين

يعبدون مع الله الها آخر والذين لا يوحدونه ولا يقرون بالهيته ولو كانوا اولي قربى اي ولو كانوا الذين يطلبون لهم المغفرة اقرب الناس

اليهم من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم اي من بعد ان يعلموا انهم كفار يستحقون الخلود في النار وفي تفسير الحسن ان المسلمين قالوا

للنبي صلى الله عليه وآله الا تستغفر لابائنا الذين ماتوا في الجاهلية فانزل الله سبحانه هذه الآية وبين ان لا ينبغي لنبي ولا مؤمن ان يدعوا

للكافر او يستغفر له وقوله ما كان للنبي ابلغ من ان يقول لا ينبغي للنبي لانه يدل على قبحه وان الحكمة تمنع منه ولو قال لا ينبغي لم يدل على

ان الحكمة تمنع منه وانما يدل على انه لا ينبغي ان يختاره ومعناه لن يجعل الله في دينه ولا في حكمه ان يستغفروا للمشركين ولو دعتهم رقة

القرابة وشفقة الرحم الى الاستغفار لهم بعد ما ظهر ان لهم عذابا عظيما ثم بين سبحانه الوجه في استغفار ابراهيم لابيه مع كونه كافرا

سواء كان اباه الذي ولده او جده لامه او عمه على ما رواه اصحابنا فقال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه واختلف

في صاحب هذه الموعدة هل هو ابرهيم ع وابوه فقيل ان الموعدة كانت من الاب وعد ابرهيم انه يؤمن ان استغفر له فاستغفر له لذلك

فلما تبين له انه عدو لله ولا يفي بما وعده تبرأ منه وترك الدعاء له وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة الا انهم قالوا انما تبين

عداوته لما مات على كفره وقيل ان الموعدة كانت لابرهيم قال لابيه اني استغفر لك ما دمت حيا وكان يستغفر له مقيدا بشرط الايمان

فلما آيس من ايمانه تبرأ منه وهذا يوافق قول الحسن الا عن موعدة وعدها اياه بالبلد ويقويه الاول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك

وما املك لك من الله من شيء ان ابراهيم لاواه اي دعاء كثير الدعاء عن ابن عباس وهو المروي عن ابي عبد الله ع وقيل الاواه الرحيم بعباد

الله عن الحسن وقتادة وقيل هو الذي اذا ذكر النار قال آه وقيل الاواه المؤمن بلغة الحبشة عن ابن عباس وقيل الاواه الموقن المستيقن

عن مجاهد وعكرمة وقيل الاواه الفقيه عن النخعي وقيل هو الراجع عن كل ما يكره الله عز وجل عن عطا وقيل هو الخاشع المتذلل

رواه عبد الله بن شداد عن النبي صلى الله عليه وآله وقيل هو المسبح الكثير الذكر لله سبحانه عن عقبة بن عامر وقيل هو المتأوه شفقا وفرقا

المتضرع يقينا بالاجابة ولزوما للطاعة عن ابي عبيدة قال الزجاج وقد انتظم قول ابي عبيدة اكثر ما روي في الاواه حليم يقال بلغ من

حلم ابراهيم ع ان رجلا اذاه وشتمه فقال هداك الله وقيل الحليم السيد عن ابن عباس واصله انه الصبور على الاذى الصفوح عن الذنوب

النظم لما تقدم ذكر الكفار والمنافقين والمنع من موالاتهم والصلوة عليهم والقيام على قبورهم للدعاء لهم نهى عن الدعاء لهم بعد موتهم

وذكر قصة ابرهيم وعذره في الاستغفار لابيه واما قوله ان ابرهيم لاواه حليم فانما اتصل بما قبله بانه اذا كان له صفة الرافة

والرحمة يكون في دعائه اخلص وعلى خلاص اقربائه من العذاب احرص ومع ذلك تبرأ منه لما يأس من فلاحه قوله تعالى

وما

وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ إِنَّ اللّٰهَ لَهُ مُلْكُ
السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ آيتان النزول قيل مات من المسلمين على الاسلام قبل ان تنزل
الفرايض فقال المسلمون يا رسول الله اخواننا الذين ماتوا قبل الفرايض ما منزلتهم فنزل وما كان الله ليضل قوما الاية عن الحسن المعنى
وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هديهم اى ما كان الله ليحكم بضلالة قوم بعد ما حكم بهدايتهم حتى يبين لهم ما يتقون من الامر بالطاعة
والنهى عن المعصية فلا يتقون فعند ذلك يحكم بضلالتهم وقيل ما كان الله ليعذب قوما فيضلهم عن الثواب والكرامة وطريق الجنة بعد
اذ هديهم ودعاهم الى الايمان حتى يبين لهم ما يستحقون به الثواب والعقاب من الطاعة والمعصية وقيل لما نسخ بعض الشرايع وقد غاب
اناس وهم يعملون بالامر الاول ولم يعلموا بالثانى مثل تحويل القبلة وغير ذلك وقد مات الاولون على الحكم الاول فسئل رسول الله صلى الله عليه
واله عن ذلك فانزل الله تعالى الاية وبين انه لا يعذب هؤلاء المتوجهين الى القبلة الاولى حتى يسمعوا بالنسخ ولم يعملوا بالناسخ فح يعذبهم
عن الكلبى ان الله بكل شىء عليم يعلم جميع المعلومات حتى لا يشذ منها عنه شىء لكونه عالما لنفسه ان الله له ملك السموات والارض الملك
اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير يحيى ويميت ان يحيى الجماد ويميت الحيوان وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير اى ليس لكم سواه حافظ
يحفظكم وولى يتولى امركم ولا ناصر ينصركم ويدفع العذاب عنكم النظم وجه اتصال الاية الاولى بما قبلها ان الله سبحانه لما حرم على
المؤمنين ان يستغفروا للمشركين بين ان الله سبحانه لا يأخذكم بذلك الا بعد ان يدلهم على تحريمه عن مجاهد ووجه اتصال الاية الثانية بما قبلها
الحض على ما تقدم ذكره من جهاد المشركين ملوكهم وغير ملوكهم لانهم عبيد من له ملك السموات والارض يأمر فيهم ما يشاء ويدبرهم على ما يشاء
عن على بن عيسى **قوله تعالى** لَقَدْ تَابَ اللّٰهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ
يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ۝ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ
وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللّٰهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللّٰهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ آيتان القراءة قرأ
حمزة وحفص عن عاصم يزيغ بالياء وهو قراءة الاعمش والباقون تزيغ بالتاء والقراءة المشهورة الذين خلفوا وقراءة على بن الحسين زين العابدين
وابو جعفر محمد بن على الباقر وجعفر بن محمد الصادق عليهم السلم وابو عبد الرحمن السلمى خالفوا وقراءة عكرمة وزر بن حبيش وعمرو بن عبيد خلفوا
بفتح الخاء واللام خفيفة الحجة قال ابو على يجوز ان يكون فاعل كاد احد ثلثة اشياء الاول ان يضمر فيه القصة والحديث ويكون تزيغ الخبر
لازم لكاد فاشبه العوامل الداخلة على الابتداء للزوم الخبر به قال ولا يجوز ذلك فى عسى لان عسى قد تكون فاعلة المفرد فى كثير من الامر
فلا يلزمه الخبر كقوله ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم فاذا كان كذلك لم يحتمل الضمير الذى يحتمله كاد كما لم يحتمله
ساير الافعال التى تسند الى فاعلها مما لا يدخل على المبتداء والثانى ان يضمر فى كاد ذكر مما تقدم لما كان النبى صلى الله عليه واله والمهاجرين والانصار
قبيلا واحدا وفريقا واحدا جاز ان يضمر فى كاد ما يدل عليه ما تقدم ذكره من القتل والحرب والغزو ونحو ذلك من الاسماء المفردة الدالة
على الجمع وقال منهم فحمله على المعنى مثل قوله آمن بالله واليوم الاخر ثم قال فلا خوف عليهم فكذلك فاعل كاد على هذا الوجه والثالث ان يكون
فاعل كاد القلوب وتقديره من بعد ما كاد القلوب فريق منهم تزيغ ولكنه قدم تزيغ كما قدم خبر كاد وجاز تقديمه وان كان فيه ذكر من
القلوب ولم يمتنع من حيث يمتنع الاضمار قبل الذكر لما كان النية به التاخير كما يمتنع ضرب غلامه زيد لما كان التقدير به التاخير فاما من قرأ
يزيغ بالياء فيجوز ان يكون قد ذهب الى ان فى كاد ضمير الحديث فيرتفع قلوب بيزيغ فذكر وان كان فاعله مؤنثا لتقدم الفعل ومن قرأ تزيغ
بالتاء جاز ان يكون ذهب الى ان القلوب مرتفعة بكاد وجاز ان يكون الفعل المسند الى القصة والحديث مؤنث او كان فى الجملة التى يفسرها
مؤنث كقوله فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا جاز تانيث هى التى هى ضمير القصة لذكر الابصار المؤنثة فى الجملة التى هى التفسير فكذلك يؤنث الذى
فى كاد لذكر المؤنث فى الجملة المفسرة فتقول كادت ويدغم التاء التى هى علامة التانيث فى تاء تزيغ وتزيغ على هذا للقلوب وهى مرتفعة به ويجوز
الحاق التاء بكاد من وجه آخر وهو ان يرفع قلوب فريق بكاد فترفعه فيلحقه علامة التانيث من حيث كان مسندا الى مؤنث ومن قرأ خلفوا
فتاويله اقاموا ولم يبرحوا ومن قرأ خالفوا فمعناه عايد الى ذلك لانهم اذا خالفوهم فاقاموا فقد خالفوا هناك اللغة الزيغ ميل القلب
عن الحق ومنه قوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وزاغت الشمس اذا مالت وزاغ الطريق جاز وعدل والتخليف التاخير والشىء مضى

فاما تاخر الشيء عنك في المكان فليس بتخلف وهو من الخلف الذي هو مقابل لجهة الوجه يقال خلفه اي جعله خلفه فهو مخلف ورحبت
البلاد اذا اتسعت والرحب السعة ومنه مرحبا واهلا اي رحبت بلادك واهلت والضيق ضد السعة والظن هناك بمعنى اليقين كما في قول
دريد بن الصمة فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد النزول نزلت الاية في غزاة تبوك وما لحق المسلمين فيها من العسرة حتى
هم قوم بالرجوع ثم تداركهم لطف الله سبحانه كانت العشرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب
صاحبه كذلك وكان زادهم الشعير المسوس والتمر المدود والاهالة السنخة وكان النفر منهم يخرجون ما معهم من التمرات بينهم فاذا بلغ الجوع من
احدهم اخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه فيمصها ثم يشرب عليها جرعة من ماء حتى يأتي على آخرهم فلا يبقى من التمرة الا النواة
قال وكان ابو خيثمة تخلف الى ان مضى من مسير رسول الله صلى الله عليه وآله عشرة ايام ثم دخل يوما على امرأتين له في يوم حار في عريشين
قد رشتاهما وبردتا الماء وهيأتا ماله من الطعام فقام على العريشين وقال رسول الله صلى الله عليه وآله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما
تأخر في الضح والريح والحر والقر يحمل سيفه على عاتقه وابو خيثمة في ظلال باردة وطعام مهيأ وامرأتين وضيئتين ما هذا بالنصف ثم قال والله
لا اكلم واحدة منكما كلمة ولا ادخل عريشا حتى الحق بالنبي صلى الله عليه وآله فاناخ ناضحه وشد عليه وتزود وارتحل تكلمانه ولا يكلمهما ثم سار حتى
اذا دنا من تبوك قال الناس هذا راكب على الطريق فقال رسول الله صلعم كن ابا خيثمة فلما دنا قال الناس هذا ابا خيثمة يا رسول الله فاناخ راحلته
وسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عم له اولى لك فحدثه الحديث فقال له خيرا ودعا له وهو الذي زاغ قلبه للمقام ثم ثبته الله واما
الآية الثانية فانها نزلت في شان كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية وذلك انهم تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله ولم
يخرجوا معه لا عن نفاق ولكن عن توان ثم ندموا فلما قدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة جاءوا اليه واعتذروا فلم يكلمهم النبي صلى الله عليه وآله
وتقدم الى المسلمين بان لا يكلمهم احد منهم فهجرهم الناس حتى الصبيان وجاءت نساؤهم الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلن يا رسول الله
نعتزلهم فقال لا ولكن لا يقربوكم فضاقت عليهم المدينة فخرجوا الى رؤس الجبال وكان اهاليهم يجيئون لهم بالطعام ولا يكلمونهم فقال بعضهم
لبعض قد هجرنا الناس ولا يكلمنا احد منهم فتعالوا نتهاجر نحن ايضا فتفرقوا ولم يجتمع منهم اثنان وبقوا على ذلك خمسين يوما يتضرعون الى
الله تعالى ويتوبون اليه فقبل الله توبتهم وانزل فيهم هذه الاية المعنى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين اقسم الله في هذه الآية لان لام
لقد لام القسم بانه سبحانه قبل توبتهم وطاعتهم وانما ذكر النبي صلى الله عليه وآله مفتاحا للكلام وتحسينا له ولانه سبب توبتهم والا فلم يكن منه ما
يوجب التوبة وقد روي عن الرضا علي بن موسى عليهما السلم انه قرا لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والانصار الذين اتبعوه في الخروج
معه الى تبوك في ساعة العسرة وهي صعوبة الحر قال جابر يعني عسرة الزاد وعسرة الظهر وعسرة الماء والمراد بساعة العسرة وقت العسرة
لان الساعة تقع على كل زمان وقال عمر بن الخطاب اصابنا حر شديد وعطش فامطر الله سبحانه السماء بدعاء النبي صلعم فعشنا بذلك
من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الجهاد فهموا بالانصراف عن غزاتهم من غير امر فعصمهم الله تعالى ذلك حتى مضوا مع النبي صلعم
ثم تاب عليهم من بعد ذلك الزيغ لم يرد بالزيغ ههنا الزيغ عن الايمان انه بهم رؤف رحيم تداركهم برحمته والرافة اعظم الرحمة
وعلى الثلثة الذين خلفوا قال مجاهد معناه خلفوا عن قبول التوبة بعد قبول توبة من قبل توبتهم من المنافقين كما قال سبحانه فيما مضى
وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم وقال الحسن وقتادة معناه خلفوا عن غزوة تبوك لما تخلفوا هم واما قراءة اهل
البيت عليهم السلم خالفوا فانهم قالوا لو كانوا خلفوا لما توجه عليهم العتب ولكنهم خالفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي
برحبها وما ههنا مصدرية ومعناه ضاقت عليهم الارض مع اتساعها وهذه صفة من بلغ غاية الندم حتى كانه لا يجد لنفسه مذهبا
وذلك بان النبي صلى الله عليه وآله امر الناس بان لا يجالسوهم ولا يكلموهم كما ذكرناه لانه كان نزل توبة الناس ولم تنزل توبتهم
ولم يكن ذلك على معنى رد توبتهم لانهم كانوا مامورين بالتوبة ولا يجوز في الحكمة رد توبة من يتوب في وقت التوبة لكن الله سبحانه
اراد بذلك تشديد المحنة عليهم في تاخير انزال توبتهم واراد به استصلاحهم واستصلاح غيرهم لئلا يعودوا الى مثله وضاقت عليهم
انفسهم هذه عبارة عن المبالغة في الغم كانهم لم يجدوا لانفسهم موضعا يخففونها فيه وقيل معنى ضيق انفسهم ضيق صدورهم بالهم الذي
حصل فيها وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه اي وايقنوا انه لا يعصمهم من الله موضع يعتصمون به ويلجأون اليه غيره تعالى معناه

وعلموا انه لا يعتصم من الله الا به وان لا يجيهم من عذاب الله الا التوبة ثم تاب عليهم ليتوبوا اى ثم سهل الله عليهم التوبة حتى تابوا وقيل

ليتوبوا اى ليعودوا الى حالتهم الاولى قبل المعصية وقيل معناه ثم تاب على الثلاثة وانزل توبتهم على نبيه ع ليتوب المومنون من ذنوبهم

لعلمهم ان الله سبحانه قابل التوبة قال الحسن اما والله ما سفكوا من دم ولا اخذوا من مال ولا قطعوا من رحم ولكن المسلمين تسارعوا فى الخروج

مع رسول الله صلى الله عليه وآله وتخلف هؤلاء وكان احدهم تخلف بسبب ضيعة له والاخر لاهله والاخر طلبا للراحة ثم ندموا و

تابوا فقبل الله توبتهم ان الله هو التواب اى كثير القبول للتوبة الرحيم بعباده النظم اتصلت الاية الاولى بقوله التائبون الاية اثنى

الله سبحانه عليهم هناك وبين فى هذه الاية قبول توبتهم ورضاه عنهم باتباعهم النبى صلى الله عليه وآله فى ساعة العسرة عن ابى مسلم

وقيل انه سبحانه لما ذكر ان له ملك السموات والارض ولا ناصر دونه بين عقيبه رحمته بالمؤمنين ورأفته بهم فى قبول توبتهم قوله تعالى

يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين آية القراءة فى مصحف عبد الله وقراءة ابن عباس من الصادقين وروى ذلك

ايضا عن ابى عبد الله عليه السلم اللغة الصادق هو القايل بالحق العامل به لانه صفة مدح لا تطلق الا على من يستحق المدح لصدقه المعنى

ثم خاطب الله سبحانه المؤمنين المصدقين بالله المقرين بنبوة نبيه فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اى اتقوا معاصى الله واجتنبوها

وكونوا مع الصادقين الذين يصدقون فى اخبارهم ولا يكذبون ومعناه وكونوا على مذهب من يستعمل الصدق فى اقواله وافعاله

وصاحبوهم ورافقوهم كقولك انا مع فلان فى هذه المسئلة اى اقتدى به فيها وقد وصف الله الصادقين فى سورة البقرة بقوله

ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر الى قوله اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فامر سبحانه بالاقتداء بهؤلاء وقيل المراد

بالصادقين هم الذين ذكرهم الله فى كتابه وهو قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه يعنى حمزة بن عبد المطلب

وجعفر بن ابى طالب ومنهم من ينتظر على بن ابى طالب ع وروى عن ابى صالح عن ابن عباس قال كونوا مع الصادقين مع آل محمد ص

وقيل مع النبيين والصديقين فى الجنة بالعمل الصالح فى الدنيا عن الضحاك وقيل مع محمد صلى الله عليه واصحابه عن نافع وقيل

مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم واعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يتخلفوا عنه عن ابن عباس

وقيل ان معنى مع ههنا معنى من فكانه امر بالكون من جملة الصادقين ويعضده قراءة من قرا من الصادقين والمعنيان متقاربان

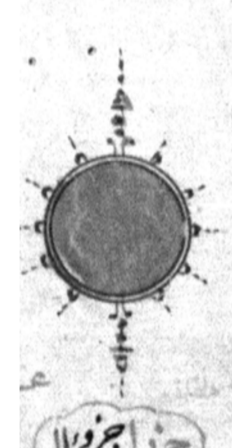
هنا لان مع للمصاحبة ومن للتبعيض فاذا كان من جملتهم فهو معهم وبعضهم وقال ابن مسعود لا يصلح من الكذب جد ولا هزل ولا

ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجز له اقرءوا ان شئتم هذه الاية هل ترون فى الكذب رخصة قوله تعالى ما كان لاهل المدينة ومن

حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى

سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين

ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون



حزب ١ جزو ١١

آيتان اللغة الرغبة طلب المنفعة يقال رغب فيه اذا طلب المنفعة به ورغب عنه اذا طلب المنفعة بتركه والظماء شدة العطش

والنصب التعب ومثله الوصب قال النابغة كلينى لهم يا اميمة ناصب وليل اقاسيه بطى الكواكب والمخمصة المجاعة واصله

ضمور البطن للمجاعة رجل خميص البطن وامراة خمصانة ضامرة البطن والموطى الارض والغيظ انتقاض الطبع بما يرى مما يسوء يقال

غاظه يغيظه المعنى لما قص سبحانه قصة الذين تاخروا عن الحرب مع النبى صلى الله عليه وآله الى تبوك ثم اعتذارهم عن ذلك

وتوبتهم منه وانه قبل توبة من ندم على ما كان منه لرأفته بهم ورحمته عليهم ذكر عقيب ذلك على وجه التوبيخ لهم والانكار على ما كانوا

فعلوه فقال ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ظاهره خبر ومعناه نهى مثل قوله ما كان لكم

ان تؤذوا رسول الله اى ما كان يجوز وما كان يحل لاهل المدينة الرسول ومن حولهم من سكان البوادى ان يتخلفوا عنه فى غزاة

وغيرها الغيرعذر وقيل انهم مزينة وجهينة واشجع وغفار واسلم ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اى ما كان يجوز لهم ولا لجميع المومنين

ان يطلبوا نفع نفوسهم بتوقيتها دون نفسه وهذه فريضة الزمهم الله اياها بحق رسوله فيما دعاهم اليه من الهدى الذى اهتدوا

به وخرجوا من ظلمة الكفر الى نور الايمان وقيل معناه ولا يرضوا لانفسهم بالخفض والدعة ورسول الله فى الحر والمشقة يقال

رغبت بنفسي عن هذا الامر اي ترفعت عنه بل عليهم ان يجعلوا انفسهم وقاية للنبي صلى الله عليه وآله ذلك اي النهي لهم والزجر عن التخلف
بانهم لا يصيبهم ظمأ اي عطش ولا نصب اي ولا تعب في ابدانهم ولا مخمصة في سبيل الله اي ولا مجاعة وهي شدة الجوع في طاعة الله
ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار اي لا يضعون اقدامهم موضعا يغيظ الكفار وطؤهم اياه يعني دار الحرب فان الانسان يغيظه ويغضبه
ان يطأ غيره موضعه ولا ينالون من عدو نيلا اي ولا يصيبون من المشركين امرا من قتل او جراحة او مال او امر يغمهم ويغيظهم الا كتب لهم
به عمل صالح وطاعة رفيعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين اي الذين يفعلون الافعال الحسنة التي يستحق بها المدح والثواب وهذا تحريض
على الجهاد واعمال الخير ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة اي ولا ينفقون في الجهاد ولا في غيره من سبيل الخير والمعروف نفقة قليلة ولا كثيرة يريدون
بذلك اعزاز دين الله ونفع المسلمين والتقرب بذلك الى الله تعالى ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ثواب ذلك ليجزيهم الله احسن ما كانوا
يعملون اي تكتب طاعاتهم ليجزيهم عليها بقدر استحقاقهم ويزيدهم عليها حتى يصير الثواب احسن واكثر من عملهم وقيل الاحسن من
صفة فعلهم لان الافعال على وجوه واجب ومندوب ومباح وانما يجازى على الواجب والمندوب دون المباح فيقع الجزاء على احسن
الاعمال وقيل معناه ليجزيهم الله باحسن ما كانوا يعملون قال ابن عباس يرضيهم بالثواب ويدخلهم الجنة بغير حساب والآيتان
تدلان على وجوب الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وحظر التخلف عنه وقد اختلف في ذلك فقيل المراد بذلك جميع من دعاه النبي صلى الله
عليه وآله الى الجهاد وهو الصحيح وقيل المراد به اهل المدينة ومن حولها من الاعراب ثم اختلف فيه من وجه آخر فقيل انه خاص بالنبي صلى الله عليه وآله
ليس لاحد ان يتخلف عنه في الجهاد الا لعذر فاما غيره من الائمة فيجوز التخلف عنه عن قتادة وقيل ان ذلك لاول هذه الامة وآخرها
من المجاهدين في سبيل الله عن الاوزاعي وابن مبارك وقيل ان هذا كان في ابتداء الاسلام وفي اهله قلة فاما الان وقد كثر الاسلام
واهله فانه منسوخ بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الاية عن ابن زيد وهذا هو الاقوى لانه لا خلاف ان الجهاد من فروض الكفايات
فلو لزم كل احد لكان من فروض الاعيان قوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون • يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم
من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين • واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه
ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون • واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون • اربع آيات

اللغة التفقه تعلم الفقه والفقه العلم بالشيء وفي حديث سلمان انه قال لامرأة فقهت اي فهمت وعلمت فاما فقه بضم القاف
فمعناه صارت فقيها وقد اختص في العرف بعلم الاحكام الشرعية فيقال لكل عالم فقيه وقيل الفقه فهم المعاني المستنبطة ولذلك
لا يقال الله سبحانه فقيه والحذر تجنب الشيء لما فيه من المضرة قال الزجاج يقال غلظه وغلظه ثلث لغات قال ابو الحسن قراءة
الناس بالكسر وهي العربية والمراد بالمرض في الاية الشك لانه فساد في القلب يحتاج الى علاج كما ان الفساد في البدن يحتاج الى
مداواة ومرض القلب اعضل وعلاجه اعسر ودواؤه اعز واطباؤه اقل الاعراب لولا نفر بمعنى هلا نفر وهي للتحضيض اذا دخلت على
الفعل فاذا دخلت على الاسم فمعناها امتناع الشيء لاجل وجود غيره ليتفقهوا اي باقوهم لانه اذا نفرت طائفة منهم تفقه من بقي منهم وان
شئت فمعناه ليتفقه كلهم لان من نفر منهم اذا رجع استعلم ممن بقي فصار كلهم فقهاء وهم يستبشرون جملة في موضع الحال وكذلك
قوله وهم كافرون النزول قيل كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا خرج غازيا لم يتخلف عنه الا المنافقون او المعذرون فلما
انزل الله تعالى عيوب المنافقين وبين نفاقهم في غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن غزوة يغزوها رسول الله صلى الله
عليه وآله ولا سرية ابدا فلما امر رسول الله صلى الله عليه وآله بالسرايا الى الغزو ونفر المسلمون جميعا وتركوا رسول الله صلى الله
عليه وآله وحده فانزل الله سبحانه وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية عن ابن عباس في رواية الكلبي وقيل انها نزلت في ناس
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله خرجوا في البوادي فاصابوا من الناس معروفا وخصبا ودعوا من وجدوا من الناس
الى الهدى فقال الناس ما نريكم الا وقد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في انفسهم من ذلك حرجا فاقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا
على النبي صلى الله عليه وآله فانزل الله تعالى هذه الاية عن مجاهد المعنى لما تقدم الترغيب في الجهاد بابلغ اسباب الترغيب والتأنيب

وغلظه

من تخلف عنه بابلغ التانيب بين في هذه الاية موضع الرخصة في التاخر عنه فقال سبحانه وما كان المؤمنون لينفروا كافة وهذا نفي
معناه النهي اي ليس للمؤمنين ان ينفروا ويخرجوا الى الجهاد باجمعهم ويتركوا النبي صلى الله عليه وآله وحيدا فريدا وقيل معناه ليس عليهم ان
ينفروا كلهم من بلادهم الى النبي صلى الله عليه وآله ليتعلموا الدين ويضيعوا من ورائهم ويخلوا ديارهم عن الجهاد ثم قال فلولا نفر من كل
فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين اختلف في معناه على وجوه احدها ان معناه فهلا خرج الى الغزو من كل قبيلة جماعة ويبقى مع النبي
صلى الله عليه وآله جماعة ليتفقهوا في الدين اعني الفرقة القاعدين يتعلمون القرآن والسنن والفرائض والاحكام فاذا رجعت
السرايا وقد نزل بعدهم قرآن وتعلمه القاعدون قالوا لهم اذا رجعوا اليهم ان الله قد انزل بعدكم على نبيكم قرآنا وقد تعلمناه فيتعلمه
السرايا فذلك قوله ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم اي وليعلموهم القرآن ويخوفوهم به اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون فلا يعملون
بخلافه عن ابن زيد عن ابن عباس في رواية الوالبي وقتادة والضحاك وقال الباقر ع كان هذا حين كثر الناس فامرهم الله سبحانه ان ينفر
منهم طائفة ويقيم طائفة للتفقه وان يكون الغزو نوبا وثانيها ان التفقه والانذار يرجعان الى الفرقة النافرة حثها الله سبحانه على
التفقه لترجع الى المتخلفة فتحذرها ومعنى ليتفقهوا في الدين ليتبصروا ويتيقنوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة
الدين ولينذروا قومهم من الكفار اذا رجعوا اليهم من الجهاد فيخبرونهم بنصر الله النبي ص والمؤمنين ويخبرونهم انهم لا يدان لهم
بقتال النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين لعلهم يحذرون ان يقاتلوا النبي صلى الله عليه وآله فينزل بهم ما نزل باصحابهم من الكفار
عن الحسن وابي مسلم قال ابو مسلم اجتمع للنافرة ثواب الجهاد والتفقه في الدين وانذار قومهم وثالثها ان التفقه راجع الى النافرة
والتقدير ما كان لجميع المؤمنين ان ينفروا الى النبي صلى الله عليه وآله ويخلوا ديارهم ولكن ينفر اليه من كل ناحية طائفة تسمع كلامه
وتتعلم الدين منه ثم ترجع الى قومها فتبين لهم بذلك وتنذرهم عن الجبائي وقال المراد بالنفر هنا الخروج لطلب العلم وانما سمي ذلك
نفرا لما فيه من مجاهدة اعداء الله قال القاضي ابو عاصم وفي هذا دليل على اختصاص الغربة بالتفقه وان الانسان يتفقه في الغربة
ما لا يمكنه ذلك في الوطن ثم بين سبحانه ما يجب تقديمه فقال يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار اي قاتلوا من قرب
منكم من الكفار الاقرب منهم فالاقرب في النسب والدار قال الحسن كان هذا قبل الامر بقتال المشركين كافة وقال غيره هذا الحكم
قايم الآن لانه لا ينبغي لاهل كل بلد ان يخرجوا الى قتال الابعد ويدعوا الاقرب والادنى لان ذلك يؤدي الى الضرر وربما يمنعهم ذلك
عن المضي في وجهتهم الا ان يكون بينهم وبين الاقرب موادعة فلا باس حينئذ بمجاوزة الاقرب الى الابعد على ما يراه المتولي لامور المسلمين
ولو قال سبحانه قاتلوا الابعد فالابعد لكان لا يصح لانه لا حد للابعد فيبتدأ به كما للاقرب وفي هذا دلالة على انه يجب على اهل كل
ثغر الدفاع عن انفسهم اذا خافوا على بيضة الاسلام وان لم يكن هناك امام عادل وقال انهم امروا ان يقاتلوا الادنى فالادنى من
عدوهم مثل قريظة والنضير وخيبر وفدك وقال ابن عمر انهم الروم لانهم سكان الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق
وكان الحسن اذا سئل عن قتال الروم والترك والديلم قرأ هذه الآية وليجدوا فيكم غلظة اي شجاعة عن ابن عباس وقيل شدة عن مجاهد
وقيل صبرا على الجهاد عن الحسن والمعنى وليجدوا منكم بضد اللين وخلاف الرقة وهو العنف والشدة ليكون ذلك زجرا لهم واعلموا
ان الله مع المتقين عن الشرك اي معينهم وناصرهم ومن كان الله ناصره لم يغلبه احد فاما اذا نصره سبحانه بالحجة فانه يجوز ان يغلب
بالحرب لضرب من المحنة وشدة التكليف ثم عاد الكلام الى ذكر المنافقين فقال سبحانه واذا ما انزلت سورة من القرآن فمنهم اي
من المنافقين من يقول على وجه الانكار اي يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه ايمانا اي يقينا ونصرة فاما الذين آمنوا فزادتهم
ايمانا اي فاما المؤمنون المخلصون زادتهم تصديقا بالفرائض مع ايمانهم بالله عن ابن عباس ووجه زيادة الايمان انهم كانوا مؤمنين
بما قد نزل من قبل وآمنوا بما نزل الآن وهم يستبشرون اي يسرون ويبشر بعضهم بعضا قد تهللت وجوههم وفرحوا بنزولها واما الذين
في قلوبهم مرض اي شك ونفاق فزادتهم رجسا الى رجسهم اي نفاقا وكفرا الى نفاقهم وكفرهم لانهم يشكون في هذه السورة كما شكوا
فيما تقدمها من السور فكذلك هو الزيادة وسمى الكفر رجسا على وجه الذم له وانه يجب تجنبه كما يجب تجنب الارجاس واضاف
الزيادة الى السورة لانهم يزدادون عندها رجسا ومثله كفى بالسلامة داء وقول الشاعر وحسبك داء ان تصح وتسلما وماتوا وهم كافرون

اي زادهم شكهم فيما انزل الله تعالى من السورة الى ان ماتوا على كفرهم و ابو شرماب **قوله تعالى** اولا يرون انهم يفتنون في كل عام
مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون و اذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يريكم من احد ثم انصرفوا
صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم فان تولوا
فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم اربع آيات قرا اولا ترون بالتاء حمزة و يعقوب وهي قراءة ابي بن
كعب وقرا الباقون بالياء و القراءة المشهورة من انفسكم بضم الفاء وقرا ابن عباس و ابن علية و ابن محيصن و الزهري انفسكم بفتح الفاء وقيل
انها قراءة فاطمة عليها السلم من قرا بالتاء فهو خطاب للمؤمنين ومن قرا بالياء فهو تقريع للمنافقين بالاعراض عما يجب ان لا يعرضوا
عنه من التوبة والاقلاع عما هم عليه من النفاق ومن قرا من انفسكم فمعناه من اشرفكم ومن خياركم ويقال هذا انفس المتاع اي اجوده و
خياره واشتقاقه من النفس وهو اشرف ما في الانسان العزيز الشديد والعزيز في صفات الله تعالى معناه المنيع القادر الذي
لا يتعذر عليه فعل ما يريده والعزة امتناع الشيء بما يتعذر معه ما يحاول منه وهو على ثلثة اوجه امتناع الشيء بالقدرة او بالقلة او
بالصعوبة والعنت لقاء الشدة والاذى الذي يضيق به الصدر وعنت الداية تعنت عنتا اذا حدث في قوايمها كسر بعد جبر لا يمكنه معه
الجري فكانه شق عليه الجري واكمة عنوت شاقة المصعد وحسبي الله اي كافي الله وهو من الحساب لان الله تعالى يعطي بحسب الكفاية
التي تغني عن غيره وبزيد من نعمه ما لا يبلغ الحد والنهاية اذ نعمه دايمة ومنته متواترة متظاهرة والتوكل تفويض الامر الى الله على الثقة
بحسن تدبيره وكفايته اولا يرون الواو للعطف دخلت عليها همزة الاستفهام ويحتمل الرؤية ان تكون المتعدية الى مفعولين
وان كان من رؤية العين فاذا كانت المتعدية الى مفعولين سد ان مسدهما وان كانت من رؤية العين يكون ابلغ ما عنتم ما هي المصدرية
وتقديره عزيز عليه عنتكم فهي في موضع رفع بعزيز وقوله لا اله الا هو جملة في موضع الحال وتقديره حسبي الله مستحقا للاخلاص العبادة
والاقرار بالوحدانية وجر القراء كلهم العظيم على انه صفة للعرش ولو قرئ بالرفع على انه صفة لرب العرش لجاز ثم نبه
سبحانه على اعراض المنافقين عن النظر والتدبر لما ينبغي ان ينظروا ويتدبروا فيه فقال اولا يرون اي اولا يعلم هؤلاء المنافقين وقيل
اولا يبصرون انهم يفتنون اي يمتحنون في كل عام مرة او مرتين اي دفعتين بالاعراض والاوجاع وهي زاير الموت ثم لا يتوبون اي لا
يرجعون عن كفرهم ولا هم يذكرون اي لا يتذكرون نعم الله عليهم وقيل يمتحنون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله ويرون
من نصرة الله ورسوله وما ينال اعداءه من القتل والسبي عن ابن عباس والحسن وقيل بالقحط والجوع عن مجاهد وقيل بهتك
استارهم وما يظهر من خبث سرايرهم عن مقاتل وقيل بالبلاء والجلاء ومنع القطر وذهاب الثمار عن الضحاك واذا ما انزلت سورة
نظر بعضهم الى بعض معناه اذا انزلت سورة من القرآن وهم حضور عند النبي صلى الله عليه وآله كرهوا ما يسمعونه ونظر بعضهم الى بعض
نظر ايومئون به هل يريكم من احد وانما يفعلون ذلك لانهم منافقون يحذرون ان يعلم بهم فكانهم يقول بعضهم لبعض هل يريكم
من احد ثم يقومون فينصرفون وانما يفعلون ذلك مخافة ان تنزل آية تفضحهم وكانوا لا يقولون ذلك بالسنتهم ولكن ينظرون نظر
من يقول لغيره ذلك القول وقيل معناه ان المنافقين كان ينظر بعضهم الى بعض نظر تعنت وطعن في القرآن ثم يقولون هل يرانا
احد من المسلمين فاذا تحققوا انه لا يراهم احد من المسلمين بالغوا فيه وان علموا انه يراهم احد منهم كفوا عنه ثم انصرفوا اي انصرفوا عن
المجلس وقيل انصرفوا عن الايمان به صرف الله قلوبهم عن الفوايد التي يستفيدها المؤمنون والسرور بها وحرموا الاستبشار بتلك الحال
وقيل معناه صرف الله قلوبهم عن رحمته وثوابه عقوبة لهم على انصرافهم عن الايمان بالقرآن وعن مجلس النبي صلى الله عليه وآله وقيل
انه على وجه الدعاء عليهم الحقد لهم الله باستحقاقهم ذلك ودعاء الله على عباده عقد لهم واخبار بلحاق العذاب بهم عن ابي مسلم
بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب انهم لا يفقهون مراد الله بخطابه لانهم لا ينظرون فيه ثم خاطب الله سبحانه جميع الخلق والكل الخطاب
بالقسم لقد جاءكم رسول من انفسكم عنى بالرسول محمدا صلى الله عليه وآله اي جاءكم رسول من جنسكم من البشر ثم من العرب ثم من بني
اسمعيل عن السدي وقيل ان الخطاب للعرب وليس في العرب قبيلة الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وآله وله فيهم نسب عن ابن عباس
وقيل معناه انه من نكاح لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية عن الصادق وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ما ولدني من سفاح

اهل

اهل الجاهلية ما ولدني الا نكاح كنكاح الاسلام وانما من الله سبحانه عليهم بكونه منهم لانه اذا عرفوا مولده ومنشأه وشاهدوه صغيرا وكبرا
وعرفوا حاله وصدقه وامانته ولم يعثروا على شئ يوجب نقصانيه فبالحرى ان يكونوا اقرب الى القبول منه والانقياد له عزيز عليه ما
عنتم معناه شديد عليه عنتكم اى ما يلحقكم من الضرر بترك الايمان وقيل معناه شديد عليه ما اثمتم عن الكلبي والضحاك وقيل ما اعنتكم
وضركم عن القتيبي وقيل ما هلكتم عليه عن ابن الانباري حريص عليكم معناه حريص على من لم يؤمن ان يؤمن عن الحسن وقتادة بالمؤمنين
رءوف رحيم قيل هما واحد والرأفة شدة الرحمة وقيل رءوف بالمطيعين منهم رحيم بالمؤمنين وقيل رءوف باقربائه رحيم باوليائه ممن راه
رحيم بمن لم يره وقال بعض السلف لم يجمع الله سبحانه لاحد من الانبياء بين اسمين من اسمائه الا للنبي صلى الله عليه وآله فانه قال
بالمؤمنين رءوف رحيم وقال ان الله بالناس لرءوف رحيم فان تولوا عنك وعن الاقرار بنبوتك فقل حسبي الله اى كافى الله فانه القادر
على كل شئ لا اله الا هو عليه توكلت ووثقت وعليه اعتمدت وامورى اليه فوضت وهو رب العرش العظيم خص العرش بالذكر
تفخيما لشانه لانه اذا كان رب العرش مع عظمه كان رب ما دونه فى العظم وقيل ان العرش عبارة عن الملك والسلطان فمعناه
رب الملك العظيم فى السموات والارض عن ابي مسلم وقيل ان هذه الآية آخر آية نزلت من السماء وآخر سورة كاملة نزلت سورة براءة
وقال قتادة اخر القرآن عهدا بالسماء هاتان الآيتان خاتمة براءة وبالله التوفيق هى مكية فى قول الاكثرين وقيل
عن ابن عباس وقتادة الا ثلث ايات نزلن بالمدينة فان كنت فى شك مما انزلنا اليك الى آخرهن وقال ابن المبارك الا ومنهم من يؤمن به الى
الاية فانها نزلت فى اليهود بالمدينة مائة وسبع آيات عند الجميع غير الشامي فانه يقول وعشر آيات ثلث آيات
مخلصين له الدين وشفاء لما فى الصدور شامي من الشاكرين غير الشامي ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله قال من قراها
اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون وروى عن ابى عبد الله عليه السلم من قرا
سورة يونس فى كل شهرين او ثلثة لم يخف عليه ان يكون من الجاهلين وكان يوم القيمة من المقربين لما ختم الله سبحانه سورة
براءة بذكر الرسول عليه السلم افتتح هذه السورة بذكره عليه السلم وما انزل عليه من القرآن بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا
أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين آيتان قرا بامالة الراء ابو عمرو واهل الكوفة وقرا الباقون بالتفخيم

وقرا الساحر بالالف ابن كثير واهل الكوفة وقرا الباقون لسحر بكسر السين واسكان الحاء بغير الف قال ابو على من امال فقال اى فلانها
اسماء لما يلفظ بها من الاصوات المنقطعة فى مخارج الحروف كما ان قاق اسم للصوت الذي يصوته الغراب فجازت الامالة فيهما من حيث
كانت اسما ولم تكن كالحروف التى يمتنع فيها الامالة نحو ما ولا وما اشبههما من الحروف قلت ان الاسماء لا تكون على حرفين احدهما لين
لان التنوين لا يلحقها فيؤمن لامتناع التنوين من اللحاق بها ان يبقى على حرف واحد فاذا امن ذلك لم يمتنع ان يكون الاسم على حرفين
احدهما حرف لين الا ترى انهم قالوا هذه شاه فجاء على حرفين احدهما حرف لين لما امن لحاق التنوين له لاتصال علامة التانيث
وكذلك قولك رايت رجلا اذ امال لاتصال المضاف اليه به وكذلك قولهم كسرت كاذيد قال ويدل على قول من قال لسحر قوله سبحانه
قالوا هذا سحر وانا به كافرون ويدل على ساحر قوله قال الكافرون هذا ساحر كذاب وقد تقدم اوحينا الى رجل فمن قرا ساحر اراد
الرجل ومن قرا سحر اراد الذي اوحي سحر الاية العلامة التى تنبئ عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة والقرآن مفصل بالايات
تضمن بالحكم النافية للشبهات والحكيم ههنا بمعنى المحكم فعيل بمعنى مفعل قال الاعشى وغريبة تاتى الملوك حكيمة قد قلتها ليقال
من ذا قالها وانشد ابو عبيدة لابى ذويب يواعظ فى عكاظ لنزلته ولم اشعر اذن انى خليف اى مخلف من اخلفته الوعد وقيل
معناه الحاكم ودليله قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه قال الازهري القدم الشئ تقدمه قدامك ليكون عدة لك حتى تقدم عليه
وقيل القدم المتقدم كالنقض والقبض قال ابن الاعرابي القدم المتقدم فى الشرف قال العجاج زل بنو العوام عن آل الحكم وتركوا الملك
لملك ذى قدم الازهري فلان يمشى القدمية والتقدمية اذا تقدم فى الشرف قال ابو عبيدة والكسائي كل سابق فى خير او شر فهو عند
العرب قدم ويقال لفلان قدم فى الاسلام وهو مؤنث يقال قدم حسنة قال حسان لنا القدم العليا اليك وخلفنا لاولنا فى طاعة الله

تابع وقال ذو الرمة لكم قدم لا ينكر الناس انها مع الحسب العادي طمت على البحر الاعراب اضيف ايات الى الكتاب لانها ابعاض الكتاب
كما ان سورة ابعاضه وان اوحينا في موضع رفع بانه اسم كان وعجبا خبره واللام في قوله للناس يتعلق بمحذوف كان صفة لعجب فلما تقدم
صار حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم وان شئت كان ظرفا لكان وان انذر في موضع نصب تقديره واوحينا بان انذر فحذف الجار فوصل
الفعل اليه وان لهم قدم صدق كذلك موضعه نصب بقوله وبشر ولو قرئ ان لهم بالكسر كان جائزا لان البشارة في معنى القول الا انه لم يقرأ
به واضيف قدم الى صدق كما يقال مسجد الجامع المعنى قد مضى الكلام في الحروف المعجمة المذكورة في اوائل السور من قبل تلك ايات
الكتاب الحكيم معناه ان الايات التي انزلت على محمد صلى الله عليه وآله هي آيات القرآن المحكم من الباطل الممنوع من الفساد لا كذب فيه
ولا اختلاف وقيل تلك اي هذه السورة ايات الكتاب الحكيم اي اللوح المحفوظ سماه حكيما لانه ناطق بالحكمة وقيل لانه جمع العلوم والحكم
وقيل انما وصف الكتاب بالحكيم لانه دليل على الحق كالناطق بالحكمة ولانه يؤدي الى المعرفة التي يميز بها طريق الهلاك من طريق النجاة اكان
للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس هذه الف استفهام المراد به الانكار وقيل ان المراد بالناس هنا اهل مكة قالوا العجب
ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب والتقدير اكان ايحاؤنا الى رجل من الناس بان ينذرهم عجبا ومعناه لماذا تعجبوا
ان اوحينا الى رجل منهم وليس هذا موضع التعجب بل هو الذي يجب فعله عند كل العقلاء فان الله تعالى لما اكمل لعباده وكلفهم معرفته
واداء شكره وعلم انهم لا يصلحون ولا يقومون بذلك الابتداء يدعوهم اليه وينبههم عليه وجب في الحكمة ان يفعل ذلك ثم بين سبحانه
الوجه الذي لاجله بعث وما الذي اوحي اليه فقال ان انذر الناس اي اخبرهم بالعذاب وخوفهم به وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق
عند ربهم اي عرفهم ما فيه الشرف والخلود في نعيم الجنة على وجه الاكرام والاجلال بصالح الاعمال وان لهم قدم صدق اي اجرا حسنا
ومنزلا رفيعا بما قدموا من اعمالهم عن ابن عباس وروي عنه ايضا ان المعنى سبقت لهم السعادة في الذكر الاول ويؤيده قوله ان
الذين سبقت لهم منا الحسنى وقيل هو تقديم الله تعالى اياهم في البعث يوم القيمة بيانه قوله عم نحن الآخرون السابقون يوم القيمة
وقيل ان تقدم اسم الحسنى من العبد والسيد اسم الحسنى من السيد للفرق بين السيد والعبد وقيل ان معنى قدم صدق شفاعة محمد عم
يوم القيمة عن ابي سعيد الخدري وهو المروي عن ابي عبد الله عم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين يعنون النبي صلى الله عليه وآله
اي قالوا هو ساحر مظهر السحر وما اتى به سحر بين على اختلاف القرائتين والسحر فعل يخفى وجه الحيلة فيه حتى يتوهم انه معجز وهذا يدل
على عجزهم عن معارضة القرآن فلذلك عدلوا الى وصفه بالسحر قوله تعالى انّ ربّكم الله الذي خلق السّموات والارض في ستّة
ايّام ثمّ استوى على العرش يدبّر الامر ما من شفيع الّا من بعد اذنه ذلكم الله ربّكم فاعبدوه افلا تذكّرون ۝ اليه مرجعكم
جميعا وعد الله حقّا انّه يبدؤا الخلق ثمّ يعيده ليجزي الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات بالقسط والّذين كفروا لهم شراب
من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ۝ آيتان القراءة قرا ابو جعفر المدني انه يبدأ بفتح الهمزة وهو قراءة الاعمش والباقون
بكسرها الحجة من قرا انه فتقديره وعد الله حقا لانه يبدأ الخلق ثم يعيده اي من قدر على هذا الامر العظيم فانه غني عن اخلاف الوعد
وان شئت كان تقديره وعد الله وعدا حقا انه يبدأ الخلق فيكون في محل النصب بالفعل الناصب لقوله وعدا قال ابن جني ولا يجوز ان
يكون انه منصوب الموضع بنفس وعدا لانه قد وصف بقوله حقا والصفة اذا جرت موصوفها اذنت بتمامها وانقضاء اجزائه ولا يكون
تاما اذا كان ما بعده الصلة من صلته فاما قول الحطيئة ازمعت ياسا مبينا من نوالكم ولن ترى طاردا للحر كالياس فان قوله من نوالكم
ليس من صفة ياس بل يتعلق بفعل يدل عليه قوله ياسا مبينا فكانه قال فيما بعد يئست من نوالكم وقال الفراء من فتح جعله مفعول
حقا كما في قول الشاعر احقا عباد الله ان لست زائرا بثينة او يلقى الثريا رقيبها اللغة القسط العدل ومنه القسط النصيب
والقسط بفتح القاف والسين اعوجاج في الرجلين والحميم الذي اسخن بالنار اسخانا قال المرقش الاصغر وكل يوم لها مقطرة فيها كباء
معد وحميم الاعراب جميعا نصب على الحال ووعد الله منصوب على المصدر لان قوله اليه مرجعكم معناه الوعد بالرجوع وحقا
منصوب على احق ذلك حقا على الزجاج واضيف المصدر في قوله وعد الله الى الفاعل لما لم يذكر الفعل كما في قول كعب بن زهير يسعى
الوشاة جنابيها وقيلهم انك يا ابن ابي سلمى لمقتول اي ويقولون قيلهم المعنى ان ربكم اي خالقكم ومنشئكم ومالك تدبيركم وتصريفكم

من امره ونهيه والذي يجب عليكم عبادته الله الذي خلق السموات والارض اى اخترعهما وانشاهما على ما فيهما من عجايب الصنعة و
بدايع الحكمة فى ستة ايام بلا زيادة ولا نقصان مع قدرته على انشائهما دفعة واحدة والوجه فيه ان فى ذلك مصلحة للملائكة وعبرة
لهم ولغيرهم اذا اخبروا عن ذلك وكذلك تصريف الانسان حالا بعد حال واخراج الثمار والازهار شيا بعد شى مع قدرته
على ذلك فى اقل من لمح البصر لان ذلك ابعد من توهم الاتفاق فيه ثم استوى على العرش مر تفسيره فى سورة الاعراف وقيل ان
العرش المذكور هنا هو السموات والارض لانهن من بنائه والعرش البناء واما العرش العظيم الذي تعبد الله سبحانه الملائكة
بالحفوف به والاعظام له وعناه بقوله الذين يحملون العرش ومن حوله فهو غير هذا وقيل ان ثم هنا بمعنى الواو وقيل ان ثم
دخل على التدبير وتقديره اى ثم استوى عليه بانشاء التدبير من جهته كما يستوى ملك على سرير ملكه بالاستيلاء على تدبيره فان تدبير
الامور كلها تنزل من عند العرش ولهذا ترفع الايدي فى دعاء الحوايج نحو العرش يدبر الامر اى يقدره وينفذه على وجهه ويرتبه
فى مراتبه على احكام عواقبه وهو ماخوذ من الدبر ما من شفيع الا من بعد اذنه انما قال هذا وان لم يجر ذكر للشفعاء لان الكفار كانوا
يقولون الاصنام شفعاؤنا عند الله فبين تعالى ان الشفيع انما يشفع عنده اذا اذن له فى الشفاعة واذا كانت الاصنام لا تعقل فكيف
تكون شافعة بمعنى انه لا يشفع عنده احد من الملائكة والنبيين الا باذنه وامره ذلكم الله ربكم اي الموصوف بهذه الصفات هو الهكم
فاعبدوه وحده لانه لا اله لكم سواه ولا يستحق هذه الصفات غيره لا تعبدوا الاصنام افلا تذكرون حثهم الله على التذكر والتفكر فيما
اخبرهم وعلى تعرف صحته اليه مرجعكم جميعا المرجع يحتمل معنيين احدهما ان يكون بمعنى المصدر الذي هو الرجوع والاخر ان يكون
بمعنى موضع الرجوع اي اليه موضع رجوعكم يكون اذا نشاء وعد الله حقا اى وعد الله ذلك عباده وعدا حقا انه يبدؤ الخلق ثم يعيده
اى يبتدى الخلق ابتداء ثم يعيدهم بعد موتهم ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات اى ليؤتيهم جزاء اعمالهم بالقسط اى بالعدل
لا ينقص من اجورهم شيا والذين كفروا لهم شراب من حميم اى ماء حار قد انتهى حره فى النار وعذاب اليم وجيع بما كانوا يكفرون اي
جزاء على كفرهم النظم وجه اتصال الاية بما قبلها انه لما قال اكان للناس عجبا قالوا وكيف لا نعجب ولا علم لنا بالمرسلين فقال ان ربكم
الله ويجوز ان يكون على انه لما قال اكان للناس عجبا وكان هذا حكما على الله سبحانه فكانه قال فتحكمون عليه وهو ربكم قال الاصم ويحتمل
ان يكون هذا ابتداء خطاب للخلق جميعا احتج الله بها على عباده بما بين من بدايع صنعه فى السموات والارض وفى انفسهم

قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك
الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لايات
لقوم يتقون ايتان القراءة قرا اهل البصرة وابن كثير وحفص والعجلى يفصل بالياء الباقون نفصل بالنون الحجة من قرا بالياء
فلانه تقدم ذكر الله سبحانه فاضمر الفعل ومن قرا بالنون فمثل قوله تلك ايات الله نتلوها اللغة الجعل اتخاذ ما يكون به الشى على
صفة لم يكن عليها والضياء يجوز ان يكون جمع ضوء كسوط وسياط وحوض وحياض ويجوز ان يكون مصدر اضاء يضوء ضياء
مثل عاذ يعوذ عياذا وقام يقوم قياما وعلى اي الوجهين كان فالمضاف محذوف وتقديره جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور
ويكون جعلهما النور والضياء لكثرة ذلك فيهما والاختلاف ذهاب كل واحد من الشيئين فى غير جهة الاخر فاختلاف الليل والنهار
ذهاب احدهما فى جهة الضياء والاخر فى جهة الظلام والليل عبارة عن وقت غروب الشمس الى طلوع الفجر الثانى وليل وليلة مثل تمر
وتمرة والنهار عبارة عن اتساع الضياء من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس والنهار واليوم بمعنى واحد الا ان فى النهار فايدة اتساع
الضياء المعنى ثم زاد سبحانه فى الاحتجاج للتوكيد فقال هو الذي جعل الشمس ضياء بالنهار والقمر نورا بالليل والضياء ابلغ في
كشف الظلمات من النور ففيه صفة زايدة على النور وقدره منازل اى قدر القمر منازل معلومة لتعلموا به ومنازله عدد السنين
والحساب واول الشهر واخره وانقضاء كل سنة وكميتها والشمس والقمر آيتان من ايات الله تعالى وفيهما اعظم الدلالات على وحدانيته
تعالى من وجوه كثيرة منها خلقهما وخلق الضياء والنور فيهما ودورانهما وقربهما وبعدهما ومشارقهما ومغاربهما وكسوفهما وبث
للشمس الشعاع فى العالم وتاثيرها فى الحر والبرد واخراج النبات وطبخ الثمار وفى تمام القمر وسط الشهر ونقصانه فى الطرفين ليتميز اول

الشهر واخره من الوسط كل واحد من ذلك نعمه عظيمه من الله تعالى على خلقه ولذلك قال ما خلق الله ذلك الا بالحق لان فى ذلك
منافع الخلق فى دينهم ودنياهم ودلايل على وحدانية الله تعالى وقدرته وكونه عالما لم يزل ولا يزال نفصل الايات اى نشرحها ونبينها
ايه لقوم يعلمون فيعطون كل آية حظها من التأمل والتدبر وقيل ان المعنى فى قوله وقدره منازل التثنيه اى قدر الشمس والقمر غير انه
وحده للايجاز اكتفاء بالمعلوم كما مر ذكر امثاله فيما تقدم كما فى قول الشاعر رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ومن حول الطوي رماني فان
الشمس تقطع المنازل كل سنة والقمر يقطعها فى كل شهر فبايتم الحساب ويعلم الشهور والسنون والشتاء والصيف بمقاديرهما ومجاريهما
فى تداويرهما ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض اى نعله فيهما على ما تقتضيه الحكمة فى السموات من الافلاك
والكواكب السيارة وغير السيارة وفى الارض من الحيوان والنبات والجماد وانواع الارزاق والنعم لايات اى حججا ودلالات على وحدانيته
الله لقوم يتقون معاصى الله ويخافون عقابه وخصهم بالذكر لاختصاصهم بالانتفاع بها قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ • أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ • إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ • دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ
وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ • اربع آيات القراءة فى الشواذ قراءة ابن محيصن
ويعقوب ان الحمد لله الحجة وهذه القراءة تدل على ان قراءة الجماعة ان الحمد لله انما هو على ان ان المخففه من المثقله كما فى قوله فى فتية
كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل فيكون على ان الحمد لله ولا يجوز ان يكون ان هنا زايده كما زيدت فى قوله ويوما توافينا
بوجه مقسم كان ظبية تعطوا الى وارق السلم اى كظبيه اللغه الغفلة والسهو من النظاير وهو ذهاب المعنى عن النفس ونقيضه
اليقظه والدعوى قول يدعى به الى امر والتحية التكرمة بالحال الجليله ولذلك يسمون الملك التحية الغالمين كل ما نال الفتى قد نلته
الا التحية وهو ماخوذ من قولهم احياك الله حيوة طيبة المعنى ثم انه سبحانه اوعد الغافلين عن الادلة المتقدمة المكذبين بالمعاد
فقال ان الذين لا يرجون لقاءنا اى لقاء جزاءنا ومعناه اى لا يطمعون فى ثوابنا واضافه الى نفسه تعظيما له ويحتمل ان يكون المعنى
لا يخافون عقابنا كما يكون الرجاء بمعنى الخوف كما فى قول الهذلي اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها فى بيت نوب عوامل جعل
سبحانه ملاقات ما يقدر عليه الانسان ملاقات له كما جعل اتيان ملايكته اتيانا له فى قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله تفخيما للامر
ورضوا بالحيوة الدنيا اى قنعوا بها واختار وها فلا يعملون الا لها ولا يجتهدون الا لاجلها مع سرعة فنائها ولا يرجون ما وراءها
واطمانوا بها اى وسكنوا الى الدنيا بانفسهم وركنوا اليها بقلوبهم والذين هم عن اياتنا غافلون اى ذاهبون عن تاملها فلا يعتبرون بها
اولئك ماويهم النار اى مستقرهم النار بما كانوا يكسبون من المعاصى ثم وعد سبحانه المؤمنين بعد ما اوعد الكافرين فقال ان
الذين امنوا اى صدقوا بالله ورسله وعملوا الصلحات اى واضافوا الى ذلك الاعمال الصلحة يهديهم ربهم بايمانهم الى الجنة تجرى من
تحتهم الانهار فى جنات النعيم اى تجرى بين ايديهم الانهار وهم يرونها من علو كما قال سبحانه قد جعل ربك تحتك سريا ومعلوم انه
لم يجعل السرى الذي هو الجدول تحتها وهى قاعده عليه وانما اراد انه جعله بين يديها وقيل معناه من تحت بساتينهم واسرتهم وقصورهم
عن الجبائى وقوله بايمانهم يعنى به جزاء على ايمانهم دعويهم فيها اى دعاء المؤمنين فى الجنة وذكرهم فيها ان يقولوا سبحانك اللهم يقولون
ذلك لا على وجه العبادة لانه ليس هنا تكليف بل يلتذون بالتسبيح وقيل انهم اذا مر بهم الطير فى الهوى يشتهونه قالوا سبحانك اللهم
فياتيهم الطير فيقع مشويا بين ايديهم واذا قضوا منه الشهوة قالوا الحمد لله رب العالمين فيطير الطير حيا كما كان مفتتح كلامهم فى كل
شىء التسبيح ومختتم كلامهم التحميد ويكون التسبيح فى الجنة بدل التسمية فى الدنيا عن ابن جريج وتحيتهم فيها سلام اى تحيتهم من الله
سبحانه فى الجنة سلام وقيل معناه تحية بعضهم لبعض فيها وتحية الملائكة لهم فيها سلام اى سلمتم من الآفات والمكاره التى ابتلى
بها اهل النار وقد ذكرنا معنى قوله وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وليس المراد بان ذلك يكون آخر كلامهم حتى لا يتكلموا بعده
بشىء بل المراد انهم يجعلون هذا آخر ذكرهم فى كل ما ذكروه عن الحسن والجبائي قوله تعالى وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ
بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ • وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ

نصف الحزب

قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ﴿١٢﴾ آيتان القراءة

قرا ابن عامر ويعقوب لقضى بفتح القاف اجلهم منصوب والباقون لقضى على ما لم يسم فاعله اجلهم بالرفع الحجة قال ابو علي اللام
في قوله لقضى اليهم اجلهم جواب لو في قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى والمعنى والله اعلم ولو يعجل الله للناس دعاء الشر
اي ما يدعونه به من الشر على انفسهم في حال ضجر او تطير استعجاله اياهم بدعاء الخير فاضاف المصدر الى المفعول وحذف الفاعل كقوله لا يسام
الانسان من دعاء الخير في حذف ضمير الفاعل والتقدير ولو يعجل الله للناس الشر استعجالا مثل استعجالهم بالخير لقضى اليهم اجلهم
قال ابو عبيدة لقضى اليهم اجلهم معناه لفرغ من اجلهم وانشد لابي ذويب وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع
ومثله ما انشده قول الاخر قضيت امورا ثم غادرت بعدها بوائق في اكمامها لم تفتق والمعنى لفرغ من اجلهم ومدتهم المضروبة للحيوة
واذا انقضت مدتهم المضروبة للحيوة هلكوا وهذا قريب من قوله ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وقالوا للميت
مقضي كانه قضى اذا مات ومقضي نحل التقدير الذي فيه استوفي اجله وفرغ منه قال ذو الرمة اذا الشخص فيها هزه الال اغمضت عليه
كاغماض المقضي هجولها المعنى اغمضت هجول هذه البلاد على الشخص الذي فيها فلم يعرض في الال كاغماض المقضي وهو الميت فاما
ما يتعلق به الجار من قوله لقضى اليهم فانه لما كان معنى القضا فرغ وكان قولهم فرغ يتعدى بهذا الحرف في قوله الان فقد فرغت الى عبير
فهذا حين صرت لهم عذابا وفي التنزيل سنفرغ لكم ايها الثقلان امكن ان يكون الفعل تعدى باللام كما يعدى بالى كما ان اوحى في
قوله واوحينا اليه فقد تعدى بالى وباللام في قوله بان ربك اوحى لها فلما كان معنى قضى فرغ وفرغ تعلق بها الى كذلك تعلق بقضى
ووجه قراءة ابن عامر لقضى اليهم اجلهم لا على اسناد الفعل الى الفاعل ان الذكر قد تقدم في قوله ولو يعجل الله للناس فعال
لقضى على هذا ومن حجته في ذلك قوله ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده فهذا الاجل الذي في هذه الاية هو الاجل المضروب للمحيا كما
ان الاجل في قوله لقضى اليهم اجلهم الى الفاعل ولم يسنده الى الفعل المبني للمفعول ويدل على ان الاجل في قوله ثم قضى اجلا اجل
المحيا ان قوله واجل مسمى عنده اجل البعث يبين ذلك قوله ثم انتم تمترون اي انتم ايها المشركون تشكون في البعث ومن قرا لقضى فبنى
الفعل للمفعول فلانه في المعنى مثل قول من بنى الفعل للفاعل الاعراب قوله لجنبه في موضع نصب على الحال تقديره دعانا مضطجعا
لجنبه او دعانا قائما ويجوز ان يكون تقديره اذا مس الانسان الضر لجنبه او مسه قاعدا او مسه قائما دعانا وموضع الكاف من كذلك
نصب على مفعول ما لم يسم فاعله اي زين للمشركين عملهم مثل ذلك المعنى ثم عاد الكلام الى ذكر المائلين الى الدنيا المطمئنين اليها
الغافلين عن الاخرة فقال ولو يعجل الله للناس اي اجابة دعوتهم في الشر اذا دعوا على انفسهم واهاليهم عند الغيظ والضجر استعجاله
مثل قول الانسان رفعني الله من بينكم وقوله لولده اللهم العنه ولا تبارك فيه استعجالهم بالخير اي كما يعجل لهم اجابة الدعوة بالخير اذا
استعجلوها لقضى اليهم اجلهم اي لفرغ من اهلاكهم ولكن الله تعالى لا يعجل لهم الهلاك بل يمهلهم حتى يتوبوا وقيل معناه ولو يعجل الله
للناس العقاب الذي استحقوه بالمعاصي كما يستعجلون هم خير الدنيا فربما اجيبوا الى ما سالوه اذا اقتضت المصلحة ذلك لعسى الان
بنية الانسان في الدنيا لا تحتمل عقاب الاخرة بل لا تحتمل ما دونه والله سبحانه يوصله اليهم في وقته وسمى العقاب شرا من جهة المشقة
والاذى الذي فيه وفايدته انه لو عجلت العقاب لزال التكليف ولا يزول التكليف الا بالموت واذا عوجلوا بالموت لم يبق احد
فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون اي ندع الذين لا يخافون البعث والحساب يتحيرون في كفرهم وتعديهم عن الحق الى
الباطل وترددهم في الظلم والعمه شدة الحيرة ثم اخبر سبحانه عن قلة صبر الانسان على الضر والشدايد فقال واذا مس الانسان الضر
اي المشقة او البلاء او المحنة من محن الدنيا دعانا لجنبه اي دعانا لكشفه مضطجعا او قائما او قاعدا اي على اي حال كان عليها اجتهد
في الدعاء وسوال العافية وليس غرضه بذلك نيل ثواب الآخرة وانما غرضه زوال ما هو فيه من الالم والشدايد وقيل ان تقديره اذا
مس الانسان الضر مضطجعا او قائما دعانا لكشفه وفيه تقديم وتاخير فلما كشفنا عنه ضره اي فلما ازلنا عنه ذلك الضر ووهبنا له
العافية مر اي استمر على طريقته الاولى معرضا عن شكرنا كان لم يدعنا الى ضر مسه اي كانه لم يدعنا قط لكشف ضره ولم يسالنا ازالة
الالم عنه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون اي كما زين لهم الشيطان واقرانهم الغواة ترك الدعاء عند الرخاء زين للمسرفين اي

او قاعدا م

المشركين عليهم عن الحسن ويحتمل ان يكون زين المسرفون بعضهم لبعض وان لم يضف التزيين اليهم فهو كقولهم فلان معجب بنفسه وقد
حث الله سبحانه في هذه الآية الذين منحوا الرخاء بعد الشدة والعافية بعد البلية على ان يتذكروا احسن صنيع الله اليهم وجزيل نعمه
عليهم ويشكرون على ذلك ويسألوه ادامة ذلك عليهم ونبه بذلك على وجوب الصبر عند المحنة احتسابا للاجر وابتغاء للثواب والزجر
قوله تعالى ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين
ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون آيتان اللغة القرون جمع قرن وهو اهل كل عصر سموا بذلك لمقارنة بعضهم
لبعض ومنه قرن الشاة لمقارنته آخر بازائه والقرن بكسر القاف هو المقاوم لقرينه في الشدة الاعراب موضع كيف نصب بقوله تعملون
وتقديره لننظر خيرا تعملون ام شرا ولا يجوز ان يكون معمول ننظر لان ما قبل الاستفهام لا يعمل فيما بعده المعنى ثم اخبر سبحانه عما نزل
بالامم الماضية من المثلات تحذيرا لهذه الامة عن مثل مصارعهم فقال ولقد اهلكنا القرون من قبلكم بانواع العذاب لما ظلموا انفسهم
بان اشركوا وعصوا وجاءتهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات الظاهرة والدلالات وما كانوا ليؤمنوا هذا اخبار بان هذه الامم
انما اهلكوا لما كان في المعلوم انهم لو بقوا لم يكونوا يؤمنون بالرسل الذين اتوهم والكتب التي جاءتهم بها واستدل ابو علي الجبائي
على ان تبقيه الكافر واجبة اذا كان المعلوم من حاله انه يؤمن فيما بعد كذلك نجزي القوم المجرمين اي كذلك نعذب القوم المشركين
في المستقبل اذا لم يؤمنوا بعد قيام الحجة عليهم وعلمنا انهم لا يؤمنون ولا يصلحون ثم جعلناكم يا امة محمد خلائف في الارض من بعدهم
اي من بعد القرون التي اهلكناهم ومعناه اسكناكم في الارض خلفهم لننظر كيف تعملون اي لنرى عملكم ايقع من عمل اولئك
فتعتدون بهم فتستحقون من العقاب مثل ما استحقوه ام تؤمنون فتستحقون الثواب وانما قال لننظر ليدل على انه سبحانه يعامل العبد
معاملة المختبر الذي لا يعلم الشيء فيجازيهم على ما يظهر فيه دون ما قد علم انه يفعله مظاهرة في العدل والنظر في الحقيقة لا يجوز على
الله تعالى لانه انما يكون بالقلب وهو التفكر وبالعين وهو تقليب الحدقة نحو المرئي التماسا لرؤيته مع سلامة الحاسة وكلا هذين
لا يجوز عليه سبحانه وانما يستعمل ذلك في صفاته على وجه المجاز والاتساع فان النظر انما هو لطلب العلم وهو سبحانه يعامل عباده معاملة
من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن
غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم
عظيم * قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون * فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح المجرمون * القراءة ثلث آيات في رواية ابن ربيعة عن البزي عن ابن كثير ولادريكم يجعلها
لاما دخلت على ادريكم وامال ادريكم وادراك في جميع القرآن ابو عمرو وحمزة والكسائي وخلف وروي في الشواذ عن ابن عباس والحسن ولا ادرأتكم
الحجة قال ابو علي حكى سيبويه دريته ودريت به والاكثر في الاستعمال بالباء ويبين ذلك قوله ولا ادريكم به ولو جاء على لغة اخرى لكان
ولا ادراكم قال الدرية كالفطنة والشعرة وهي مصادر يراد بها ضرب من العلم واما الدراية كالهداية والدلالة وكان الدراية التأتي
والتعمل لعلم الشيء وعلى هذا المعنى ما يصرف من هذه الكلمة انشد ابو زيد عزالك الذي كنت تدري اذا شئت ليث خادر بين اشبل
يدري اي يختل ومنه الدرية في قول اكثر الناس والختل الذي يستتر به الصائد من الوحش كانه يختل به وداريت الرجل لاينته
وخاتلته واذا كان الحرف على هذا فالداري في وصف القديم سبحانه لا يجوز فاما قول الراجز اللهم لا ادري وانت الداري فلا يكون
حجة في جواز ذلك لانه استجاز ذلك لما تقدم من قوله لا ادري كما جاز فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وان تسخروا منا فانا نسخر منكم
وايضا فان الاعراب يذكرون اشياء يمتنع جوازها كما قالوا لاهم ان كنت الذي بعهدي ولا تغيرك الامور بعدي وقال الآخر لو خافك
الله عليك حرمه فاما الهمزة على ما حكي عن الحسن وغيره فلا وجه له لان الدرء الدفع قال ابن جني يجوز ان يكون لها وجه وان فيه
صنعة وهو ان يكون اراد ولا ادريكم به ثم قلب الياء الفا لانفتاح ما قبلها وان كانت ساكنة كقولهم في ييأس ياءس وفي ييئس يائس
وقال قطرب انه لغة عقيل في اعطيتك كقولهم ان سرلوا اعطائك ثم همز الالف على لغة من قال في الباز البأز وفي العالم والخاتم
والقابل العألم والخأتم والقأبل ومن قرأ ولادريكم به فمعناه ولا علمكم الله به فيكون نفيا للتلاوة واثباتا للعلم وعلى قراءة الجماعة يكون

نفيا

نفيا للامر جميعا اللغة التلقاء جهة مقابلة الشيء الا انه قد يستعمل ظرفا فيقال هو تلقاءه كما يقال هو حذاءه والعمر بفتح العين وسكون
الميم والعمر بضمها البقاء واذا استعمل في القسم فالفتح لا غير النزول قيل نزلت في خمسة نفر عبد الله بن امية المخزومي والوليد بن المغيرة
ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن ابي قيس العامري والعاص بن عامر بن هاشم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله ائت بقرآن ليس فيه ترك
عبادة اللات والعزى ومناة وهبل وليس فيه عيبها او بدله تكلم به من تلقاء نفسه عن مقاتل وقيل نزلت في المستهزئين قالوا يا محمد ائت
بقرآن غير هذا فيه ما نسألكه المعنى ثم اخبر سبحانه عن مشركي قريش فقال واذا تتلى عليهم آياتنا المنزلة في القرآن بينات اي واضحات في
الحلال والحرام وساير الشرايع وهو نصب على الحال قال الذين لا يرجون لقاءنا اي لا يؤمنون بالبعث والنشور اي لا يخشون عقابنا ولا
لا يطمعون في ثوابنا ائت بقرآن غير هذا الذي تتلوه علينا او بدله فاجعله على خلاف ما تقرأه والفرق بينهما ان الاتيان بغيره قد يكون
مع تبديله ولا يكون الا بغيره وقيل معنى بدله غير احكامه من الحلال والحرام ارادوا بذلك زوال الحظر عنهم وسقوط الامر منهم وان يخلى
بينهم وبين ما يريدونه قل يا محمد ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي اي من جهة نفسي وناحية نفسي ولانه معجز فلا اقدر على الاتيان
بمثله ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي في اتباع غيره عذاب يوم عظيم اي يوم القيمة ومن استدل بهذه الآية على ان
نسخ القرآن بالسنة لا يجوز فقد ابعد لانه اذا نسخ القرآن بالسنة وما يقوله النبي فانما يقوله بالوحي من الله فلم ينسخ القرآن ولم يبدله من
قبل نفسه بل يكون تبديله من قبل الله تعالى ولكن لا يكون قرآنا ويؤيد ذلك قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى قل يا محمد
لو شاء الله ما تلوته عليكم معناه لو شاء الله ما تلوت هذا القرآن عليكم بان كان لا ينزله علي ولا ادريكم به اي ولا اعلمكم الله به بان لا
ينزله علي فلا اقرأه عليكم فلا تعلمونه فقد لبثت فيكم عمرا من قبله اي فقد مكثت واقمت بينكم دهرا طويلا قبل انزال القرآن لم اقرأه عليكم
ولا ادعيت نبوة حتى اكرمني الله تعالى به افلا تعقلون اي افلا تتفكرون فيه بعقولكم فتعلموا ان المصلحة فيما انزل الله تعالى دون ما
تقترحونه قال علي بن عيسى العقل هو العلم الذي يمكن به الاستدلال بالشاهد على الغايب والناس يتفاضلون فيه بالامر المتفاوت
فبعضهم اعقل من بعض اذا كان اقدر على الاستدلال من بعض فمن اظلم ممن افترى على الله اي لا احد اظلم ممن اخترع على الله كذبا او
كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون اي المشركون عن الحسن فان قيل اليس من ادعى الربوبية اكثر ظلما من المدعي للنبوة قلنا ان المراد بقوله
من افترى على الله كذبا من كفر بالله تعالى فقد دخل فيه من ادعى الربوبية وغيره من انواع الكفار فكأنه قال لا احد اظلم من الكافر

قوله تعالى وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ
فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ • وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ
رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ • وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ
ثلث آيات

القراءة قرأ تشركون بالتاء اهل الكوفة غير عاصم وكذلك في النحل في موضعين وفي الروم والباقون كل ذلك بالياء الحجة
من قرأ بالتاء فكقوله أتنبئون الله ومن قرأ بالياء احتمل وجهين احدهما على قل كأنه قيل له قل انت سبحانه وتعالى عما يشركون والوجه الآخر
ان يكون هو سبحانه نزه نفسه عما افتروه فقال ذلك المعنى ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم
ولا ينفعهم اي ويعبد هؤلاء المشركون الاصنام التي لا تضرهم ان تركوا عبادتها ولا تنفعهم ان عبدوها فان قيل كيف ذمهم على عبادة الصنم
الذي لا ينفع ولا يضر مع انه لو نفع وضر لكان ايضا لا يجوز عبادته قلنا عبادة من لا يقدر على اصول النعم وان قدر على النفع والضر اذا
كان قبيحا فمن لا يقدر على النفع والضر اصلا من الجماد يكون اقبح واشنع فلذلك خصه بالذكر ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله اخبر
سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم قالوا انا نعبد هذه الاجسام لتشفع لنا عند الله وقيل معناه هؤلاء شفعاؤنا في الدنيا لاصلاح معاشنا
عن الحسن قال لانهم كانوا لا يقرون بالبعث بدلالة قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وتوهموا ان عبادتها اشد
في تعظيم الله سبحانه من قصده تعالى بالعبادة فجمعوا بين قبح القول وقبح الفعل وقبح التوهم وان الله اذن لنا في عبادتها وانه
سيشفعها فينا في الآخرة قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله ان يقول لهم على وجه
الالزام أتخبرون الله بما لا يعلم من حسن عبادة الاصنام وكونها شافعة لان ذلك لو كان صحيحا لكان تعالى به عالما ففي نفي علمه بذلك

عشر ع

بنفي المعلوم ومعناه انه ليس في السموات ولا في الارض اله غير الله ولا احد لكم يشفع يوم القيمة وقيل معناه اتخبرون الله بشريك او شفيع لا يعلم شيئا كما قال ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض فلذلك وصفهم بانهم لا يعلمون في السموات والارض شيئا سبحانه وتعالى عما يشركون اى تنزيه لله تعالى عن ان يكون له شريك في استحقاق العبادة وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا فيه اقوال احدها ان الناس كانوا جميعا على الحق على دين واحد فاختلفوا في الدين الذي كانوا مجتمعين عليه ثم قيل انهم اختلفوا على عهد ادم وولده عن ابن عباس والسدى ومجاهد والجبائى وابى مسلم ومتى اختلفوا قيل عند قتل احد ابنيه اخاه وقيل اختلفوا بعد موت آدم عليه لانهم كانوا على شرع واحد ودين واحد الى زمن نوح ع وكانوا عشرة قرون ثم اختلفوا عن ابى روق وقيل كانوا على ملة الاسلام من لدن ابرهيم ع الى ان غيره عمرو بن يحيى وهو اول من غير دين ابراهيم وعبد الصنم في العرب عن عطا ويدل على صحة هذه الاقوال قراءة عبد الله وما كان الناس الا امة واحدة على هدى فاختلفوا عنه وثانيها ان الناس كانوا امة واحدة مجتمعة على الشرك والكفر عن ابن عباس والحسن والكلبى وجماعة ثم اختلف هؤلاء فقيل كانت امة كافرة على عهد ابرهيم ع ثم اختلفوا فتفرقوا فمنهم مؤمن وكافر عن الكلبى وقيل كانت كذلك منذ وفاة ادم ع الى زمن نوح ع عن الحسن وقيل اراد به العرب الذين كانوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وآله فانهم كانوا مشركين الى ان بعث النبى صلى الله عليه وآله فامن به قوم وبقى آخرون على الشرك وسئل على هذا فقيل كيف يجوز ان يطبق اهل كل عصر على الكفر حتى لا يوجد مؤمن يشهد عليهم والله تعالى يقول فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد واجيبوا عن ذلك بانه يجوز ان يكون اهل كل عصر وان لم يخلوا عن مؤمنين يشهدون عليهم فربما يقلون في عصر وانما يتبع الاسم الاعم وعلى هذا يقال دار الاسلام ودار الكفر وفي تفسير الحسن ما كان الناس الى مبعث نوح ع الا ملة واحدة كافرة الا الخاصة فان الارض لا تخلوا من ان يكون لله تعالى فيها حجة وثالثها ان الناس كانوا خلقوا على فطرة الاسلام ثم اختلفوا في الاديان ولولا كلمة سبقت من ربك من انه لا يعاجل العصاة بالعقوبة انعاما عليهم في التانى بهم لقضى بينهم اى فصل بينهم فيما فيه يختلفون بان يهلك العصاة وينجى المؤمنين لكنه اخرهم الى يوم القيمة تفضلا منه عليهم وزيادة في الانعام عليهم ثم حكى سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي هلا نزل على محمد اية من ربه يضطر الخلق الى المعرفة بصدقه فلا يحتاجون معها الى النظر والاستدلال ولم يطلبوا معجزة تدل على صدقه بانه صم قد اتاهم بالمعجزات الدالة على نبوته ولما لم يجبهم الى ما التمسوه لان التكليف يمنع من الاضطرار الى المعرفة فان الغرض بالتكليف التعريض للثواب ولو كانت المعرفة ضرورية لما استحقوا ثوابا فكان يكون ذلك ناقضا للغرض فقل انما الغيب لله معناه فقل يا محمد ان الذي يعلم الغيب ويعلم مصالح الامور قبل كونها هو الله العالم لنفسه يعلم الاشياء قبل كونها وبعد كونها فيعلم ما في انزاله صلاح فينزله ويعلم ما ليس في انزاله صلاح فلا ينزله ولذلك لا يفعل الاية التى اقترحتموها في هذا الوقت لما في ذلك من حسن التدبير فانتظروا عقاب الله تعالى بالقهر والقتل في الدنيا والعقاب في الاخرة انى معكم من المنتظرين لان الله تعالى وعدنى النصرة عليكم وقيل معناه فانتظروا اذلال الكافرين فانى منتظر اعزاز الكافرين قوله تعالى وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ * هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *

ثلث ايات القراءة قرا روح وزيد عن يعقوب وسهل يمكرون بالياء والباقون بالتاء وقرا ابو جعفر وابن عامر ينشركم بالنون والشين من النشر والباقون يسيركم بالسين والياء من التسيير وقرا حفص وحده متاع بالنصب والباقون بالرفع الحجة من قرا يمكرون بالياء فلقوله اذا لهم مكر في اياتنا ومن قرا بالتاء فللخطاب اى قل لهم يا محمد ان رسل الله تكتب ما تمكرونه ومن قرا يسيركم فلقوله قوله فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وقوله قل سيروا في الارض ويقال سار الدابة وسرتها وسيرتها قال فلا تجزعن من سنة انت سرتها فقال لبيد فسار حوان هو محرس وقد يصل الضيم الدليل المسير ومن قرا ينشركم فحجته قوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وقوله وما بث فيهما من دابة

والبث التفريق والنشر في المعنى واما متاع الحيوة الدنيا قال الزجاج من رفع فعلى وجهين احدهما ان يكون متاع الدنيا خبر القوله بغيكم
والآخران يكون خبر المبتداء على انفسكم ومتاع الحيوة الدنيا على اضمار هو ومن نصب فعلى المصدر اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا وقال ابو علي قوله
على انفسكم يحتمل تاويلين احدهما ان يكون متعلقا بالمصدر لان فعله يتعدى بهذا الحرف الا ترى الى قوله بغى بعضنا على بعض وثم بغي عليه
اذا كان الجار من صلة المصدر كان الخبر متاع الحيوة الدنيا فيكون معناه بغي بعضكم على بعض متاع في الدنيا وليس مما يقرب الى الله ويجوز
ان يكون متعلقا بمحذوف فيكون خبر المصدر وفيه ذكر يعود اليه فيكون كقولك الصلوة في المسجد ويكون المصدر مضافا الى الفاعل
ومفعوله محذوفا والمعنى انما بغي بعضكم على بعض عايد على انفسكم ويكون كقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ومن نصب احتمل النصب
وجهين احدهما ان يكون من صلة المصدر ويكون الناصب لمتاع هو المصدر الذي هو البغي ويكون الخبر المبتداء محذوفا وحسن حذفه
لطول الكلام ولان بغيكم يدل على يبغون فيحسن الحذف لذلك وهذا الخبر لو اظهرته لكان يكون مكروه او مذموم او منهي عنه ويجوز
ذلك والآخر ان يكون على انفسكم خبر المبتداء فيكون متاع منصوبا على وجهين احدهما يمتعون متاعا فيدل انتصاب المصدر عليه والاخر
ان يضمن يبغون لان ما يجري مجرى ذكره قد تقدم كانه لو اظهره لكان تبغون متاع الحيوة الدنيا فيكون مفعولا له ولا يجوز ان يتعلق المصدر
بالمصدر في قوله انما بغيكم وقد جعلت على خبر القوله انما بغيكم لفصلك بين الصلة والموصول (اللغة) التسير التحريك في جهة تمتد كالسير
الممدود والبر الارض الواسعة التي تقطع من بلد الى بلد ومنه البر لاتساع الخير به والبحر مستقر الماء الواسع حتى لا يرى من وسطه حافتاه
والفلك السفن وسميت فلكا لدورانها في الماء واصله الدور ومنه فلكة المغزل وتفلك ثدي الجارية اذا استدار والفلك يكون جمعا ويكون
هنا جمع والعاصف الريح الشديدة وعصفت الريح فهي عاصف وعاصفة قال العجاج اذا عصفت ريح مزعزعة فيها قطا رعد وصوبرجل
(الاعراب) جواب اذا الاولى في اذا الثانية وانما جعل اذا جوابا لكونها بمعنى الجملة لما فيها من معنى المفاجاة وهي ظرف مكان وهو كقوله
وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون ومعناه ان تصبهم سيئة قنطوا واذا اذقنا الناس رحمة مكروا وجرين بهم ابتداء
الكلام خطاب وبعد ذلك اخبار عن غايب لان كل من اقام الغايب مقام من يخاطبه جاز له ان يرده الى الغايب قال الشاعر اسيئي بنا
او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت وقال عنترة شطت مزار العاشقين فاصبحت عسرا علي طلابك ابنة مخرم وقوله فلما انجاهم
اذا هم يبغون (المعنى) فلما انجاهم بغوا ثم اخبر سبحانه عن ذميم فعالهم فقال واذا اذقنا الناس رحمة يريد بالناس الكفار فهو
عموم يراد به المخصوص من بعد ضراء مستهم اي راحة ورخاء بعد شدة وبلاء وحقيقة الذوق انما يكون فيما له طعم يوجد طعمه بالفم
وانما قال اذقناهم الرحمة على طريق البلاغة لشدة ادراك الحاسة اياها اذا لهم مكر في اياتنا اي فهم يحتالون لدفع اياتنا بكل ما يجدون
السبيل اليه من شبهة او تخليط في مناظرة او غير ذلك من الامور الفاسدة وقال مجاهد مكرهم استهزاؤهم وتكذيبهم قل يا محمد
لهم الله اسرع مكرا اي اقدر على المكر ومعناه ان ما ياتيهم من العقاب اسرع مما اتوه من المكر اي اوقع في حقه وقيل ان مكره سبحانه انزاله
العقوبة بهم من حيث لا يشعرون ان رسلنا يعني الملائكة الحفظة يكتبون ما يمكرون اي ما يدبرون من سوء التدبير وفي هذا غاية الزجر
والتهديد من وجهين احدهما انه يحفظ مكرهم والاخر انه اقدر على جزائهم واسرع فيه ثم من الله سبحانه على خلقه بان عدد نعمه التي
يفعلها بهم في كل حال فقال هو الذي يسيركم في البر والبحر اي يمكنكم من السير في البر والبحر بما هيأ لكم من آلات السير وهي خلق الدواب
وتسخيرها لكم لتركبوها في البر وتحملوا عليها اثقالكم وهيأ السفن في البحر وارسل الرياح المختلفة التي تجري بالسفن في الجهات المختلفة
حتى اذا كنتم في الفلك خص الخطاب براكب البحر اي اذا كنتم راكبي السفن في البحر وجرين بهم اي وجرت السفن بالناس لما ركبوها عدل عن
الخطاب الى الاخبار عن الغايب تصرفا في الكلام على انه يجوز ان يكون خطابا لمن كان في تلك الحال واخبارا لغيرهم من الناس
بريح طيبة اي بريح لينة يستطيبونها وفرحوا بها اي سروا بتلك الريح لانها تبلغهم مقصودهم عن ابي مسلم وقيل فرحوا بالسفينة حيث
حملتهم وامتعتهم جاءتها ريح عاصف اي جاءت السفينة ريح عاصف شديد الهبوب هائلة وجاءهم الموج من كل مكان من البحر
والموج اضطراب البحر ومعناه وجاء راكبي البحر الموج العظيم من جميع الوجوه وظنوا انهم احيط بهم اي ايقنوا انهم دنوا من الهلاك
وقيل غلب على ظنهم انهم سيهلكون لما احاط بهم من الامواج دعوا الله عند هذه الشدايد والاهوال والتجاوا اليه ليكشف ذلك عنهم

مخلصين له الدين اي على وجه الاخلاص فى الاعتقاد ولم يذكروا الاصنام والاوثان لعلمهم بانها لا تنفعهم ههنا شيئا وقالوا لئن انجيتنا
يارب من هذه الشدايد لنكونن من الشاكرين اى من جملة من يشكرك على نعمك وقوله جاءتها ريح عاصف جواب قوله اذا كنتم فى الفلك
وقوله دعوا الله جواب قوله وظنوا انهم احيط بهم فلما انجيهم اى خلصهم الله تعالى من تلك المحن اذا هم يبغون فى الارض بغير الحق
اي يعملون فيها بالمعاصى والفساد ويشتغلون بالظلم على الانبياء وعلى المسلمين يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا اي
اى بغى بعضكم على بعض وما تنالونه متاع فى الدنيا وانما تنالونه بحكم العاجلة وايثارها على ما يقرب الى الله تعالى من الطاعات
وقد تقدم بيانه قبل ثم الينا مرجعكم فى الاخرة فينبئكم بما كنتم تعملون اى نخبركم باعمالكم لانا اثبتناها عليكم وهى كلمة تهديد ووعيد النظم
قيل انما اتصل قوله هو الذي يسيركم الاية بما قبله لانه تفسير لبعض ما اجمل فى الاية المتقدمة التى هى قوله واذا اذقنا الناس رحمة من
بعد ضراء مستهم عن ابى مسلم وقيل انه اتصل بما تقدم فى السورة من دلايل التوحيد فكانه قال الحكم الذي جعل الشمس ضياء والقمر
نورا هو الذي يسيركم قوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام
حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتيها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان
لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون ۝ والله يدعوا الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم
آيتان القراءة فى الشواذ قراءة الاعرج والشعبى وابى العالية ونصر بن عاصم والحسن بخلاف وازينت وقراءة ابى عثمن
الهندى وازيانت فان اصله تزينت فادغمت التاء فى الزاء وسكنت الزاء فاجتلبت لها الف الوصل واما ازينت فانه على افعلت اي
جاءت بالزينة والزينة اجود فى العربية لان ازينت الاجود فيها ازانت مثل اقال واباع واما ازيانت فوزنه افعالت واصله ازيانت
مثل ادهامت واسوادت الا انه كره التقاء الساكنين فحرك الالف فانقلبت همزة كقول كثير وللارض اما سودها فتجللت بياضا واما
بيضها فادهامت اللغة الزخرفة كمال حسن الشىء ويقال زخرفته اى حسنته ومنه زخرفت الجنة لاهلها اي زينت بحسن الالوان ومغنى
بالمكان اقام به والمغانى المنازل قال النابغة غنيت بذلك اذهم لك جيرة منها بعطف رسالة وتودد والدعاء طلب الفعل بما يقع لاجله
والداعى الى الفعل خلاف الصارف عنه والفرق بين الدعاء والامر ان فى الامر ترغيبا فى الفعل وزجرا عن تركه وله صيغة تنبى عنه وليس
كذلك الدعاء وكلاهما طلب وايضا فان الامر يقتضى ان يكون المامور دون الامر فى المرتبة والدعاء يقتضى ان يكون فوقه المعنى
لما تقدم ما يوجب الترغيب فى الاخرة والتزهيد فى الدنيا عقبه سبحانه بذكر صفة الدارين فقال انما مثل الحيوة الدنيا اي صفة الحيوة
الدنيا اي شبه الحيوة الدنيا فى سرعة فنائها وزوالها كماء انزلناه من السماء وهو المطر فاختلط به اى بذلك المطر نبات الارض لان
المطر يدخل فى خلل النبات فيختلط به وقيل معناه فاختلط بسببه يعنى النبات بالبعض فاختلط ما ياكل الانعام وما يقتات بما
ينفكه ثم فصل ذلك فقال مما ياكل الناس كالحبوب والثمار والبقول والانعام كالحشيش وساير انواع المراعى وقد قيل فى المشبه
والمشبه به فى الاية اقوال احدها انه شبه الحيوة الدنيا بالماء فيما يكون به من الانتفاع ثم الانقطاع وثانيها انه شبهها بالنبات على
ما وصفه من الاغترار به ثم المصير الى الزوال عن الجبائي وابى مسلم وثالثها انه تعالى شبه الحيوة الدنيا بالحيوة مقدرة على هذه الاوصاف
حتى اذا اخذت الارض زخرفها اى حسنها وبهجتها بانواع الالوان واجناس النبات وغير ذلك وازينت اى تزينت فى عين رائيها وظن
اهلها اى مالكها انهم قادرون عليها اي على الانتفاع بها ومعناه بلغت المبلغ التى يطمع اهلها انهم يحصلون لها ويقدرون على
غلتها او ادامتها اتاها امرنا ليلا او نهارا اي اتاها امرنا من برد او برد وقيل معناه اتاها حكمنا وقضاؤنا باهلاكها واتلافها فجعلناها حصيدا
اى محصودة ومعناها مقطوعة مقلوعة ذاهبة يابسة كان لم تغن بالامس اى كان لم تقم على تلك الصفة بالامس معناه كان لم
تكن ولم توجد من قبل كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون اى مثل ذلك نميز الايات لقوم يتفكرون فيها فيعتبرون بها ولما بين
سبحانه ان الدنيا تنقطع وتفنى بالموت كما يفنى هذا النبات بفنون الافات ونبه على التوقع لزوالها والتحرز عن الاغترار باحوالها
رغب عقبه فى الاخرة فقال والله يدعوا الى دار السلام قيل ان السلام هو الله عز وجل والله يدعوا الى داره ودار الجنة عن الحسن
وقيل دار السلام الدار التى يسلم فيها من الافات عن الجبائي والسلام والسلامة واحد مثل الرضاع والرضاعة قال بحيا بالسلامة ام بكر

وهل

نصف جزو ١١

وهل لك بعد عطلك من سلام قيل سميت الجنة دار السلام لان اهلها يسلم بعضهم على بعض والملائكة تسلم عليهم ويسلم ربهم عليهم فلا
يسمعون الا سلاما ولا يرون الا السلامة ويعضده قوله وتحيتهم فيها سلام وما اشبهه ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم قيل يهدي من
يشاء الى الايمان والدين الحق بالتوفيق والتيسير والالطاف وقال الجبائي يريد به نصب الادلة لجميع المكلفين دون الاطفال
والمجانين وقيل معناه يهدي من يشاء في الاخرة الى طريق الجنة الذي يسلكه المؤمنون ويعدل عنه الكافرون الى النار قوله تعالى
للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ۝ والذين كسبوا
السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون ۝ آيتان القراءة قرا ابن كثير والكسائي ويعقوب وسهل قطعا ساكنة الطاء والباقون قطعا بفتحها
الحجة القطع جمع قطعة من الليل والقطع الجزء من الليل الذي فيه ظلمة اللغة الرهق لحاق الامر ومنه راهق الغلام اذا لحق
بالرجال ورهقه في الحرب ادركه قال الازهري الرهق من الارهاق وهو ان يحمل الانسان على ما لا يطيقه ومنه سارهقه صعودا والكسب
الكسب اختلاف النفع والجزاء المكافاة والقتر الغبار والقترة الغبرة والقتار الدخان ومنه الاقتار في المعيشة الاعراب جزاء سيئة
في ارتفاعه وجهان احدهما ان يكون مبتدا وخبره بمثلها على زيادة الباء في قول ابي الحسن لانه وجد في مكان آخر وجزاء سيئة سيئة
مثلها ويجوز ان يكون الباء متعلقة بخبر محذوف تقديره جزاء سيئة كائنة بمثلها كما تقول انما انا بك وامري بيدك وما اشبه ذلك
والآخر ان يكون فاعلا باضمار فعل تقديره استقر لهم جزاء سيئة بمثلها ثم حذف استقر فبقي لهم جزاء سيئة بمثلها ثم حذف لهم
لدلالة الكلام على ان هذا مستقر لهم ويجوز ان يكون جزاء مبتدا والخبر محذوف تقديره لهم جزاء سيئة بمثلها او جزاء سيئة بمثلها
كائن هذا قد اجازه ابو الفتح وقوله وترهقهم عطف على كسبوا وجاز ان يفصل بينهما بقوله جزاء سيئة بمثلها لانه من الاعتراض الذي
يبين الاول ويشدده ويفيده وقوله مظلما قال ابو علي ان اجريته على ساكنة الطاء فيحتمل نصبه وجهين احدهما ان يكون صفة لقطع
على قياس قوله وهذا كتاب انزلناه مبارك وصفت الكتاب بالمفرد بعد ما وصفته بالجملة واجريته على النكرة والآخر ان يكون حالا من الذكر
الذي في الظرف يعني قوله من الليل وان اجريته على قطع مفتوحة الطاء لم يكن صفة له ولا حالا من الذكر الذي في قوله من الليل ولكن يكون
حالا من الليل والعامل في الحال ما يتعلق به من الليل وهو الفعل المميز ومثل ذلك في ارادة الوصف بالسواد قول الشاعر ودوية مثل السماء
اعتقتها وقد صبغ الليل الحصى السواد اي سودتها الظلمة وقال غيره يجوز ان يكون مظلما صفة لقطع على قول الشاعر لوان مدحة
حي منشرة احدا احيا اباكن يا ليلى الامادح المعنى ثم بين سبحانه اهل دار السلام فقال للذين احسنوا الحسنى ومعناه للذين
احسنوا العمل واطاعوا الله تعالى في الدنيا جزاء لهم على ذلك الحالة الحسنى والمنزلة الحسنى وهي الحالة الجامعة للذات والنعم على اكمل ما يكون
وافضل ما يكون وهي تانيث الاحسن وزيادة ذكر في ذلك وجوه احدها ان الحسنى الثواب المستحق والزيادة التفضل على قدر
المستحق على طاعتهم من الثواب وهي المضاعفة المذكورة في قوله فله عشر امثالها عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وثانيها الزيادة
على ان ما اعطاهم الله تعالى من النعم في الدنيا لا يحاسبهم في الاخرة عن ابي جعفر الباقر ع وثالثها ان الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة
لها اربعة ابواب عن علي بن ابي طالب ع وقيل الزيادة ما ياتيهم في كل وقت من فضل الله مجددا ورابعها ان الزيادة هي النظر الى وجه
الله تعالى روي ذلك عن ابي بكر وعن ابي موسى الاشعري وغيرهما وقد بين الله سبحانه الزيادة في موضع اخر بقوله ليوفيهم اجورهم
ويزيدهم من فضله ولا يرهق وجوههم قتر اي لا يلحق وجوههم سواد عن ابن عباس وقتادة وقيل غبار ولا ذلة اي هوان وقيل كآبة و
كسوف عن قتادة وروى الفضيل بن يسار عن ابي جعفر الباقر ع قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما من عين ترقرقت بمائها الا حرم
الله ذلك الجسد على النار فان فاضت من خشية الله لم يلحق ذلك الوجه قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مر
معناه والذين كسبوا السيئات اي اكتسبوها وارتكبوها جزاء سيئة بمثلها اي لهم جزاء كل سيئة بمثلها يعني يجزون بمثل اعمالهم اي
بقدر ما يستحق عليها من غير زيادة لان الزيادة على قدر المستحق من العقاب ظلم وليس كذلك الزيادة على قدر المستحق من الثواب
لان ذلك تفضل يحسن فعله ابتداء فالمثل هنا مقدار المستحق من غير زيادة ولا نقصان وترهقهم ذلة اي يرهقهم هوان وذلك لان

العقاب يقارنه الاهانة والازلال ما لهم من الله من عاصم اى ما لهم من حافظ ومانع يمنع عقاب الله منهم كانما اغشيت وجوههم قطعا
من الليل مظلما اى كانما البست وجوههم ظلمة الليل والمراد وصف وجوههم بالسواد كقوله سبحانه ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله
وجوههم مسودة اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ظاهر المعنى قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا
مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون ❁ فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن
عبادتكم لغافلين ❁ هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون ❁
ثلث آيات القراءة قرا تتلوا بالتاء اهل الكوفة غير عاصم وروح وزيد عن يعقوب والباقون بالباء الحجة قال ابو على من قرا تبلوا فمعناه
يختبرون من قولهم البلاء ثم الثناء اى الاختبار للمثنى عليه وينبغى ان يكون قبل الثناء ليكون الثناء عن علم بقدر ما يوجبه ومعنى
اختبارها ما اسلفت انه ان تقدم خيرا او شرا جوزي كما قال فمن يعمل مثقال ذرة الى اخره ومن عمل صالحا فلنفسه وغير ذلك من الاي ومن
قرا تتلوا فانه من التلاوة التى هى القراءة ودليله قوله فاولئك يقرؤن كتابهم وقوله اقرا كتابك ويكون تتلوا تتبع من قولهم تلى الفريضة
النفل اذا اتبعها النفل قال على ظهر عادي كان ارومه رجال يتلون الصلوة قيام فيكون المعنى تتبع كل نفس ما اسلفت من حسنة او سيئة
قال قد جعلت دلوى تستتلينى ولا احب تبع القرب تستبق من ثقلها اللغة التزييل التفريق ماخوذ من قولهم زلت الشىء عن مكانه
ازيله وزيلته للكثرة من هذا اذا نحيته عن مكانه وزايلت فلانا اذا فارقته هنالك اى فى ذلك المكان وهو ظرف فيها للتقريب وهناك للبعيد
وهنالك لما بينهما قال زهير هنالك ان تستخلوا المال تخبلوا وان تسالوا تعطوا وان تيسروا تغلوا والاسلاف تقديم امر لما بعده فمن اسلف
الطاعة لله جزاه بالثواب وما اسلفت المعصية جزي بالعقاب الاعراب جميعا نصب على الحال ومكانكم قال الزجاج هو منصوب على الامر
والمعنى انتظروا مكانكم حتى نفصل بينكم والعرب تتوعد فتقول مكانك ما نتظر اى فهى كلمة جرت على الوعيد واقول ان الصحيح عند المحققين
ان مكانك ودونك من اسماء الافعال فيكون مكانكم ههنا اسما لالزموا مبنيا على الفتح وليس بمنصوب نصب الظروف وكم لا محل لها من الاعراب
اذ هو حرف لخطاب المتم رفع تاكيد للضمير فى مكانكم وشركاؤكم عطفا عليه وهذا كما تقول فى قوله عليك زيدا ان الكاف حرف لخطاب
لا محل له من الاعراب وعلى ههنا اسم للفعل ليس بحرف وكفى بالله شهيدا قال الزجاج ما قوله ان الصحيح ان ان هذه هى المخففة من الثقيلة و
ان كانت مخففة من الثقيلة يلزمها اللام للفرق بينها وبين النافية والتقدير انا كنا عن عبادتكم غافلين وهنالك منصوب بتبلوا الا انه
غير متمكن واللام زايدة كسرت لالتقاء الساكنين المعنى ولما تقدم ذكر الجزاء بين سبحانه وقت الجزاء فقال ويوم نحشرهم جميعا اى نحشر
الخلايق اجمعين اى نجمعهم من كل اوب الى الموقف ثم نقول للذين اشركوا فى عبادتهم مع الله غيره فى اموالهم فقالوا هذا لله وهذا
لشركائنا مكانكم انتم وشركاؤكم اى اثبتوا والزموا مكانكم مع شركائكم يعنى الاوثان فقد صحبتموهم فى الدنيا فاصحبوهم فى المحشر وقيل
معناه اثبتوا حتى تسالوا كقوله وقفوهم انهم مسؤلون فزيلنا بينهم اى فميزنا بينهم فى المسئلة فسالنا المشركين على حدة لم عبدتم
الاصنام وسالنا الاصنام على حدة لم عبدتم وباى سبب عبدتم وهذا سؤال تبكيت وتقريع عن الحسن ومثله واذا المؤدة سئلت
باى ذنب قتلت وقيل معناه فزيلنا بينهم وبين الاوثان فتبرا منهم الشركاء وانقطعت اسبابهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون
اى يحييهم الله وينطقهم فقالوا ما كنا نشعر بانكم ايانا تعبدون عن مجاهد وقيل ان شركاءهم من كانوا يعبدونهم من الشياطين وقيل
هم الملائكة الذين كانوا يعبدونهم من دون الله وفى كيفية جحدهم لعبادتهم اياهم قولان احدهما انهم يقولون ذلك على وجه
اهانتهم بالرد عليهم اى ما اعتددنا بذلك لكم والاخر ان المراد انكم لم تعبدونا بامرنا ودعائنا ولم يرد انهم لم يعبدوهم اصلا لان ذلك كذب
لا يجوز ان يقع فى الآخرة لكونهم ملجئين الى ترك القبيح عن الجبائي وهذه الآية نظير قوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا الآية فكفى بالله
شهيدا اى فاصلا للحكم بيننا وبينكم ايها المشركون ان كنا عن عبادتكم لغافلين مر معناه وهذا اذا كان المراد به الملائكة فانهم عما ادعوه
غافلون لانهم لم يشعروا بذلك ولا امروا وان كان المراد الاصنام فلم يكن لها حس ولا علم وهذا غاية فى الزام الحجة حيث اختاروا للعبادة من
من لم يدعهم اليها ولم يشعر بها هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت اى فى ذلك المكان وفى تلك الحال وفى ذلك الوقت تختبر وتعلم كل
نفس ما قدمت من خير او شر ويروى جزاء على القراءة بالباء معناه تقرا كل نفس كتاب عملها او تتبع كل نفس جزاء عملها او جزاء ما قدمته ❁

وردوا الى الله مولیهم الحق ای ردوا الى جزاء الله والى الموضع الذي لا يملك احد فيه الحكم الا الله الذي هو مالكهم وسيدهم وخالقهم
والحق صفة الله تعالى فهو القديم الدايم الذي لا يفنى وما سواه يبطل وقيل الحق هو الذي يكون معنى اللفظ حاصل له على الحقيقة فالله
جل جلاله هو الحق لان معنى الالهية حاصل له على الحقيقة وضل عنهم ما كانوا يفترون ای بطل وهلك عنهم ما كانوا يدعون انه شريك
مع الله من الشركاء **قوله تعالى** قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ • فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ
إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ • كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ • ثلث آيات القراءة قرا اهل المدينة
وابن عامر كلمات ههنا وفي آخرها على الجمع وكذلك في سورة المؤمن والباقون على التوحيد الحجة قال ابو على من قرا على التوحيد احتمل
بوجهين احدهما ان يكون جعل ما اوعد به الفاسقون كلمة وان كانت في الحقيقة كلمات لانهم قد يسمون القصيدة كلمة والخطبة كلمة
والاخر ان يكون كلمة ربك الذي يراد بالجنس فدا وقعت على بعض الجنس كما اوقع الجنس على بعضه في قوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين و
بالليل وقول الشاعر بيطن سريان يعوى عنده الذيب واما من جمع فانه جعل الكلم التي توعدوا بها كل واحدة منها كلمة ثم جمع فقال
كلمات وكلمات وجه الاعراب كذلك حقت الكاف في موضع نصب اي مثل افعالهم جازاهم ربك وقوله انهم لا يؤمنون بدل من كلمة
ربك اي حق عليهم انهم لا يؤمنون ويجوز ان يكون على تقدير حقت عليهم الكلمة لانهم لا يؤمنون ويكون الكلمة ما اوعدوا به من العقاب
المعنى ثم قرن سبحانه ادلة التوحيد والبعث فقال قل يا محمد لهولاء الكفار من يرزقكم اي من يخلق لكم الارزاق من السماء بانزال
المطر والغيث ومن الارض باخراج النبات وانواع الثمار والرزق في اللغة هو العطاء الجاري يقال رزق السلطان الجند الا ان كل رزق
فان الله هو الرازق به لانه لو لم يطلقه على يد ذلك الانسان لم يجي منه شئ فلا يطلق اسم الرازق الا على الله سبحانه ويقيد في غيره كما لا يطلق
اسم الرب الا عليه سبحانه ويقيد في غيره فيقال رب الدار ورب الضيعة ولا يجوز ان يخلق الله حيوانا يريد تبقيه الا ويرزقه لانه اذا اراد
بقاءه فلا بد من الغذاء ام من يملك السمع والابصار معناه ام من يملك ان يعطيكم الاسماع والابصار فيقويها وينورها ولو شاء
لسلب نورها وضياءها ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي قيل معناه من يخرج الانسان من النطفة والنطفة من الانسان
وقيل معناه من يخرج الحيوان من بطن امه اذا ماتت امه ويخرج غير التام وهو البالغ حد الكمال وقيل معناه ومن يخرج المؤمن من الكافر
والكافر من المؤمن ومن يدبر الامر اي ومن الذي يدبر الامور في السماء والارض على ما توجبه الحكمة فسيقولون الله اي فسيعترفون
ان الله يفعل هذه الاشياء وان الاصنام لا تقدر عليها فقل افلا تتقون اي فقل لهم عند اعترافهم بذلك افلا تتقون عقابه في عبادة
الاصنام وفي الاية دلالة على التوحيد وعلى حسن المحاجة في الدين لانه سبحانه حاج به المشركين وفي هذا دلالة على انهم كانوا يقرون
بالخالق وان كانوا مشركين فان جمهور العقلاء يقرون بالصانع سوى جماعة قليلة من ملحدة الفلاسفة ومن اقر بالصانع على هذا صنفان
موحد يعتقد ان الصانع واحد لا يستحق العبادة غيره ومشرك وهم حزبان فضرب جعلوا لله شريكا قديما كالمانوية ومنهم من يثبت
شريكا في العبادة يكون متوسطا بينه وبين الصانع وهم اصحاب المتوسطات ثم اختلفوا فمنهم من جعل الوسايط من الاجسام العلوية
كالنجوم والشمس والقمر ومنهم من جعل المتوسط من الاجسام السفلية كالاصنام ونحوها تعالى الله عما يقول الزايغون عن
سبيله علوا كبيرا فذلكم الله اشارة الى اسم الله الذي وصفه في الاية الاولى بانه يرزق الخلق ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي
والكاف والميم للمخاطبين وهم جميع الخلق اخبر سبحانه ان الذي يفعل هذه الاشياء ربكم الحق الذي هو معبودكم ويحق له العبادة دون
غيره من الاصنام والاوثان فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام يراد به التقرير على موضع الحجة اذ لا يجد المجيب محيدا عن الاقرار به الا
بذكر ما لا يلتفت اليه والمراد به ليس بعد الذهاب عن الحق الا الوقوع في الضلال لانه ليس بينهما واسطة فاذا ثبت ان عبادته هي الحق
ثبت ان عبادة ما سواه باطل وضلال فانى تصرفون اي فكيف تعدلون عن عبادته مع وضوح الدلالة على انه لا معبود سواه كذلك
حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يومنون معناه ان الوعيد من الله تعالى للكفار بالنار في الصحة كالقول بانه ليس بعد الحق الا
الضلال وقيل ان معناه مثل انصرافهم عن الايمان وجبت العقوبة لهم اي جازاهم ربهم بمثل ما فعلوا من الانصراف وهذا في قوم علم الله

تعالى انهم لا يؤمنون ومعناه سبق علم ربك في هؤلاء انهم لا يؤمنون وقيل معنى قوله انهم لا يؤمنون بانهم لا يؤمنون ولانهم لا يؤمنون اي وجبت العقوبة عليهم لذلك **قوله تعالى** قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ۝ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝ ثلث آيات **القراءة**

قرا اهل الكوفة غير عاصم ام من لا يهدي ساكنة الهاء خفيفة الدال وقرا اهل المدينة غير ورش يهدي ساكنة الهاء مشددة الدال وقرا ابو عمرو وابن كثير وابن عامر وروح وزيد غير يعقوب يهدّي بفتح الهاء والياء وتشديد الدال الا ان ابا عمرو واشار الى فتحة الهاء من غير اشباع وقرا عاصم عن حماد ويحيى ورويس عن يعقوب يهدّي بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال وقرا حماد ويحيى عن ابي بكر عن عاصم بكسر الياء والهاء والتشديد **الحجة** قوله يهدي ويهدي اصل جميعها يهتدي تفتعل وان اختلفت الفاظها ادغموا التاء في الدال لمقاربتها لها فانهما من حيز واحد ثم لما في تحريك الهاء فمن قرا يهدي القى حركة الحرف المدغم وهو التاء على الهاء ومن قرا يهدي بكسر الهاء فانه حرك الهاء بالكسر لالتقاء الساكنين ومن سكن الهاء جمع بين الساكنين ومن اشم هذا لم يسكن فالاشمام في حكم التحريك ومن كسر الياء مع الهاء اتبع الياء ما بعدها من الكسرة وهو رديء لثقل الكسر في الياء **الاعراب** قوله فما لكم كيف تحكمون ما مبتداء ولكم خبره وكيف منصوب بقوله تحكمون لا يغني من الحق شيئا يجوز ان يكون قوله شيئا مفعول يغني ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي لا يغني من الحق غناء وكذا قيل في قوله لا تجزي نفس عن نفس شيئا قالوا مفعول تجزي وقالوا هو مصدر اي جزاء وكذا قوله ولا تشركوا به شيئا قالوا هو مفعول تشركوا وقالوا هو مصدر اي لا تشركوا به اشراكا وكذا قوله يعبدونني لا يشركون بي شيئا **المعنى** ثم احتج سبحانه عليهم في التوحيد باحتجاج آخر فقال قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده اي هل من هذه الاصنام التي جعلتموها شركاء الله في العبادة وقيل الذي جعلتم لهم شركاء في اموالكم كما قال وهذا لشركائنا من يبدئ الخلق بالانشاء بعد ان لم يكن وهو النشأة الاولى ثم يعيده في النشأة الثانية قل الله يبدئ الخلق ثم يعيده معناه فان قالوا ليس من شركائنا من يقدر عليه او سكتوا فقل انت لهم الله هو الذي يبدئ الخلق بان ينشيه على غير مثال ثم يعيده يوم القيمة فانى تؤفكون اي كيف تصرفون عن الحق وتعدلون عن الايمان ثم استانف الحجاج فقال سبحانه قل يا محمد هل من شركائكم من يهدي الى الحق اي هل من هذه الاصنام من يهدي الناس الى الرشد وما فيه الصلاح والفلاح والخير بدلالة ينصبها وحجة يظهرها فلا بد ان يجيبوا بلا فقل انت لهم الله هو الذي يهدي للحق الى طريق الرشاد يقال هديت الى الحق وهديت للحق بمعنى واحد افمن يهدي الى الحق معناه افمن يهدي غيره الى طريق التوحيد والرشد احق ان يتبع امره ونهيه ام من لا يهدي احدا الا ان يهدى والاصنام لا تهتدي ولا تهدي احدا وان هديت لانها موات من حجارة ونحوها ولكن الكلام بني على انها ان هديت اهتدت لانهم لما اتخذوها آلهة عبر عنها كما يعبر عمن يعقل ووصفت بصفة من يعقل وان لم تكن في الحقيقة كذلك الا ترى الى قوله سبحانه ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون وقوله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وانما هي موات الا ترى انه قال فادعوهم فليستجيبوا لكم الهم ارجل يمشون بها الاية وكذلك قوله وان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم فاجرى عليه اللفظ كما يجرى على من يعلم وعلى هذا فقوله الا ان يهدى الا بمنزلة حتى فكانه قال ام من لا يهدي حتى يهدى ام من لا يعلم حتى يعلم ومن لا يستدل على شيء حتى يدل عليه وان كان لو دل او اعلم لم يستدل ولم يعلم ولو هدي لم يهتد بين الله سبحانه بذلك جهلهم وقلة تمييزهم في تسويتهم من لا يسمع ولا يقدر بالله القادر العالم وقال البلخي لا يهدي ولا يهتدي بمعنى واحد يقال هديته فهدى اي اهتدى وقيل ان المراد بذلك الملائكة الملائكة والجن لانهم يهتدون اذا هدوا وقيل المراد به الروساء والمضلون الذين يدعون الى النار وقيل ان المعنى في قوله لا يهدي الا ان يهدى لا يتحرك الا ان يحرك ولا ينتقل الا ان ينقل كقول الشاعر حيث يهدى ساقه قدمه اي تحمل وقيل معناه الا ان يركب الله فيه آلة التمييز والهداية ويرزقه فهما وعقلا فان هدي حينئذ اهتدى فما لكم قال الزجاج هذا كلام تام كانه قال اي شيء لكم في عبادة من لا يضر ولا ينفع كيف تحكمون هذا تعجيب من حالهم اي كيف تقضون بان هذه الاصنام آلهة وانها تستحق العبادة وقيل كيف تحكمون لانفسكم بما لا توجبه الحجة ولا تشهد بصحته الادلة وما يتبع اكثرهم الا ظنا اي ليس يتبع اكثر هؤلاء الكفار الا الظن الذي لا يجدي شيئا من تقليد آبائهم ورؤسائهم ان الظن لا يغني من الحق شيئا لان الحق انما ينتفع به

خمس

حقا

حقا معرفة صحيحة والظن يكون فيه تجويز ان يكون المظنون على خلاف ما ظن فلا يكون مثل العلم ان الله عليم بما يفعلون من عبادة غير
الله تعالى فيجازيهم عليه وفيه ضرب من التهديد قوله تعالى وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي
بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين * ام يقولون افتريه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم
من دون الله ان كنتم صادقين * بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر
كيف كان عاقبة الظالمين * ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين * اربع آيات اللغة القرآن عبارة
عن هذا الكلام الذي هو في اعلى طبقات البلاغة مع حسن الكلام والجزالة والتفصيل والتقسيم والتمييز نظائره وضده التلبيس والتخليط
والسورة جامعة لمحيطة بآيات الله كاحاطة سور البناء بالبناء والاستطاعة حالة التي تطاع بها الجوارح للفعل وهي مأخوذة من
الطوع والقدرة مأخوذة من القدر فهي معنى يمكن ان يوجد بها الفعل وان لا يوجد لتقصير قدره عن ذلك المعنى الاعراب ما كان هذا
القرآن ان يفترى اى ان لا يفترى ويجوز ان يكون المعنى ما كان هذا القرآن افتراء فيكون مصدرا في موضع نصب بانه خبر كان وتصديق
عطف عليه وان كان تصديق الذي بين يديه ام يقولون ام هذه هي المنقطعة وتقديره بل ايقولون وكيف في موضع نصب على انه خبر كان
المعنى ثم رد الله سبحانه على الكفار قولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله وقولهم ان النبي صلى الله عليه وآله افترى هذا القرآن فقال وما
كان هذا القرآن ان يفترى اي افتراء من دون الله فاقام ان مع الفعل مقام المصدر بل هو وحي من الله ومتلقى منه ولكن تصديق الذي
بين يديه من الكتب كما قال في موضع آخر مصدقا لما بين يديه وهذه شهادة من الله تعالى بان القرآن صدق وشاهد لما تقدم من التورية
والانجيل والزبور بانها حق ومن وجه آخر هو شاهد لها من حيث انه مصداق لها على ما تقدمت البشارة فيها وقيل معناه تصديق
الذي بين يديه في المستقبل من البعث والنشور والحساب والجزاء في امور دينكم لا ريب فيه من رب العالمين وتفصيل الكتاب اي تبيين
المعاني المجملة في القرآن من الحلال والحرام والاحكام الشرعية وقيل معناه وبيان الادلة تحتاجون اليها في امور دينكم لا ريب فيه من
رب العالمين اى لا شك فيه انه نازل من عند الله وانه معجز لا يقدر احد على مثله وهذا غاية في التحدي ام يقولون افتريه هذا تقدير على
موضع الحجة معنى حجة اخرى وتقديره بل ايقولون افتريه فالزمهم على هذا الاصل الفاسد امكان ان يأتوا بمثله وقل لهم فأتوا بسورة مثله
اى مثله في البلاغة لانكم من اهل لسانه فلو قدر على ذلك لقدرتم انتم ايضا عليه فاذا عجزتم عن ذلك فاعلموا انه ليس من كلام البشر
وانه منزل من عند الله تعالى وقيل بسورة مثله اى بسورة مثل سوره وقال مثله لان المراد انما التمس من هذا شبه الجنس وادعوا من استطعتم
من دون الله اى فادعوا من قدرتم عليه من دون الله واستعينوا بهم للمعاضدة بسورة مثله ان كنتم صادقين ان هذا القرآن مفترى
من دون الله وهذا ايضا غاية في التحدي والتعجيز بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اى كذبوا بما لم يعلموه من جميع وجوهه لان في القرآن ما يعلم المراد
منه بدليل ويحتاج الى الفكر او الرجوع الى الرسول في معرفة مراده وذلك مثل المتشابه فالكفار لما لم يعرفوا المراد بظاهره كذبوا به وقيل
معناه بل كذبوا بما لم يحيطوا علما بكيفية نظمه وترتيبه وهذا كما ان الناس يعرفون الفاظ الشعر والخطب ومعانيها ولم يمكنهم ابداعها لجهلهم
بنظمها وترتيبها وقال الحسن معناه بل كذبوا بالقرآن من غير علم ببطلانه وقيل معناه بل كذبوا بما في القرآن من الجنة والنار والبعث
والنشور والحساب والثواب والعقاب ولما يأتهم تأويله اى لم يأتهم بعد حقيقة ما وعد في الكتاب مما يؤول اليه امرهم في العقوبة وقيل معناه
ان في القرآن اشياء لم يعرفوا معناها ولا يمكنهم تأويلها فيكون معنى الآية بل كذبوا بما علمه من القرآن ولما يأتهم تفسيره ومعرفته الا بالرجوع
الى النبي صلى الله عليه وآله فلم يرجعوا اليه وكذبوا به فلم يأتهم تفسيره ولو راجعوا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وآله لعلموه وروى عن
ابي عبد الله ع انه قال ان الله تعالى خص هذه الامة بآيتين من كتابه ان لا يقولوا الا ما يعلمون وان لا يردوا ما لا يعلمون ثم قرأ الم يؤخذ عليهم
ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق الآية وقرأ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وقيل ان من هنا اخذ امير المؤمنين ع قوله الناس اعداء ما
جهلوا واخذ قوله قيمة كل امرء ما يحسنه من قوله عز وجل فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم واخذ قوله
تكلموا تعرفوا من قوله ولتعرفنهم في لحن القول كذلك كذب الذين من قبلهم اى مثل تكذيب هؤلاء كذبت الامم السالفة رسلها فانظر يا محمد
كيف كان عاقبة الظالمين اى كما كان عاقبة اولئك الهلاك كذلك يكون عاقبة هؤلاء ثم اخبر سبحانه ان من جملة هؤلاء الذين كذبوا بالقرآن

ونسبوه الى الافتراء من سيؤمن به في المستقبل ويصدق بانه من عند الله ومنهم من يموت على كفره فقال ومنهم من يؤمن به ومنهم من
لا يؤمن واراد سبحانه انه انما لم يهلكهم في الحال لما يعلم في تبقيتهم من الصلاح وقيل معناه ومنهم من يؤمن بالقرآن في نفسه ويعلم صحته
الا انه يعاند ويظهر من نفسه خلاف ما يعلمه ومنهم من هو شاك فيه فكانه قال ومنهم معاندون ومنهم شاكون وربك اعلم بالمفسدين
اي بمن يدوم على الفساد ويعلم من يتوب قوله تعالى وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون
ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدي العمي ولو
كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون اربع آيات المعنى ثم خاطب سبحانه نبيه عم فقال

نصف الحزب

وان كذبوك يا محمد ولم يصدقوك وردوا عليك قولك فقل لهم لي عملي فان كنت كاذبا فوباله علي ولكم عملكم اي ولكم جزاء عملكم انتم
بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون نظيره قوله قل يا ايها الكافرون الى آخر السورة وهذا وعيد لهم من الله تعالى كقوله اعملوا على مكانتكم ونحوه
وقيل ان هذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل انه لا تنافي بين هذه الآية وآية القتال لانها براءة ووعيد وذلك لانها في الجهاد ومنهم
من يستمعون اليك ومعناه ومن جملة هؤلاء الكفار من يستمع اليك يا محمد والاستماع طلب السمع فهم كانوا يطلبون السمع للرد
لا للفهم فلذلك لزمهم الذم فانهم اذا سمعوا على هذا الوجه كانهم صم لا يسمعون حيث لم ينتفعوا به افانت تسمع الصم هذا خطاب
للنبي صلى الله عليه وآله بانه لا يقدر على اسماع الصم ولو كانوا لا يعقلون قال الزجاج ولو كانوا جهالا وهذا مثل قول الشاعر اصم عما ساءه
سميع ومنهم من ينظر اليك اي ومن جملتهم من ينظر اليك يا محمد فلم يخبر بلفظ الجمع هنا لانه حمله على اللفظ وقال ومن يستمعون فاخبر بلفظ
الجمع حملا على المعنى اي ينظر الى افعالك واقوالك لا نظر الحقيقة والعبرة عن نظر العادة فلا ينتفع بنظره افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون
اي فكما انك لا تقدر ان تبصر العمي فتنفعهم به كذلك لا تقدر ان تنفع بما تاتي به من الادلة من ينظر اليها ولا يطلب الانتفاع بها وقوله افانت
افانت استفهام المراد به النفي وقيل ان معنى الآيتين ومنهم من يستمع الى كلامك استماع الطعن والتعنت وينظر الى ذلك بنظر الطاعن
القادح فيها المكذب بها الراد عليها فلا يقدر ان ينفعهم بمثل هذا الاستماع والنظر ان الله لا يظلم احدا من الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون
تمدح سبحانه في هذه الآية بانه لا يظلم احدا من الناس شيئا بان ينقص من حسناتهم وجزاء طاعاتهم ولكنهم ينقصون انفسهم ويظلمونها
بارتكاب ما نهى الله عنه من القبائح والمعنى ههنا ان الله تعالى لا يمنع احدا الانتفاع بما كلفهم الانتفاع به من القرآن والادلة ولكن يظلمون
انفسهم بترك النظر فيه والاستدلال به وتفويتهم انفسهم الثواب وادخالهم عليها العقاب ففي الآية دلالة على انه سبحانه لا يفعل الظلم فبطل
قول المجبرة في اضافة كل ظلم الى خلقه وارادته النظم قيل في اتصال الآية الاولى بما قبلها انه سبحانه لما بين دلايل التوحيد والنبوات فعاندوا وكذبوا
امر فيها بعد بقطع العصمة عنهم والوعيد لهم واما الآية الاخيرة وهي قوله ان الله لا يظلم الناس شيئا فالوجه في اتصالها بما قبلها انها
تتصل بقوله انظر كيف كان عاقبة الظالمين يعني انهم استحقوا ذلك الاهلاك والعذاب بافعالهم وما ظلمناهم وقيل انها اتصلت
بقوله ومنهم من يستمعون ومنهم من ينظر فكانه قال ان الله لا يمنعهم الانتفاع بما كلفهم بل مكنهم وبين لهم وهداهم وازاح علتهم ولكن
ظلموا انفسهم بترك الانتفاع به عن الجبائي وابي مسلم وقيل انه لما تقدم ذكر الوعيد والوعد بين سبحانه انه لا يظلمهم اي لا ينقص من حسناتهم
ولا يزيد في سيآتهم قوله تعالى ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا
بلقاء الله وما كانوا مهتدين واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون
ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ثلث آيات القراءة قرا حفص عن عاصم يوم
يحشرهم بالياء والباقون بالنون الحجة قال ابو علي يحتمل قوله كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار ثلثة اوجه احدها ان يكون صفة ليوم
والآخر ان يكون صفة للمصدر المحذوف والثالث ان يكون حالا من الضمير في يحشرهم فاذا جعلته صفة لليوم احتمل ضربين من التاويل
احدهما ان يكون التقدير كان لم يلبثوا قبله الا ساعة فحذفت الكلمة لدلالة المعنى عليها ومثل ذلك في حذف هذا الحرف منه قوله فاذا بلغن
اجلهن فامسكوهن بمعروف اي امسكوهن قبله وكذلك قوله يتربصن بانفسهن اي يتربصن بعدهم ويجوز ان يكون المعنى كان لم يلبثوا قبله
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذفت الهاء من الصفة كقولك الناس رجلان رجل اهنت ورجل اكرمت ومثل هذا في

حذف

حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه قوله ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم التقدير وجزاؤه واقع بهم فحذف المضاف
وان جعلته صفة للمصدر كان على هذا التقدير الذي وصفناه وبمثله وان جعلته حالا من الضمير المنصوب لم يحتج الى حذف شي من اللفظ
لان الذكر من الحال قد عاد الى ذي الحال والمعنى نحشرهم مشابهة احوالهم احوال من لم يلبث الا ساعة واما يوم نحشرهم فانه يصلح ان
يكون مفعولا لاحد شيئين احدهما ان يكون معمول يتعارفون والآخر ان يكون يوم يحشرهم لما دل عليه قوله كان لم يلبثوا فاذا جعلته
معمولا لقوله يتعارفون انتصب يوم على وجهين احدهما ان يكون ظرفا معناه يتعارفون في هذا اليوم والآخر ان يكون مفعولا على
سارق الليلة اهل الدار ومعنى يتعارفون يحتمل امرين احدهما ان يكون المعنى مدة اماتتهم التي وقع حشرهم بعدها وحذف
المفعول للدلالة عليه كما حذف في مواضع كثيرة وعدى تفاعل كما عدى في قوله كما طاب الليل احشاؤه او يكون اعمل الفعل الذي دل
عليه يتعارفون الا ترى انه قد دل على ليستعملون ويتعرفون ويعرفوا مدة اللبث ههنا كما يعرفونها في قوله قال قايل منهم كم لبثتم
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم والآخر في التعارف ماجاء من قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين
فتعارفهم يكون على احد هذين الوجهين فعلى هذا يكون قوله ويوم نحشرهم معمول يتعارفون والآخر ان يكون يوم يحشرهم معمول
ما دل عليه قوله كان لم يلبثوا الا ترى ان المعنى تشابه احوالهم احوال من لم يلبث فيعمل في الظرف هذا المعنى ولا يمتنع المعنى من
ان يعمل في الظرف وان يتقدم الظرف عليه كقولهم اكل يوم لك ثوب واذا حملته على هذا لم يجز ان يكون صفة للمصدر لان الموصوف
الذي هو المصدر موضعه بعد الفعل تقديره ويوم نحشرهم حشرا كان لم يلبثوا ولم يلبثوا قبله والصفة لا يتقدم عليها ما
يعمل فيه ولا يجوز ايضا ان يجعله صفة ليوم على هذا لان الصفة لا تعمل في الموصوف الا ترى ان الصفة شرح للموصوف كما ان الصلة
لا تعمل في الموصول لذلك فان قلت فاذا قدرت كان لم يلبثوا على تقدير الحال من الضمير هل يجوز ان يكون يوم معمولا له فان
ذلك لا يجوز لان العامل في الحال يحشر او نحشر وقد اضيف اليوم اليه ولا يجوز ان يعمل في المضاف المضاف اليه ولا ما يتعلق بالمضاف
اليه لان ذلك يوجب تقديمه على المضاف الا ترى انه لم يجز القتال زيدا حين تأتى واذا جعلت يتعارفون العامل في يوم نحشرهم
لم يجز ان تكون صفة ليوم على انك كانك وصفت اليوم بقوله كان لم يلبثوا ويتعارفون فوصفت يوم نحشرهم بجملتين لم يجز ان
يكون معمولا لقوله يتعارفون لان الصفة لا تعمل في الموصوف ويجاز وصف اليوم بالجمل وان اضيف لان الاضافة ليست بمحضة فلم
يعرف ويدل النون في نحشرهم قوله سبحانه وحشرناهم وقوله فجمعناهم جمعا ونحشره يوم القيمة اعمى ويدل على الياء قوله ليجمعنكم الى يوم
القيمة اعمى ويدل على الياء قوله ليجمعنكم الى يوم القيمة وكل واحد منهم يجري مجرى الآخر المعنى ثم بين سبحانه حالهم يوم الجمع فقال
ويوم نحشرهم اي نجمعهم من كل مكان الى الموقف كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار اي كانهم لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة ومعناه انهم
استقلوا ايام الدنيا فان المكث في الدنيا وان طال كان بمنزلة مكث ساعة في جنب الآخرة عن الضحاك وجماعة وقيل استقلوا ايام مقامهم
في الدنيا لقلة انتفاعهم باعمارهم فيها فكانهم لم يلبثوا الا يوما فيها لقلة فائدتها وقيل استقلوا مدة لبثهم في القبور عن ابن عباس
وقد دل الله سبحانه بذلك على انه لا ينبغي ان يغتر بطول ما يأمله من البقاء في الدنيا اذا كانت عاقبته الى الزوال يتعارفون
بينهم معناه ان الخلق يعرف بعضهم من بعض قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اي بلقاء جزاء الله وما كانوا مهتدين للحق وقال الجبائي
معناه خسروا انفسهم لانهم لم يكونوا مهتدين في الدنيا ولو كانوا مهتدين في الدنيا لم يخسروا انفسهم ومعناه انهم خسروا الدنيا
حين صرفوها الى المعاصي وخسروا نعيم الآخرة حين فوتوها على انفسهم بمعاصيهم واما نرينك يا محمد في حيوتك بعض الذي نعدهم
اي نعدهم ولاء الكفار من العقوبة في الدنيا قالوا ومنها وقعة بدر او نتوفينك اي نميتنك قبل ان ينزل ذلك بهم وينزل ذلك بهم
بعد موتك فالينا مرجعهم اي الى حكمنا مصيرهم في الآخرة فلا يفوتوننا وقيل ان الله سبحانه وعد نبيه ص ان ينتقم منهم اما في
حيوته او بعد وفاته ولم يحده بوقت فقال ان ما وعدناه حق لا محالة ثم الله شهيد على ما يفعلون اي عليم بافعالهم حافظ لها
فهو يوفيهم عقاب معاصيهم ولكل امة رسول اي لكل جماعة على طريق واحد ودين واحد كامة محمد صلى الله عليه وآله وامة موسى
وامة عيسى ع رسول بعثه الله اليهم وحمله الرسالة التي يؤديها اليهم فاذا جاء رسولهم ههنا حذف واضمار التقدير فاذا جاء رسولهم

وبلغ الرسالة فكذبوه قوم وصدقوه اخرون قضى بينهم فيهلك المكذبون وينجي المؤمنين وقيل معناه فاذا جاء رسولهم يشهد عليهم يوم القيمة عن مجاهد وقيل فى الدنيا بما اذن الله له من الدعاء عليهم قضى بينهم اى فصل بينهم الامر على الحتم بالقسط اى بالعدل وهم لا يظلمون اي لا ينقصون عن ثواب طاعاتهم ولا يزادون فى عقاب سياتهم قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ۞ قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ۞ قل ارايتم ان اتيكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون ۞ اثم اذا ما وقع امنتم به الان وقد كنتم به تستعجلون ۞ ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ۞ خمس آيات اللغة

الوعد خبر بما يعطى من الخير والوعيد خبر بما يعطى من الشر هذا اذا فصل فان اجمع وقع الوعد على الجميع والنفع هو اللذة او السرور او ما ادى اليهما او الى واحد منهما والاجل هو الوقت المضروب لوقوع امر كاجل الدين واجل الانسان الاعراب متى سوال عن الزمان واين سوال عن المكان بياتا منصوب على الظرف وقوله ماذا يستعجل يجوز ان يكون ما فى موضع رفع وذلك اذا كان ذا بمعنى الذي والمعنى ما الذي يستعجل منه المجرمون فيكون ما مبتدا والذى خبره ويجوز ان يكون فى موضع نصب وذلك اذا ما وذا اسما واحدا والمعنى اى شي يستعجل المجرمون من العذاب او من الله فيكون مفعول يستعجل وجواب ان اتيكم محذوف وتقدير الكلام ارايتم ماذا يستعجل من العذاب المجرمون ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا او قع ان اتاكم فى وسط الكلام موضع الاعتراض ومعنى ماذا يستعجل ههنا الانكار اي ليس فى العذاب شي يستعجل به وجاء على صيغة الاستفهام لانه جواب لصاحبه يصح له وقوله اثم دخلت الف الاستفهام على ثم التى للعطف ليدل على ان الجملة الثانية بعد الاولى مع ان للالف صدر الكلام والعامل فى اذا قوله امنتم به وقوله الآن وقد كنتم به تستعجلون تقديره الآن به تؤمنون المعنى لما وعد سبحانه المكذبين بين عقيبه انهم استعجلوا ذلك على سبيل التكذيب والرد فقال ويقولون اي ويقول هؤلاء المشركون متى هذا الوعد الذي تعدنا به من البعث وقيام الساعة وقيل من العذاب ان كنتم صادقين فى ذلك قل يا محمد جوابا لهم لا املك لنفسي الاضرار ولا نفعا اى لا اقدر لنفسي على ضر او نفع الا ما شاء الله ان يملكني او يقدرني عليه فكيف اقدر لكم لاني اذا لم اقدر على ذلك كنت عن ازال العذاب وعن معرفة وقته اعجز او يكون معناه اذا لم املك لنفسي شيئا من ذلك الا ما ملكنيه الله تعالى فكيف املك تقديم القيمة وتعجيل العذاب قبل الوقت المقدر له لكل امة اجل اى لكل امة فى عذابها على تكذيب الرسل وقت معلوم اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فلا يتاخرون عن ذلك ولا يتقدمون عليه بل يهلكهم فى ذلك الوقت بعينه قل يا محمد لهؤلاء المكذبين المستعجلين بالعذاب ارايتم اى اعلمتم ان اتيكم عذابه اى عذاب الله بياتا اي ليلا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون وهذا استفهام معناه التفظيع والتهويل كما يقول الانسان لمن هو فى امر يستوخم عاقبته ماذا تجني على نفسك وهذا جواب لقولهم متى هذا الوعد وقال ابو جعفر ع يريد بذلك عذابا ينزل من السماء على فسقة اهل القبلة فى اخر الزمان نعوذ بالله منه اثم اذا ما وقع امنتم به هذا استفهام معناه الانكار وتقديره احين يوقع بكم العذاب المقدم الموقت امنتم به اى بالله فى وقت الباس وقيل بالقرآن وقيل بالعذاب الذى كنتم تنكرونه فيقال لكم الآن تؤمنون وقد اضطررتم الى الايمان وقد كنتم به اى بالعذاب تستعجلون من قبل التكذيب مستهزئين وقال الحسن معناه ثم انكم ستؤمنون به عند وقوع العذاب فلا ينفعكم ايمانكم ونظيره الآن وقد عصيت ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد اي ثم يقال يوم القيمة للذين ظلموا انفسهم ذوقوا عذاب الدوام فى الآخرة بعد عذاب الدنيا هل تجزون الا بما كنتم تكسبون معناه انكم قد دعيتم وهديتم وبينت لكم الادلة وازيحت عنكم العلة فابيتم الا التمادى والانهماك فى الغي فذوقوا جزاء اعمالكم وانما شبهوا بالذائق وهو الذى يطلب الطعم بالفم لانه اشد احساسا وقيل لانهم يجدونه العذاب بدخوله اجوافهم

قوله تعالى ويستنبئونك احق هو قل اي وربي انه لحق وما انتم بمعجزين ۞ ولو ان لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ۞ الا ان لله ما فى السموات والارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون ۞ هو يحيي ويميت واليه ترجعون ۞ اربع آيات اللغة

الاستنباء طلب النبا الذي هو الخبر والافتداء ايقاع الشي بدل غيره لدفع المكروه به يقال فداه يفديه فداء وافتداه افتداء وفاداه

مفاداه الاعراب الاكلمة تستعمل فى التنبيه واصلها لا دخلت الف الاستفهام تقريرا وتذكيرا فصارت منها وكثرت ان بعد الا
لان الايستانف ما بعدها ليبنيه بها على معنى الابتداء وكذلك وقع بعدها الامر والدعاء كقول امرء القيس الا انعم صباحا ايها
الطلل البالى المعنى ويستنبئونك يا محمد اي يطلبون منك ان تخبرهم احق هو اي احق ما جئت به من القران والنبوة والشريعة
وقيل احق ما تعدنا من البعث والقيمة والعذاب عن الجبائى قل يا محمد اى وربى اى نعم وحق الله انه لحق لا شك فيه وما انتم بمعجزين اى سابقين
او فائتين وهذا الاستخبار يحتمل ان يكون انما وقع منهم على وجه التعريف والاستفهام ويحتمل ان يكون وقع على وجه الاستهزاء ولو ان
لكل نفس ظلمت اى اشركت بالله عن ابن عباس وقيل ظلمت بكل ما يسمى ظلما ما فى الارض من الاموال لافتدت به من عذاب الله من هول
ما يلحقه من العذاب واسروا الندامة اى اخلصوها والندامة الحسرة على ما كان بمعنى انه لم يكن وقيل اسروا اى اظهروا عن ابى عبيدة و

لما راوا العذاب اى اخفوا الندامة رؤساء الضلالة من الاتباع والسفلة وقيل اسروا الندامة م

الجبائى قال الازهري وهذا غلط لان ما يكون بمعنى الاظهار يكون بالشين المنقطعة من فوق وقضى بينهم بالقسط اى فصل بينهم بالعدل
وهم لا يظلمون فيما يفعل بهم من العقاب لانهم جنوه على انفسهم وروى عن ابى عبد الله ع انه قال انما اسروا الندامة وهم فى النار كراهية
لشماتة الاعداء الا ان لله ما فى السموات والارض اى ملك السموات والارض وما فيهما لله فلا يقدر احد على منعه من احلال العقاب
بمملوكه المستحق له الا ان وعد الله حق باحلال العقاب بالمجرمين ولكن اكثرهم لا يعلمون صحة ذلك لجهلهم به تعالى وصحة ما اتى به
النبى ص هو يحيى اى يحيى الخلق بعد كونهم امواتا ويميت اى ويميتهم بعد ان كانوا احياء واليه ترجعون يوم القيمة فيجازيهم على اعمالهم
قال الجبائى وفى هذه الاية دلالة على انه لا يقدر على الحيوة الا الله تعالى لانه تعالى تمدح بكونه قادرا على الاحياء والاماتة النظم وجه
اتصال الاية الاولى بما قبلها ان قوله ويستنبئونك عطف على يستعجلونك المعنى انهم يستعجلونك ويقولون متى تكون القيمة
والعذاب ثم يستخبرونك احق ما تقول من كونه ووجه اتصال قوله الا ان لله ما فى السموات والارض بما قبلها اتصال الاثبات بالنفى
وتقديره ليس للظالم ما يفتدي به بل جميع الملك لله وقيل انه يتصل بما قبله بمعنى ان من يملك السموات والارض يقدر على ايقاع ما
توعد به ووجه اتصال قوله الا ان وعد الله حق بما قبله انه اذا خلق السموات والارض لا للعبث بل لمنافع الخلق فلا يجوز خلف الوعد
وايضا فان من صفة الخالق ان يكون عالما لذاته غنيا غير محتاج والخلف كذب قبيح ولا بد للفعل من داع والداعى الى القبيح اما الجهل بقبحه
او الحاجة اليه فاذا لا يجوز الخلف عليه اذ لا داعى له اليه قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ
وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ * آيتان القراءة
قرا ابو جعفر وابن عامر فليفرحوا بالياء تجمعون بالتاء وقرا يعقوب برواية رويس فلتفرحوا تجمعون بالتاء فيهما جميعا وروى ذلك عن
النبى صلى الله عليه وآله وابى بن كعب والحسن وفى رواية زيد عن يعقوب فلتفرحوا بالتاء يجمعون بالياء وروى ذلك عن ابن عباس
وقتادة وجماعة والباقون بالياء فيهما جميعا الحجة قال ابو على قوله بفضل الله وبرحمته الجار فيه يتعلق بمضمر يستغنى عن ذكره لدلالة
ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءتكم موعظة كما ان فى قوله الآن وقد عصيت قبل يتعلق الظرف فيه بمضمر يدل عليه ما تقدم من الفعل
وكذلك قوله الآن وقد كنتم به تستعجلون فاما قوله فبذلك فليفرحوا فان الجار فى قوله فبذلك يتعلق بليفرحوا لان هذا الفعل يصل
بالباء قال وفرحوا بها قال فرحت بما قد كان من سيديكما فاما الفاء من قوله فليفرحوا فزيادة يدلك على ذلك ان المعنى فافرحوا بذلك
ومثل قوله ومثل هذه الآية قول الشاعر فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعي فالفاء فى قوله فاجزعي زيادة كما كانت الفاء فى قوله فليفرحوا
زيادة ولا يكون الزيادة الاول لان الظرف انما يتعلق باجزعي واما من قرا فلتفرحوا بالتاء فانه اعتبر الخطاب الذى هو قوله قد جاءتكم
موعظة وزعموا انها فى حرف ابى فافرحوا قال ابو الحسن وزعموا انها لغة وهى قليلة نحو لتضرب وانت تخاطب فاما من قرا هو خير
مما تجمعون بالتاء فعلى انه عنى المخاطبين والغيب جميعا الا انه غلبت المخاطب على الغيبة ومن قرا بالياء كان المعنى فافرحوا
بذلك ايها المؤمنون اى افرحوا بفضل الله وبرحمته فان ما اتاكم من الموعظة شفاء لما فى الصدور وثلج اليقين بالايمان وسكون
النفس اليه خير مما يجمعه غيركم من اعراض الدنيا ممن فقد هذه الخلال التى حزتموها المعنى لما تقدم ذكر القرآن وما فيه من الوعد
والوعيد عقبه سبحانه بذكر جلالة موقع القرآن وعظم محله فى باب الادلة فقال يا ايها الناس هذا خطاب لجميع الخلق وتنبيه لهم